INDEXED

52090

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦٤١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ١، ٢ س ٢٥ رجب/شعبان ١٤١٠هـ - شباط/آذار (فبراير/مارس) ١٩٩٠م

KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES
INDEXED

شعر ناهض بن ثومة الكلابي

صدر للأستاذ الكريم الدكتور إبراهيم النجار - أستاذ محاضر بكلية الآداب في الجامعة التونسية - كتاب «مجمع الذاكرة» أو «شعراء عباسيون منسيون» صدر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء، وهو يقع في ستة أجزاء على ما يفهم مما ورد في مواضع منه [الأول ٢٩٣، والثالث ٤٥٠] وصدر سنة ١٩٨٧م و ١٩٨٩م.

وقد حرصت حين زرت مدينة تونس في شهر ربيع الأول من هذا العام ١٤١٠هـ (اكتوبر ١٩٨٩م) على الالتقاء بالأستاذ الدكتور لأنني أُمْتِعت بقراءة بعض فصول من كتابه، وأُعجبت بطريقة بحثه، ونسق ترتيبه، رغبت الاجتماع بالدكتور فأخبرني الأستاذ جمال بن حَمَادة أمين المخطوطات في دار الكتب الوطنية بأنه يحاضر الآن في جامعة (السربون) في فرنسا وليس في تونس.

فرأيت أن أعبر عن تقديري لعمله بأن أُبْدِيَ ملاحظاتٍ يسيرة حول ذالك الكتاب: -

١ ــ جاء في الـجُزْءِ الثالث في ترجمة الأَحَيْمر السعدي (٢٣ - ٣٣) قصيدة رائية أولها:

لَئِنْ طَـالَ لَيْلِي بـالعِرَاقِ لَـرُبَّمـا أَتَى لِـيَ لَيْـلٌ بـالشَّـآمِ قَصِـيْرُ

ومن هذه القصيدة أبيات ستة أوردها ياقوت في «معجم البلدان» رسم (الجوف) ولم ترد، ونص ماأورده: الجوف: أرض لبني سعد، قال الأُحَيْمِرُ السَّعديُّ:

كَفَى حزَناً أَنَّ الحِمَارَ بْنَ جَنْدَلٍ عَـلِيَّ بِـأَكْنَـافِ السِّتَـارِ أَمِـيْرُ
وأَنَّ ابْنَ مُوسَى بَائِعَ البَقْلِ بِالنَّوَى لَـهُ بَـيْنَ بَـابٍ والسِّتَـارِ خَـطِيْرُ
وأَنِّي أَرَى وَجْـهَ البُغَاةِ مُقَـاتِـلا أُدَيْـرَةَ يُسْـدِيْ أَمْـرَنَـا ويُنِـيْرُ
هَنِيْئـاً لَمَحْفُوظٍ عَـلَى ذَاتِ بَيْنِنَا وِلابْـنِ لِـزَازٍ مَغْـنَـمٌ وسُرُورُ
أَنَاعِيْبُ يَحْوِيهِنَّ بِـالجَزَعِ الغَضَـا جَعَـابِيْبُ فِيْـهَـا رَثَّـةٌ وَدُثُـورُ
خَلاَ الجَوْفُ مِنْ فُتَّاكِ سَعْدٍ فَمَا بِهَا لِمُسْتَصْـرِخٍ يَدْعُـو الثُّبُـورَ نَصِـيْرُ

٢ ــ وفي الجزء الثاني (ص ٥٢١) أورد الدكتور بائيةَ ابنِ الدُّمَيْنةِ كما هي في شعره الذي حققه الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ ، ونقل أنها ملفقة من أربع روايات ، ومن ثَمَّ كانَتْ غَيْرَ متماسكة ولا مُطَّرِدَةً في اتِّسَاقٍ .

وحبذا لو أن الدكتور اطلع على هذه القصيدة في كتاب «التعليقات والنوادر»[١] لأبي علي الهجري ، فقد أوردها كاملة في (٩١) بيتاً . وقد نَشَرْتُهَا في مَجَلَّةِ (مجمع دمشق) المجلد الـ (٣٧) من ص ١٠١ ـ ١١٢ منذ نحو عشرين عاماً ولـمَّا اطَّلع عَلَيْهَا أُسْتَاذُنَا راتِبٌ تَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ رَآها عِنْدَ تحقيق شِعْر ابْنِ الدُّمَيْنَة .

٣ ــ وإضافة إلى ماأورده الدكتور النجار عن شاعر نَجْدِيٍّ بَدَوِي ، وصفه صاحب «الأغاني» بالفروسية والفصاحة ، هو ناهض بن ثُومَة الشِّهابي الكلابي ، وشعره في هذا الكتاب (٩٩) بيتاً في سبع مقطوعات ، مَعَ أَنَّ الهَجْرِيَّ صاحبَ «التعليقات والنوادر» أورد له من الشعر نحو (١٣٣) بَيْتاً دون المكرر ، لم يرد في هذا الكتاب منها سوى سَبعة أبيات ، وبما أورد الهجري يصبح ماتم العثور عليه من شعر ناهض : ٩٩ + ١٣٣ = ٢٣٢ بيتاً وهَاهو البيان :

١ ــ مقطوعة وردت في الجزء الأول المطبوع من كتاب «التعليقات والنوادر»[٢] جاء فيها :

وأنشدني أبو الميمون في كلمة ابن ثومة :

سُلَيْمَى لَـوْ شَهِـدْتِّ مُـرَامِـرَاتٍ وَقَـدْ حَشَدَ القَبَـائِلُ يَنْـظران(؟)

إلى ابْنِ أَخِيْهِـمَا لَـمَّا اسْتَـهَلَّتْ سِـمِيُّ المَـوْتِ في قَلَعٍ دَوَانِ
لَـطَامَتْ القِنَـاعَ ولَمْ تُـرَاعِـي وأَسْبَغْتِ القَنَـانَ عَـلَى البَنَـانِ

وكلمة ناهض التي منها هذه الأبيات ستأتي :

٢ ـ قصيدة طويلة على حرف الشين ، قال الهجري[٣]: وأنشدني سليمان بن يحيى بن مالك الشّهابِيُّ لناهض بن ثومة الشهابي كلاهما من كعب بن أبي بكر ابن كلاب :

أَمِنْ طَلَلٍ بين الكَثِيْبِ وأَخْطَبٍ مَحَتْهُ السَّوَافِي والرُّكَامُ الرَّشَارِشُ

وهي في القسم الذي لم ينشر من كتاب «التعليقات والنوادر» في المخطوطة التي في مكتبة (الجمعية الأسيوية) في كلكتة في الهند[٤]، ورد منها في مصورتها التي لديَّ (١٣٣) بيتاً ، منها خمسة أبيات في كتاب الدكتور النجار ، ثلاثة أبيات هي في القصيدة؛ الأول والثاني والثالث والسادس والسابع ـ وهما من القصيدة الـ (٣٦) والـ (٣٥) منها ـ أما الرابع والخامس فهما منقولان من «معجم البلدان» رسم (رمح) .

وهاهو مااستطعت قراءته من هذه القصيدة ، ومَا عَجزتُ عن قراءته وضعت مكانهُ نُقَطاً :

أَمِنْ طَلَلٍ بَـيْنَ الكَثِيْبِ وأَخْـطَبٍ مَحَتْـهُ السَّـوَافي والـرِّهَامُ الـرَّشَـارِشُ
وَمَرُّ السَّوَاجِي فَـارْتَمَى فَوْقَـهُ الحَصَى يَـذُقُّ النَّقَـا مِنْـه مُقِيْمٌ وَطَـائِشُ
وَدَقُّ السَّوَارِي فَهْوَ مِنْ طُولِ ماعَفَا كَبُـرْدِ اليَمَـانِي وَشَّـهُ الحِبْرِ نَـامِشُ
وآلَـفَـهُ البِيْضُ اليَعَـافِـيرُ والمَهَـا وزَايَلَهُ البِيْضُ الحِسَـانُ البَشَـائِشُ
ذواتُ الثَّنَـايَا الغُـرِّ والحَـدَقِ الَّتِي يَـدُفْنَ لَـمَّا كَالإِثْمِـدِ الجَوْنِ حَـامِشُ
فَـمَا تَسْتَبِيْنُ العَـيْنُ مِنْـهُ وإِنْ ثَنَتْ لَهَـا نَـظْرَةً... لِـلطَّرف نَـاعِشُ
سِوَى جُنَّحِ سُفْعِ الخُـدُوْدِ كَـأَنَّها وقَـدْ لاَحَهَـا هَضْبٌ منَ المُـزْنِ...
جَوَازِلُ غَطَّى الـرِّيْشُ فَوْقَ رُؤُوْسِهَـا وأَثْبَـاجِهَا وأَسْـوَدَّ مِنْهـا ... شَـشُ
وذِي رُمَّـةٍ صَـكَّ الصَّـلاَءُ قَـذَالَـهُ بِأَيْدِي العَذَارَى فَهْوَ في الدَّارِ وَاحِشُ[٥]

وَنَيٍّ كَعَطْفِ الطَّوْقِ قَدْ ذَرَّ فَوْقَهُ ... وَدَوَّمَ جَلَّاخٌ مِنَ السَّيْلِ خَادِشُ
خَلَاءٌ لِخِيطَانِ النَّعَامِ تَرُوْدُهُ ... كَمَطْلِيَّةٍ جِيْبَتْ عَلَيْهَا المَلَامِشُ
بِهَا الخُنْسُ فِي لَوْذِ الظِّلَالِ كَأَنَّهَا ... كَوَاعِبُ فَجَّ الخَيْمَ عَنْهُنَّ فَارِشُ
تُزَجِّي بِهَا العِينُ اليَعَافِيرُ سَخْلَهَا ... وَمَوْشِيَّةُ الأَكْتَافِ... ... ...
عَنَاجِيجُ أَمْثَالُ العَوَاهِجِ بُدَّنٌ ... هِجَانٌ عَلَيْهَا لِلْحُلِيِّ خَشَاخِشُ
كَمَا عَصَفَتْ رِيْحُ الجَنُوبِ بِعِشْرِقٍ ... تَثَنَّى عَلَيهِ نَبْتُهَا المُتَدَاوِشُ
وَغَبْرَاءَ لَاتَجْرِي بِهَا الرِّيْحُ عَاقِرٍ ... حَمَى ظِلَّهَا وَقْعٌ مِنَ الصَيْفِ مَاحِشُ
دَؤُوْبِ الصَّدَى ظَمْأَى القَطَا مُرَّةِ السُّرَى ... بِهَا مِنْ رُكَامِ البَيْضِ قِدْمًا خَرَابِشُ
إِذَا العَزَفُ الغَذَّافُ أَرْجَفَ هَامَهَا ... وَقَدْ وَتَنَتْ فِي مَا يَقُولُ الغُطَامِشُ
مَرَقْتُ بِأَيْدِي العِيْسِ مِنْهَا كَمَا مَضَى ... مِنَ الغَرَضِ الأَقْصَى المُرَامِي المُرَابِشُ
بِمَجْنُونَةِ الإِبْصَارِ فِي الهَامِ نُضَّبٍ ... مُبِينٌ بِهَا وَقْعٌ مِنَ المَيْسِ فَاحِشُ
صَفَفْنَ الأُنُوفَ فِي المَثَانِي فَأَعْصَفَتْ ... بِنَا مِثْلَ مَاصَفَّ الا... ...
عَمِينَ اللِّجِينَ الجَعْدَ حَتَّى كَأَنَّهُ ... عَمَائِمُ بِيْضٌ أَوْ عَمِيتٌ نَفَائِشُ

عَمِي : يَعْمَى : إِذَا عَمَّ الخراطِيْمَ الزَّبَدُ ، العَمِيْتَةُ والنَّفِيْشَةُ والضَّرِيبة : ما هُيِّئَ لِيُغْزَلَ مِنَ الصُّوفِ.

وَمَاءٍ قَدِيْمِ العَهْدِ بِالحَيِّ آجِنٍ ... بِأَعْطَافِهِ القِرْدَانُ دَابٍ وَنَاهِشُ
وَرَدْتُ وَلَمْ أَخْشَ الظَلامَ ولم تَرِدْ ... ...رِعَال... ... ...
وَمَيْسٍ وفِتْيَانٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... مَصَابِيْحُ، أَزْوَالُ الرحيل ...(٦)
نَضَا عَنْهُمُ الحَوْكُ اليَمَانِي كَمَا نَضَا ... عَنِ الهِنْدِ أَجْفَانٌ عَلَيْهَا المَشَامِشُ

قال : المَشَامِشُ : خرقةٌ يجعلها في النُّورة ثم يَجْلُوْ بها السيفَ ، وقال المطرفي : هو الصَّيْقَلُ .

فَمَلُّوا أَدَاوَاهُمْ مِنَ اخْضَرَ آجِنٍ ... غِشَاشاً وَلِلْحَيَّاتِ فِيهِ كَشَاكِشُ
فَلَمَّا وَرَدْنَا خَرَّ بَعْضُ رِكَابِنَا ... وَمَاجَ العِنَاقُ المُبْرَيَاتُ الغَطَامِشُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي الرَّحِيلَ، فَمَا هُنَا ... مُنَاخٌ وَلَا لِلنَّوْمِ تُلْقَى المَفَارِشُ

وَقَوْمٍ مِنَ البَغْضَاءِ تَغْلِي صُدُوْرُهُمْ عَلَيَّ كَمَا تَغْلِي القُدُوْرُ ... ...
لَهُمْ نَظَرٌ حَوْلِي يَكَادُ يُزِيلُنِي وأَبْصَارُهُمْ نَحْوَ الأَعَادِيْ مَرَامِشُ
هَمَمْتُ بِقَوْلٍ فِيْهِمُ أَنْ أَقُولَهُ وَلَسْتُ بِمُسْتَعْدٍ وَإِنِّيْ لَمَارِشُ
وشَاعِر ...ل في الخَلاَء مُجَنَّبٍ صِدَامَ العُدَى لَمْ تَكْتَنِفْه المَنَاجِشُ
إِذَا ضَمَّهُ المِطْمَارُ يَوْماً وجَدْتَّهُ ذَلِيْلاً وقَدْ يَخْزَى بِهِ مَنْ يُجَاهِشُ
صَكَكْتُهُ صَكَّ الفِيل حتى تَرَكْتُهُ أَمِيْماً بِهِ مُسْتَدْمِيَاتٌ مَقَارِشُ
أَنَا الشَّاعِرُ الخَطَّارُ مِنْ دُوْنِ عَامِرٍ وَذُو الضَّغْمِ إِذْ بَعْضُ المُحَامِيْنَ نَاهِشُ
أَقَرَّتْ مَصَاعِيْبُ القَبَائِلِ كُلِّهَا لِرِزِّي وَهَرَّتْنِي الكِلاَبُ الهَوَارِشُ
وَقَرْمٌ إِذَا مَاصَكَّ بِالنَّابِ صَكَّةً عَلَى النَّابِ أَخلته البِكَارُ الكَشَاكِشُ
وَكَبْشٌ إِذَا جَدَّ النِّطَاحُ اتَّقَتْ بِهِ بِأَكْفَالِهَا عِنْدَ النِّطَاحِ الكَبَائِشُ
وَصَقْرٌ قَطَامِيٌّ إِذَا صَكَّ صَكَّةً قَفَا خَرَبٍ حَيًّا الحَصَا وهْوَ رَاعِشُ
وَحَيَّةُ قُفٍّ بَيْنَ لَهْدَيْنِ تَلْتَوِيْ لِنَهْشَةِ حَيَّاتِ القِفَافِ النَّشَانِشِ
وَإِنَّا إِذَا خِفْنَا لَنَنْهَضُ في الوَغَى بِكُلِّ طِمِرٍّ لَمْ تُخُنْهُ الرَّوَاهِشُ
أَقَبَّ كَسِرْحَانِ الغَضَا العَبْلِ عِنْدَهُ بِفَارِسِهِ مَرٌّ مِنَ الجَرْيِ جَائِشُ
وَكُلِّ عَنُودٍ في القِيَادِ كَأَنَّهَا خُدَارِيَّةٌ بلَّتْ قَرَاهَا الطَّشَائِشُ
إِذَا كَانَ يوماً لاَ يَنَالُ قَذَاهَا لإِلْجَامِهَا إِلاَّ المُعَاطِي المُنَاوِشُ
وإِلاَّ الَّذِيْ يَحْمِي عَلَيْهَا ويَحْتَوِيْ سَوَامَ الأَعَادِي، والْمُرَادي المدايشُ
وَمِنْ عَهْدِ دَاوُوْدِ النَّبِيِّ سَوَابِغٌ عَلَيْنَا كَمَا سَالَ النِّهَاءُ المَوَارِشُ[7]
وَخَطِّيَّةٌ سُمْرٌ كَأَنَّ كُعُوْبَهَا نَوَى القَسْبِ لاَ يَقْتَصُّ مِنْهَا المُنَاهِشُ
وَبِيْضٌ إِذَا مَا جُرِّدَتْ مِنْ جُفُونِهَا لِهَامِ الأَعَادِي طَارَ مِنْهَا الفَ... ...
أَلَمْ يُقْصِرِ الفَرْعَانِ عَنْ سُوْءِ بَيْنِهِمْ وَطُولِ التَّمَادِيْ حِيْنَ طَالَ التَّجَائِشُ[8]

قال أبو علي : هذا الذي رَويتُ منها ، وذكر رواة بعض بني كلاب أنها أكثر من هذا ، وقالها بالعراق حين قال له ابنُ السِّكِّيْتِ وابْنُ الأعرابيّ: قُلْ لنا قافية على الشين . انتهى .

٣ ــ قصيدة على حرف العين أوردها الهجري تابعة للنّونية الآتية ـ فقال[9]:

وله في بني سُلَيْمٍ :

تَـرَكْنَـا بِـالنَّقِيْـعِ بَـنِي سُلَيْـمٍ ... ذَوِيْ ذُلٍّ لَـنـا وَذَوِيْ خُـضُـوْعِ
وقَـدْ نَـزَلُـوا النَّقِيْـعَ ولاَبَتَـيْـهِ ... فَـمَا نَـجَّـاهُـمُ لُـوْبُ الـنَّـقِـيْـعِ
نَـقَـبْـنَـا الحَـرَّةَ الـسَّـوْدَاءَ عَـنْهُمْ ... كَنَقْبِ الـرأْسِ عَنْ أُمِّ السَّمِيْـعِ
طَـلَعْنَـا مِنْ ثَـنَـايَـاهَـا عَـلَيْـهِمْ ... وَكُـنَّـا القَـوْمَ أَصْحَـابَ الـطُّلُوعِ
بِهِـنَّ خَـوَانِـفـاً وَبِهِـنَّ شُـعْـثـاً ... يَشِكْنَ الـوَقْـعَ كَـالْحَـدَإِ الشُّـرُوْعِ
فَـمَا غَـادَرْنَ عِـنْـدَ بـنِي خُمَـيْرٍ ... سِـوَى فَـقْـرٍ لَهُـمْ بَـاقٍ وَجُـوْعِ
عَـلَى أَنْ قَـدْ نَجَـا مِنَّـا ابْنُ يَحْيَى ... وَنَمَّـارٌ وعَـمْـرُو بْـنُ الْـمُـطِيْـعِ
وَمَـا بَـالَى ابْنُ يَحْيَى حِـيْنَ نُجِّي ... بِنَفْسِـهِ مَنْ أُصِيْبَ مِنَ الجَمِيْـعِ
رَأَوْا فِي الـلأَبَـةِ الـقَصْيَـاءِ مِنَّـا ... نُـزَاءَ العُصْمِ فِي الـوَعْـرِ المَنِيْـعِ
فَـمَا مـاجُـوا إلى البِيْض الحـوالي ... وَلَا هَمُّـوا إلَـيـهـا بـالـرُّجُـوعِ
... لله شُـكْـراً يَـاابْنَ يَحْـيَى ... وَبَـالِـغْ فِي الـتَّـهَـجُّـدِ وَالخُشُـوعِ
بِمَـا أَفْـلَتَّ مِـنْ أَسْـيَـافِ قَـوْمٍ ... ضَـوَارِيَ بِـالإِصَـابَـةِ وَالْـوُقُـوعِ
... ذَوَابِـلَ نَـاهِـلَاتٍ ... وَجُـرْدٍ مَـا يَـزِلْنَ عَـلَى صَرِيـعِ[10]

٤ ــ قصيدة نونية تقع في (٦٨) بيتاً ، جاء في مقدمتها ـ بعد إيراد القصيدة الشِّينيّة[11] ــ: وله أيضاً في يوم مُرَامِرَاتٍ لهم على بني فزارة ، أَنْشَدَنِيْهَا جماعة من بني كلاب المُطرَفي وأَبُو المُضَيَّح وغَيْرُهُمَا:

أَلَا حَـيِّ المَـنَـازِلَ بَـيْنَ رُمْـحٍ ... وبَـيْنَ الـقَـهْـبِ دَارِسَـةَ المَغَـانِي
عَـفَـاهَـا كُـلُّ أَوْطَفَ ذِيْ حَـبِيٍّ ... وَسَـافِي التُّـرْبِ مِنْ ذَاتِ الـزُّبَـانِ
مَـنَـازِلُ مِـنْ سُـعَـادَ وَجَـارَتَـيْـهَـا ... ذَوَاتِ الـدَّلِّ والسَّحْـلِ الـيَـمَـانِي
وَمَجْـدُوْلٍ زَهَـاهُ عَـلَى الـتَّرَاقِـيْ ... نَـظَائِـمُ لُـؤْلُـؤٍ بَـيْنَ الجُـمَـانِ
وَنُجْـلٍ شُبَّ جَـائِـلُهَـا بِكُـحْـلٍ ... غَـنِـيْنَ كَـأَنَّهَا حُـوْرُ الجِـنَـانِ
وَشُـنْبٍ كَـالْأَقَـاحِـيْ غِبَّ هَـضْـبٍ ... كَـأَنَّ رُضَـابَـهُ صَـفْـوُ الـدِّنَـانِ
عَـدَانِي الشَّيْبُ عَنْهَـا وَالعَـوَادِيْ ... ومِثْـلِ الشَّيْبِ عَنْـهـا مَـاعَـدَانِي
وَحَـرْبٌ أَجْمَـعَـتْ قَـيْسٌ عَـلَيْـنَـا ... فَـعَـمَّ الخَـوْفُ مِـنْ قَـاصٍ وَدَانِ

كَأَنَّا فِيْهِمُ رَبْعٌ نَقِيْلٌ ... إِلَى خَوْلَانَ أَوْ عَبْدِ المَدَانِ

تُقَاتِلُنَا قَبَائِلُهُمْ فُرَادَى ... وَمَثْنَى ذَاتُ حَشْدٍ وَاعْتِوَانِ

صَبَحْنَا يَوْمُ جَوٍّ مُرَامِرَاتٍ ... ... حَدَّ الهندواني

تَرَكْنَا مِنْهُمُ بِمُرَامِرَاتٍ ... مَلاَحِمَ لاَ تَبِيْدُ عَلَى الزَّمَانِ

تَهَادَاهُمْ ضِبَاعُ سُهُوبِ قَوٍّ ... وَمُغْرُ المَضْرَحِيَّةِ مِنْ أَبَانِ

فَلَوْ شَاهَدْتَ يَوْمَ مُرَامِرَاتٍ ... سُلَيْمَى لاَفْتَخَرْتِ عَلَى الغَوَانِي

لأَدْنَيْتِ القِنَاعَ وَلَمْ تُرَاعِي ... وَأَسْبَغْتِ اللِّبَاسَ عَلَى البَنَانِ

غَدَاةَ دَعَا المُنَادِي يَالَ غَيْظٍ ... وَأَشْرَعَتِ الأَسِنَّةُ لِلطِّعَانِ

وَكَانَ القَوْمُ أَنْدَاداً فَكَانَتْ ... بَنُو البَزَرَى لِحَيٍّ بني سِنَانِ

وَرَهْطُ مُلاَعِبِ وبني عَدِيٍّ ... وشمخ ... ... تَكَالَبَان

وَقَدْ رَكَدَتْ غَمَامَتُنَا عَلَيْهِمْ ... بِبِيْضِ الهِنْدِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ

وَجَاءَتْ مَازِنٌ أَلْباً عَلَيْنَا ... وَبَعْدُ قَبَائِلٌ مِنْهُمْ ثَمَانِ

وَغَابَ ابْنَا رَبِيْعَةَ لَمْ يَجِيْئَا ... وَعَمَّانَا عَلَيْنَا جَاهِدَانِ[12]

فَلَيْتَهُمَا غَدَاةَ مُرَامِرَاتٍ ... وَقَدْ حَشَدَ الكَتَائِبُ يَنْظُرَانِ

إِلَى ابْنِ أَخِيْهِمَا لَمَّا اسْتَهَلَّتْ ... سِمِيُّ المَوْتِ فِيْ قَلَعٍ دَوَانِ

إِذَنْ لَتَبَيَّنَا حَدًّا وَجِدًّا ... وَسَعْراً بِالأَسِنَّةِ غَيْرَ وَانِ

لِذُبْيَانٍ طَلاَئِعُ مِنْ نُمَيْرٍ ... عَلَيْنَا بَيْنَ لَمَّات عِيَانِ

تُقَاتِلُ مَرَّةً وَتَعِيْنُ أُخْرَى ... فَفَرَّتْ بِالصَّغَارِ وَبِالْهَوَانِ[13]

فَيَالله أَيُّ رَحًى رَحَانَا ... رُكُودَ القُطْبِ ثَابِتَةَ المَكَانِ

لَهَا الأَرْحَاءِ مِنْ مِئَةٍ فَحَدْرٍ ... وَلُهْوَتُهَا ثَمَانٍ وَاثْنَتَانِ

وَإِنْ تَنْشُدْ بَنِي ذُبْيَانَ تُخْبَرْ ... وَمَا الخَبَرُ المُشَكَّلُ كَالْبَيَانِ

أَلَمْ يَكُ جَمْعُهُمْ مِئَةً وَأَلْفاً ... كَجِلْبِ اللَّيْلِ ذَا أَرِبٍ وَشَانِ

عَلَى رَايَاتِ وَاحِدَةٍ وَعَشْرٍ ... عَلَى الظَّنِّ المُخَيِّبِ وَالأَمَانِي

يَقُودُهُمُ المُنَاهِبُ وَابْنُ دَهْرٍ ... وَشِمْرٌ والمُبَادِرُ وَالْيَمَانِي

وَأَوْسٌ وَابْنُهُ وابْنُ المُثَنَّى ... وَعَمَّارٌ وَنَصْرٌ ابْنُ البُنَانِ

وَقَعْقَاعٌ وَقَدْ حَامَتْ عَلَيْهِ ... عِتَاقُ الطَّيْرِ في جَزَرٍ سِمَانِ

تُوُفِّيَ مِنْهُمُ مِئَتا كَمِيٍّ ... رَدَتْ قَبْلَ النِّدَاءِ إلَى الأَمَانِ
يَدَانِ لَنَا عَلَى غَطَفَانَ نُعْمَى ... وبُؤْسَى لاَجَزَتْ بِهِمَا يَدَان
بِرَفْعِ السَّيْفِ عِنْدَ الحَرْبِ عَنْهُم ... وَكَفٌّ بَعْدَ قَتْلٍ وَاحْتِجَانِ
... فَيَمَنْ قَتَلْنَا ... مِنَ الرُّؤَسَاءِ يَوْمَ الشَّذْرَوَانِ

وَأَفْلَتَنَا المُبَادِرُ وَالعَوَالِي ... تَنُوشُهُ هَارِباً والمَوْتُ دَانِ
وَنَجَّى ابْنُ الدُّهَيِّ ولَمْ يُنَاطِرْ ... عَلَى الطَّيَّارِ يَمْرَحُ في العِنَانِ
وَقَاهُ المُجْحِفَاتِ مِنَ المَنَايَا ... يُحَرِّفُهُ وتَصْمِيْمُ الحِصَانِ
وَلَوْ دَانَى الأَسِنَّةَ لاَدَوَتْهُ ... كَمَا قَدْ تَدَّوِيْ مَنْ قَدْ يُدَانِي[١٤]
شَفَانِي في بَنِي ذُبْيَانَ يَوْمٌ ... وَلَوْلاَ قَتْلُ مُرَّةَ مَا شَفَانِي
وحَلَّ الحَرْبُ كَلْكَلَهَا بِغَيْظٍ ... صِيَالاً وَهْيَ مُوقِشَةُ اللِّيَانِ[١٥]
ذَوِي الأَضْغَانِ قِدْماً وَالتَّمَادِي ... عَلَى الأَوْتَارِ وَالأَيْدِي الجَوَانِي
عَفَرْنَا مِنْهُمُ بِمُرَامِرَاتٍ ... وُجُوهاً لاَ تَخِمُّ مِنَ الدِّهَانِ
مُلُوكاً غَالِبِيْنَ بَنِي مُلُوكٍ ... ذَوِي ضَرْبِ المَعَازِف والقِيَانِ
وَأَرْدِيَةُ العَبَهْقَرِقِي عَلَيْهِمْ ... مُحَلَّاةً بِشَذْرِ شَمَرْذُوَانِ
وفِتْيَانَ المَلاَحِمِ والمَرَادِي ... وَمُخْتَصِرِيْ عِصِيِّ الخَيْزُرَانِ
وَكَمْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِم مِنْ خُدُوْرٍ ... نَوَاعِمُ مِنْ بَنِي غَيْظٍ حِسَانِ
تُرِكْنَ حَوَانِياً بَلْ هُنَّ مِنْهُمْ ... أَرَامِلُ بِالأَسِنَّةِ لاَحَوَانِي
أَقَرَّ العَيْنَ مَالاَقَى دُعَيْجٌ ... مِنَ التَّشْمِيْسِ مِنْ بَعْدِ الصِّوَانِ
وَمُخْتَلَعٌ جِبَابُ الخَزِّ عَنْه ... وَدِرْعُ السَّابِرِيَّةِ لم يُعَانِي
وَمُلْقَى كَفِّهِ وَبِهَا خِضَابٌ ... نَجِيْعٌ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ قَانِ
فَهَذَا يَابني ذُبْيَانَ مِنَّا ... إِلَيْكُمْ قَبْلَ حَشْدٍ وَاعْتِوَانِ
وَقَبْلَ الحَزْمِ إنَّ الحَزْمَ أَعْلَى ... لإِجْمَاعِ الأُمُورِ مِنَ التَّوَانِي
فَإِنْ عُدْتُمْ بَنِي ذُبْيَانَ عُدْنَا ... وَأَيُّ عَوْدَةُ الحَرْبِ العَوَانِ
لَهَا جَلَبٌ... ... وَحَفْلٌ ... وَتَخْلِيْطٌ... ... وَالزَّمَانِ
وَتُنْتِجُ بَعْدَ إِتْقَالٍ تَمَاماً ... وَتُصْبِحُ لاَقِحاً قَبْلَ الصِّنَانِ

وَقَدْ رَامَتْ ظُلاَمَتَنَا تَمِيْمٌ ... فَرَاحَتْ كَالْعَطُوفِ عَلَى عِرَانِ
وَرَامَتْهَا بَنُو ذُبْيَانَ طُرًّا ... فَهَلْ وَجَدُوا - سَلُوهُمْ - مِنْ لِيَانِ
سَلُوا عَنَّا عُمُومَتَنَا نُمَيْراً ... وَمَا الخَبَرُ الْمُجَمْجَمُ كَالْبَيَانِ
غَدَاةَ الجُرْفِ إِذْ وَرَدُوا عَلَيْنَا ... بِذِي لَجَبٍ شَدِيْدِ الإِرْنَوَانِ
كَأَنَّ هَمَاهِمَ الأَبْطَالِ فِيْهِ ... أَزِيْزُ الغَيْثِ أَوْ ضَرْبُ القِيَانِ
عَلَى أَنَّا نُمَارِسُ مِنْ سُلَيْمٍ ... وَشِدَّتِهِمْ عَرُوْضاً ذَاتَ شَانِ
فَنَحْنُ لَهُمْ وَنَحْنُ إِلَى نُمَيْرٍ ... كَغَرْبِيْ نَاضِحٍ يَتَدَاوَلاَنِ
وَنَقْلِبُهَا لإِخْوَتِنَا عُقَيْلٍ ... فَهُنَّ نَوَاعِبٌ أَبداً عَوَانِي
فَهذِي يَا عُمُومَتَنَا إِلَيْكُم ... هَدَايَانَا فَقَرُّوا لِلْهَوَانِ

ولم تتضح كلمات كثيرة منها ، وقد أورد صاحب «اللسان» البيت السادس والعشرين في رسم (عين) ــ: وعان لهم كاعتان ـ الهجري ، وأنشد لناهض بن ثومة الكلابي ـ وأورد البيت .

٥ ــ وقال الهجري[١٦]: وهم الأبون ـ مرفوعة ـ وأَبين منصوبة ومخفوضة ، وزن (...) لجماعة اب ، قال الكلابي ناهض بن ثومة :

وأَبْيَضَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي نُمَيْرٍ ... يَحْمِي الْمُحْجِرِيْنَا
أَغَرَّ تَفَرجُ الظَّلْمَاءُ عَنْهُ ... يُفَدَّى بِالأَعُمِّ وَبِالأَبِيْنَا

والبيت الأخير أورده صاحب «اللسان» في رسم (ابي) شاهداً على (أَبِيْنَ) في الجمع .

٦ ــ ومن المناسب أن نورد خبراً يتعلق بابنه غدير ، أورده الهجري في القسم المطبوع من «نوادره» ٢٢٢/٢ بما هذا نصه : لغدير بن ناهض بن ثومة ، أبي الأسوار ، ومات بِحجْرِ اليَمامة وقد بلغ سناً عالياً ، من كلمة يمدح بعض قريش :

يعطي ويعلم حين يعطي ماله ... أن اللئيم ومالـه لا يخلد
وتكون نافلة الغنى من مالـه ... نقداً، ونافلةُ اللئيم الموعد

وإذا بِـكَ المتخلقـون تشبهـوا أبت المكـارم والفعـال الأصيـد

٧ ــ وقد أورد الهجري[١٧] أيضاً في «التعليقات والنوادر» ما نصه : وأنشدني ابنُ بَذَّالٍ الكلابي وهذا ابن عم ابن ثومة .

ولقد سعيت للحصول على نسخة من كتاب الدكتور النجار «مجمع الذاكرة» حين رأيت نسخة منه مهداة لأستاذ جليل في مصر ، فبحثت عنه في المكتبات ، ثم لما زرت تونس بحثت في مكتباتها ومنها الدار التونسية ، ولولا أن الأستاذ الجليل الدكتور المنجي الشملي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية ←

الحواشي :

(١) «التعليقات والنوادر» مصورة المخطوطة الهندية ص ١٩ ومابعدها ، وجاء في مقدمتها : وأنشدني الحسن بن عامر الرويبي هلالي ، وأبو محمد البيشي ، والشهراني وغيرهم لابن الدمينة وهو : عبدالله بن عبيد الله حطيطي من عامر بن تيم خثعمي ، وكتبنا في هذه النسخة ما صح من قوله ، وتركنا ما زيد من شعر المجنون و . . . ابن غالب ، وغيرهما مما لاشك فيه ـ ثم أورد القصيدة .

(٢) ١/٢١٧ ، وفي مصورة المخطوطة المصرية : ١٤٠ .
١ ــ أبو الميمون من شيوخ الهجري الذين روى عنهم ، سماه ، وأورد نسبه يحيى بن عبادة ، وساق النسب إلى قشير بن كعب .
٢ ــ القُنان : قال أبو علي : أهل السَّهْل يسمون الكُمَّ : القُنَانَ ، والجمع أُقِنَّةٌ ، قال : ولا يعرف في كلامنا غيره . انتهى من أصل الكتاب .

(٣) من ص ٨٤ إلى ص ٨٩ . مصورة المخطوطة الهندية.

(٤) أنظر وصفها في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع»: ١٥٨ .

(٥) الصلاءُ : يريد الفِهْرَ جمع صِلاَء ـ كذا في هامش الأصل ـ .

(٦) كلمة لم تتضح ، وكتب معناها في الهامش: (خِفاف) .

(٧) كتب في الهامش : يمرش الأرض .

(٨) كتب في الهامش: الفرعان : كعب وكلاب .

(٩) المصورة الهندية : من ص ٩٠ إلى ص ٩٦ .

(١٠) كتب فوق كلمة يَزِلْنَ (مَعاً) والزاي فوقها فتحة وتحتها كسرة .

(١١) مصورة المخطوطة الهندية : من ص ٩٠ إلى ص ٩٦ .

(١٢) في الهامش : ابنا ربيعة : كعب وكلاب . وعمانا : نمير وهلال .

(١٣) في هامش مخطوطة الأصل : تَعِينُ بفتح التاء تكون لهم عيوناً وطلائع ، لامن المعونة .

(١٤) فوق كلمة (لاَدْوَتْهُ) و(تَدْوِيْ): كلمتا: (لاَحْتَوَتْه) و(تحتوي) .

(١٥) في الهامش: (الحرب يذكر ويؤنث) .

(١٦) ــ ٣٦٤ ــ المصورة عن المخطوطة الهندية .

(١٧) القسم المطبوع: ١/٥٤ .

← أفضل بنسخة منه بواسطة المندوب الدائم السعودي في منظمة التربية والعلوم الأستاذ الصديق يوسف السيف ، لما تمكنت من الإستفادة منه ، ولندرته نشرت ماجاء فيه عن هذا الشاعر النجدي الذي يحرص القراء في بلادنا على معرفة كل ما يتصل به .

وهاهو نص مافي الكتاب ، قال الأستاذ الدكتور إبراهيم النجار[١]:

ناهض بن ثومة الكلابي وما تبقى من شعره :

أَهْمَلُه القُدماءُ والمُحدَثون ، فَلاَ ذكرَ له في مُعجم المَرْزُباني ، ولا إشَارةَ لديوَانِه في كتاب الفهرسْت ، ولا أثر له لدى المعاصرين من دَارسي الأدب القديم[٢]. وكل ما لَدَيْنا من أخْباره ، وهي قليلةٌ ، ومِنْ شعره ، ولا يتجاوزُ مئةَ بيْت ، يكاد يتفرّدُ به كتابُ الأغاني . وممّا يُسْتَفَادُ مِنْ تَرْجمته المُوجزةِ التي أَوْردَها أبو الفَرج أنّه (كانَ شاعراً بَدَوياً فَارساً فَصيحاً من شعراء الدولة العباسية)[٣] وأَنَّ جَدَّه كان شاعراً ، وأَنَّ نسبَه يتّصِلُ برَبِيعَةَ بن عَامِر بن صَعْصَعَةَ . فهو من شُعَرَاءِ القَيْسِيّةِ القَلاَئل في القرن الثاني ـ إلى جانب بشّار بن بُرد مَوْلى بني عُقَيْل ، وأَشْجَعَ السلَمِيّ ـ الّذين صحّحَتْ الرّوايةُ أَنْسَابَهم تَعَصُّباً على اليَمَنِ وربيعةَ ـ اللذَيْنِ استَأثَرَا بِفُحُولَةِ الشّعر مُذْ قيام الدّولة الجديدة[٤].

وَمَعَ ذلك بَقِيَ نَاهِضٌ مَغْمُوراً ، وهو أَمْرٌ لا نَسْتَغْرِبُه إذْ أَنّنا نَعْلَمُ أنّ الشاعرَ لَمْ يَنْتَجِعْ بغدادَ ولم يطرُقْ أَبْوَابَ الأَشْرَاف ولم يكن مِمّنْ (بِأَيْدِيهِمْ الرّقَاعُ يَطُوفُونَ بِهَا)[٥]، وإنّما بَقِيَ عَلَى بَدَاوَتِهِ يَنْتَجِعُ باديةَ العراق بِنَواحي البصرة ، وبادية الشام بنواحي حلَب ، ثمَّ هوَ يقْدَمُ البصرةَ لِـمَاماً فيُكْتَبُ عَنْهُ شِعْرُهُ ، وتُؤخَذُ عنه اللّغةُ ، ويَرْوي عنه أَمْثَالُ الرِّياشي وأَبي سُرَاقَة ودَمَاذ غُلاَمُ أَبي عُبَيْدة ، ويَبْدو أَنَّ صِلاَته بمُعَاصريه لَـم تتجاوزْ أهلَ العلْم من الرُّواةِ[٦] وبعضِ الأمراء من وُلْد خالد بن يزيد[٧] يَفِدُ عليهم عنْد انْتِجاعِهِ فَيصلُونَهُ أمّا علاَقَتُهُ بشعراء العصر فكلُّ ما نعلَمُه هو أنَّه كانت له مهاجاةٌ مع عُمَارةَ بن عَقِيل بن بَلاّل بن جَرِير (توفي ٢٣٩) ـ ولا تفيدنا المصادر شيئاً عن تاريخ وفاته ، وأَغلب الظَّنِّ أنه أدرك القَرْن الثّالث وتوفّي في عقده الأول أو الثاني[٨].

يَجْري شِعْرُ نَاهِض بن ثُومةَ بمعْزَلٍ عن المدينة ، ويَنْغَرِسُ في صَميم بادية العراق والشّام ، وتكاد تَنْحصر أغراضُه فيما كان يَجدُّ آنذاكَ بديَار مُضَر ـ ولأسبَابٍ تَافِهَة[٩] ـ من نِزَاعات هَامِشيّة بيْنَ القَيْسِيّة (بني نُمَيْر وبني رَبيعةَ بن صعْصَعَةَ فيما بينها) ، يتّخِذُها الشّاعرُ مطيّةً للمفَاخرة بقوْمه والإشادَةِ بِمَآثِرِهِمْ . وإنّ المتفحّص لشعره ـ والغالبُ عليه المُطَوَّلاتُ ـ يَلْمسُ في صَفَاءِ عِبَارته ، وبراءةِ صُوَرِهِ امتداداً لأنماط الشّعر القديم كما استقرَّتْ لدى شعراء صحراء الجزيرة ، ومَنْ ارْتَسَمَ خُطَاهُم من شعراء البادية الصَّعاليك في القرن الأول كعُبَيْد بن أيوب العَنْبَريّ ، وطَهْمَان الكلابيّ ، والقَتّال ، والخطيم المحْرِزِيّ ، وعُبَيْد الله بن الحُرّ ، مِمّنْ احتفظَ ابنُ مَيْمُون في «مُنْتَهَى الطّلب» (مخطوط) بمختارات من أشعارهم[١٠]. فهو شعرٌ عربيٌّ محضٌ تَتَفَجّرُ فيه ثَقَافةُ الصَّحْراء حَيّةً متجدّدَةً ، لـمْ تَمَسّهَا (لَوثَةُ) المدينةِ . وهو شِعْرٌ يَجْري عن بديهَةٍ ويُذَكّرنا بما تعْتملُ فيه من قيم الفخْر الذاتي والفخر القبلي[١١]، بأنّ سَنَدَ البداوةِ لـمْ ينقطعْ في خِضَم (بدَع) المُحْدَثين ، وأنّ ثقافةَ البادية الحَق ـ لاَ ثقافةَ منْ تشبّهُوا بها أمْثَال عَلِي بن عَاصِم العَنْبَري[١٢]، أو العَكّوك[١٣] من المعاصرين وأبي تَمّام[١٤] من شعراء القرن الثّالث ـ بَاقيةٌ متجدّدةٌ وأنّ مَنْحَى الأصالَةِ المُلْتَحمِ بهذه الثقافة (التّأسِيسيّة) سَيَتَواصل حتّى القرن الرّابع ، مُتخطّياً مَدْرَسة البَديع ، لَيَجِدَ في المتنبّي وأبي فراس خيرَ التابعين . على أنّه يَنْبَغي أنْ لاَ نَنْسَى أنّ ذُيُوعَ مثلَ هذا الشّعر لَـمْ يكنْ أمراً مَيْسوراً . فَنَاهض وأضْرَابهُ من شُعراء بَادِية الحِجَاز[١٥] والعِرَاق الذين لـمْ يَسْتَقِروا بالعَواصِم الجديدة ولم يَطْرُقُوا أبْوَابَ الأشْراف ، قد أغفلَهُم مَنْ تَرْجَم للمُحدَثِينَ كابن المُعْتَزّ (توفي ٢٩٦هـ) وابن الجَرّاح (توفي ٢٩٦هـ) ، لاهْتِمَام هؤلاء أساساً بشعراء الحَواضر . نُضيف إلى هذا أنّ مَا حِيكَ من أخْبَارٍ هَازلَةٍ حول الحياة بالبادية ، رَوَّجَهَا (شَيَاطينُ الأعراب) بالمِرْبد اسْتجابةً لذوْق العصر ، كما سبق أنْ ذَكَرْنَا[١٦] وتَلَقّفَهَا الحَضَرُ للتّفَكهِ والتّملُّحِ ، كان مِن نتائجه أنْ بَقِي مُعْظَمُ شعرِ البادية على هامِش مُدَوِّنة الشّعر الرَّسْمي . فقلّتْ روايتُه وقلَّ قائلُوه . ولعلَّ الخَبَرَ المطوَّل الذي نَقَلَهُ أبُو الفَرج[١٧] والذي يُصَوّرُ بطريقَةٍ هَزَليّةٍ أعْرَابيّةَ نَاهِض ، خيرُ دَليل على هذه الظّاهرة . فَهَلْ نَسْتَغْرِبُ بعد هذا إن بَقِيَ شعرُ المولّدين عُموماً بِمَعْزَلٍ

عنْ ثَقافة الصّحراء الحَقّ ، تلك التي مَثَّلَ ناهضُ بن ثُومةَ ، في أَعْقَابِ القرن الثاني ، إحْدى حلقاتها الأَخيرة ؟!

مصادر ترجمته وشعره :

- «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ - ص ١٧٥ - ١٨٨ .
- «مختار الأغاني» ج ٨ ص ٢٨ - ٣٤ .
- «الحيوان» ج ٧ ص ١١٢ .
- «تَبْصير المُنْتَبِه بتحْرير المشتبه» ج ١ ص ١١٠ .
- «معجم البلدان» ط . أوروبا ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٥/ ج ٢ ص ٨١٦/ ج ٣ ص ٤٨١ .
- «تاج العروس» ج ٥ ص ٩٦ .

المراجع الحديثة :

- فؤاد سزكن «تاريخ . . .» ج ٢ ص ٥٠٧ .
- الزركلي: «الأعلام» ج ٨ ص ٣١٩ .
- شارل بلا «الجاحظ . . .» ص ٢٣٣ .

— ١ —

قال يُجيبُ عُمَارةَ بن عَقيْل[١٨] وقد عَرَّض بكَعْب وكِلاَب ابنَيْ رَبِيعَةَ في الحَرْب التي كانت بَيْنهم وبين نُمَيْر :

[الوافر]

يُحَضِّضُنا عُمارَةُ في نُمَيْرٍ ... لِيَشْغَلَهُمْ بِنَا وَبِهِ أَرَابُوا
ويَزْعَمُ أَنَّنا خُرْنَا وَأَنّاً ... لَهُمْ جَارُ المُقَرَّبَةِ المُصَابُ
سَلُوا عَنّا نُمَيْراً هَلْ وَقَعْنَا ... بِنَزْوَتِهَا التي كَانَتْ تُهَابُ
أَلَمْ تَخْضَعْ لَهُمْ أَسَدٌ وَدَانَتْ ... لَهُمْ سَعْدٌ وَضَبَّةُ والرِّبَابُ
وَنَحْنُ نَكُرُّهَا شَغَباً عَلَيْهِمْ ... عَلَيْهَا الشِيبُ مِنَّا وَالشَّبَابُ
رَغِبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي قُرَيْعٍ ... إِلَى القَلْعَيْنِ[٢٠] إِنَّهُمَا اللُّبَابُ

صَبَحْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ يَدِفُّ كَأَنَّ رَايَتَهُ الْعُقَابُ
أَجَشُّ مِنَ الصَّوَاهِلِ ذي دَوِيٍّ تَلُوحُ الْبِيضُ فِيهِ وَالْحِرَابُ
فَأَشْعَلَ حِينَ حَلَّ بِوَارِدَاتٍ[٢١] وَثَارَ لِنَقْعِهِ ثَمَّ انْصِبَابُ
صَبَحْنَاهُمْ بِهَا شُعْثَ النَّوَاصِي وَلَمْ يُفْتَقْ مِنَ الصُّبْحِ الْحِجَابُ
فَلَمْ تُغْمَدْ سُيُوفُ الْهِنْدِ حَتَّى تَعَيَّلَتِ الْحَلِيلَةُ وَالْكَعَابُ

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٧ .

ـ ٢ ـ

وقال في وَقْعَة كانت لِبَنِي كِلَاب على بني نُمَيْر ، اعتزلت فيها بنُو كَعْب الفريقين :

[الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى كَعْباً عَلَى نَأْيِ دَارِهِمِ وَخِذْلَانِهِمْ أَنَّا سَرَرْنَا بِنِي كَعْبِ
بِمَا لَقِيَتْ مِنَّا نُمَيْرٌ وَجَمْعُهَا غَدَاةَ أَتَيْنَا فِي كَتَائِبِنَا الْغُلْبِ
فَيَالَكَ يَوْماً بِالحِمَى[٢٢] لَا نَرَى لَهُ شَبِيهاً وَمَا فِي يَوْمِ شَيْبَانَ مِنْ عَتْبِ
أَقَامَتْ نُمَيْرٌ بِالحِمَى غَيْرَ رَغْبَةٍ فَكَانَ الذي نَالَتْ نُمَيْرٌ مِنَ النَّهْبِ
رُؤُوسٌ وَأَوْصَالٌ يُزَايِلُ بَيْنَهَا سِبَاعٌ تَدَلَّتْ مِنْ أَبَانَيْنِ[٢٣] والهَضْبِ
لَنَا وَقَعَاتٌ فِي نُمَيْرٍ تَتَابَعَتْ بِضَيْمٍ عَلَى ضَيْمٍ وَنَكْبٍ عَلَى نَكْبِ
وَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلَانَ كُلُّهَا وَلِلْحَرْبِ أَنْبَاءٌ[٢٤] بِأَنَّا بَنُو الحَرْبِ
أَلَمْ تَرَهُمْ طُرًّا عَلَيْنَا تَحَزَّبُوا وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرُّدَيْنِيَّ مِنْ حِزْبِ
وَإِنَّا لَنَقْتَادُ الجِيَادَ عَلَى الوَجَى لِأَعْدَائِنَا من لَا مُدَانٍ وَلَا صَقْبِ
فَفِي أَيِّ فَجٍّ مَارَكَزْنَا رِمَاحَنَا نَخُوفٍ بِنَصْبٍ لِلْعِدَى حينَ لا نَصْبِ

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

ـ ٣ ـ

وقال من قصيدة عَقِبَ حربٍ بين كَعْب و[كلاب] كان مَآلها الصّلح بين الفريقين :

[الوافر]

أَمِنْ طَلَلٍ بِأَخْطَبَ[٢٥] أَبَّدَتْهُ ... نَجَاءُ الوَبْلِ والدِّيَمُ النِّضَاحُ
وَمَرَّ الدَّهْرِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ... فَمَا أَبْقَى المَسَاءُ ولَا الصَّبَاحُ
فَكُلُّ مَحَلَّةٍ غَنِيَتْ بِسَلْمَى ... لِرِيدَاتِ الرِّيَاحِ بِهَا نُوَاحُ
تُطِلُّ عَلَى الجُفُونِ الحُزْنَ حَتَّى ... دُمُوعُ العَيْنِ نَاكِزَةٌ نِزَاحُ...
هَنِيئاً لِلْعِدَى سُخْطٌ وَرَغْمٌ ... وَلِلْفَرْعَيْنِ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاحُ
وَلِلْعَيْنِ الرُّقَادُ فَقَدْ أَطَالَتْ ... مُسَاهَرَةً وَلِلْقَلْبِ انْتِجَاحُ
وَقَدْ قَالَ العُدَاةُ نَرَى كِلَاباً ... وَكَعْباً بَيْنَ صُلْحِهِمَا افْتِتَاحُ
تَدَاعَوْا لِلسَّلَامِ وأَمْرِ نُجْحٍ ... وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا فِيهِ النَّجَاحُ
وَمَدُّوا بَيْنَهُمْ بِحِبَالِ مَجْدٍ ... وَثَدْيٍ لَا أَجَدُّ وَلَا ضَيَاحُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ القَوْمِ يُخْشَى ... وَأَنَّ حَرِيمَ واحِدِهِمْ مُبَاحُ
وَأَنَّ القِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْداً ... فَيُهْصَرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ
وَأَنَّكَ إِنْ قَبَضْتَ بِهَا جَمِيعاً ... أَبَتْ مَا سُمْتَ وَاحِدَهَا القِدَاحُ
أَنَا الخَطَّارُ دُونَ بَنِي كِلَابٍ ... وَكَعْبٍ إِنْ أُتِيحَ لَهُمْ مُتَاحُ
أَنَا الحَامِي لَهُمْ وَلِكُلِّ قَرْمٍ ... أَخٌ حَامٍ إِذَا جَدَّ النِّضَاحُ
أَنَا اللَّيْثُ الذي لا يَزْدَهِيهِ ... عُوَاءُ العَاوِيَاتِ وَلَا النُّبَاحُ
سَلِ الشُّعَرَاءَ عَنِّي هَلْ أَقَرَّتْ ... بِقَلْبِي أَوْ عَفَتْ لَهُمُ الجِرَاحُ
فَمَا لِكَوَاهِلِ الشُّعَرَاءِ بُدٌّ ... مِنَ القَتَبِ الذي فِيهِ لَجَاحُ
وَمِنْ تَوْرِيكِ رَاكِبِهِ عَلَيْهِمْ ... وَإِنْ كَرِهُوا الرُّكُوبَ وَإِنْ أَلَاحُوا

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

ـ ٤ ـ

من قصيدةٍ ضائعةٍ وَرَدَتْ فِقَرٌ منها مُتَنَاثِرَةً في «الحيوان» و«البلدان» :
[الطويل]

ـ أ ـ

أَمِنْ[٢٦] طَلَلٍ بَيْنَ الكَثِيبِ وَأَخْطبٍ[٢٧] ... خَمَتْهُ السَّوَاجِي والهِدَامُ الرَّشَائِشُ

وجرُّ السّوَافي فارْتمى فوْقه[٢٨] الحَصَى فَـذَفُّ النّقَـا مِنْـهُ مُقِيمٌ وطَـائِشُ
وَمَرُّ اللّيَالي فَهْوَ مِنْ طُولِ مَا عَفَا كَبُـرْدِ اليَماني وَشّـهُ[٢٩] الحِبْرُ نَـامِشُ

معجم البلدان رسم (أخطب) .

ـ ب ـ

فَـمَا الـعَهْـدُ مِـنْ أَسْـمَاءَ إلاَّ مَحَلَّةً كَـمَا خَطَّ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ الـرَّوَاقِشُ
بِـرُمْحَيْنِ أَوْ بِـالْمِنْحَنَى دَبَّ فَـوْقَهَـا سَفَا الرّيحِ أَوْ جِذْعٌ مِنَ السّيْلِ خَادِشُ

«معجم البلدان» رسم (رمحين) .

ـ ج ـ

أَنَـا الشّاعِـرُ الخَطّارُ مِنْ دُونِ عَـامِرٍ وَذُو الضَّغْمِ إِذْ بَعْضُ المُحَامِينَ نَاهِشُ
بِخَبْطِ كَخَبْطِ الفِيـلِ حَتّى تَـرَكْتُـهُ أَمِيمـاً بِـهِ مُسْتَـدْمِيَـاتٌ مَقَـارِشُ

«الحيوان» ج ٧ ص ١١٢ .

ـ ٥ ـ

قال أبو الفرج : (نَسختُ من هذا الكتاب[٣٠] الذي فيه شعْرُهُ. . . أنَّ وَقْعةً كانتْ بَيْنَ بَنِـي نُمير وبني كلاَب بنَوَاحِـي ديَار مُضرَ ، وكانت لِكِلابٍ عَلى بَنِـي نُمَيْر ، وأَنَّ نُمَيْراً اسْتَغاثَتْ ببني تَميم ، ولَجَأتْ إلَى مَالِك بن زيدٍ سَيد تَميم يَوْمَئذٍ بديَارِ مُضرَ فَمَنَعَ تميماً من إنْجادِهِمْ ، وقَال : ما كنا لِنُلْقِـي بَيْنَ قَيْس وخِنْدف دمَاء نَحْنُ عَنْهَا أَغْنِيَاءُ ، وأَنْتُمْ وَهُمْ لَنَا أَهْلٌ وإخْوَةٌ ، فإنْ سَعَيْتم في صُلْح عَاوَنّا ، وإن كانَتْ حَمَالَةً أَعَنّا فَأمّا الدِّمَـاءُ فَلاَ مَدْخَلَ لَنا بَيْنَكُم فيها . فقال نَاهِضُ بن ثومة في ذلك :

[الوافر]

سَـلاَمُ الله يَـا مَـالِ[٣١] بْنَ زَيْـدٍ عَلَيْـكَ وَخَـيْرُ مَـا أُهْـدِي السّـلاَمـا
تَـعَـلَّمْ أَيّـنَـا لَـكُـمُ صَـديـقٌ فَـلاَ تَـسْتَـعْجِلُوا فِينَـا المَـلاَمَـا
وَلَـكِـنّـا وَحَـيُّ بَـنِي نُـمَيْـرٍ عُـدَاةٌ لاَ نَـرَى أَبَـداً سَـلاَمَـا

وَإِنْ كُنَّا تَكَافَفْنَا قَلِيلاً ... كَحَرْفِ السَّيْفِ يَنْهَارُ انْهِدَامَا
وَهَيْضُ العَظْمِ يُصْبِحُ ذَا انْصدَاع ... وَقَدْ ظَنَّ الجَهُولُ بِهِ الْتِئَامَا
فَلَنْ نَنْسَى الشَّبَابَ المُرْدَ مِنَّا ... وَلَا الشِيبَ الجَحَاجِحَ والكِرَامَا
وَنَوْحَ نَوَائِحٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ ... مَآتِمَ مَا تَجِفُّ لَهُمْ سِجَامَا
فَكَيْفَ يَكُونُ صُلْحٌ بَعْدَ هَذَا ... يُرَجِّي الجَاهِلُونَ لَهُمْ تِمَامَا
أَلَا قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ تَمِيمٍ ... وَخُصَّ لِمَالِكٍ فِيهَا الكَلَامَا
فَزِيدُوا يَا بَنِي زَيْدٍ نُمَيْراً ... هَوَاناً إِنَّهُ يُدْنِي الفِطَامَا
وَلَا تُبْقُوا عَلَى الأَعْدَاءِ شَيْئاً ... أَعَزَّ اللهُ نَصْرَكُمُ وَدَامَا
وَجَدْتُ المَجْدَ فِي حَيَّيْ تَمِيمٍ ... وَرَهْطِ الهَذْلَقِ[٣٢] المُوفِي الذِّمَامَا
نُجُومُ القَوْمِ مَا زَالُوا هُدَاةً ... وَمَا زَالُوا لِآبِيهِمْ زِمَامَا
هُمُ الرَّأْسُ المُقَدَّمُ مِنْ تَمِيمٍ ... وَغَارِبُهَا وَأَوْفَاهَا سَنَامَا
إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ آبَ نَجْمٌ ... أَغَرُّ نَرَى لِطَلْعَتِهِ ابْتِسَامَا
فَهَذِي لابْنِ ثُومَةَ فَانْسِبُوهَا ... إِلَيْهِ لَا اخْتِفَاءَ وَلَا اكْتِتَامَا
وَإِنْ رَغِمَتْ لِذَاكَ بَنُو نُمَيْرٍ ... فَلَا زَالَتْ أُنُوفُهُمْ رَغَامَا

التخريج :

«الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
«تاج العروس» رسم جكص (البيت ١٦) .
«تَبْصير المُنتبه بتحرير المُشْتَبِه» ج ١ ص ١١٠ (البيت ١٦) .

ـ ٦ ـ

قال أبو الفرج : كَان يَهْجُوهُ [يَعنِي ناهضاً] رجلٌ من بَنِي الحَارث بن كَعْب ، يُقَال له : نَافِعُ بن أَشْعَرَ الحارثيُّ ، فَأَثْرَى عَلَيْه نَاهضٌ . فَمِمَّا قَالَهُ في جواب قصيدة هَجَا بها قبائلَ قَيْسٍ ، قَصِيدَتُهُ التي أَوَّلُهَا :

[الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمَا يَأَيُّهَا الطَّلَلَانِ ... وَهَلْ سَالِمٌ بَاقٍ عَلَى الحَدَثَانِ

أَبِينَا لَنَا حُيِّيتُمَا اليَوْمَ إِنَّنَا ... مُبِينَانِ عَنْ مَيْلٍ بِمَا تَسْلَانِ
مَتَى العَهْدُ مِنْ سَلْمَى التِي بَتَّتِ القُوَى ... وَأَسْمَاءَ إِنَّ العَهْدَ مُنْذُ زَمَانِ
وَلَا زَالَ يَنْهَلُّ الغَمَامُ عَلَيْكُمَا ... يُسِيلُ الرُّبَى مِنْ وَابِلٍ وَدِجَانِ
فَإِنْ أَنْتُمَا بَيَّنْتُمَا أَوْ أَجَبْتُمَا ... فَلَازِلْتُمَا بِالنَّبْتِ تَرْتَدِيَانِ
وَجُرَّ الحَرِيرُ والفِرِنْدُ عَلَيْكُمَا ... بِأَذْيَالِ رَخْصَاتِ الأَكُفِّ هِجَانِ
نَظَرْتُ وَدُونِي قَيْدُ رُمْحَيْنِ نَظْرَةً ... بِعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ
إِلَى ظُعُنٍ بِالعَاقِرِينَ كَأَنَّهَا ... قَرَائِنُ مِنْ دَوْحِ الكَثِيبِ ثَمَانِ
لِسَلْمَى وَأَسْمَاءَ اللَّتَيْنِ أَكَنَّتَا ... بِقَلْبِيَ كَنِينَيْ لَوْعَةٍ وَضَمَانِ
عَسَى يُعْقِبُ الهَجْرُ الطَّوِيلُ تَدَانِياً ... وَيَا رُبَّ هَجْرٍ مُعْقِبٍ بِتَدَانِي
خَلِيلَيَّ قَدْ أَكْثَرْتُمَا اللَّوْمَ فَارْبَعَا ... كَفَانِيَ مَابِي لَوْ تُرِكْتُ كَفَانِي
إِذَا لَمْ تَصِلْ سَلْمَى وَأَسْمَاءُ فِي الصِّبَا ... بِحَبْلَيْهِمَا حَبْلِي فَمَنْ تَصِلَانِ
فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ قَدْ عَجِبْتُ لِنَافِعٍ ... وَمَعْوَاهُ مِنْ نَجْرَانَ حَيْثُ عَوَانِي
عَوَى أَسَداً لَا يَزْدَهِيهِ عُوَاؤُهُ ... مُقِيماً بِلَوْذَيْ يَذْبُلٍ[٣٣] وَذِقَانِ[٣٤]
لَعَمْرِي لَقَدْ قَالَ ابْنُ أشعرَ[٣٥] نافعٌ ... مَقَالَةَ مَوْطُوءِ الحَرِيمِ مُهَانِ
أَيَزْعَمُ أَنَّ العَامِرِيَّ لِفِعْلِهِ ... بِعَاقِبَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
وَيَذْكُرُ إِنْ لَاقَاهُ زَلَّةَ نَعْلِهِ ... فَجِيءٍ لِلَّذِي لَمْ يَسْتَبِنْ بِبَيَانِ
كَذَبْتَ وَلَكِنْ بِابْنِ عُلْبَةَ جعفرٍ[٣٦] ... فَدَعْ مَا تَمَنَّى زَلَّتِ القَدَمَانِ
أُصِيبَ فَلَمْ يُعْقَلْ وَطُلَّ فَلَمْ يُقَدْ ... فَذَاكَ الذي يُخْزَى بِهِ الأَبَوَانِ
وَحُقَّ لِمَنْ كَانَ ابْنُ أَشْعَرَ ثَائِراً ... بِهِ الطَّلُّ حَتَّى يُحْشَرَ الثَّقَلَانِ
ذَلِيلٌ ذَلِيلُ الرَّهْطِ أَعْمَى يَسُومُهُ ... بَنُو عَامِرٍ ضَيْماً بِكُلِّ مَكَانِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَوْلُهُ بِلِسَانِهِ ... وَمَا ضَرَّ قَوْلُ كَاذِبٌ بِلِسَانِ
هَجَا نَافِعٌ كَعْباً لِيُدْرِكَ وِتْرَهُ ... وَلَمْ يَهْجُ كَعْبٌ نَافِعاً لِأَوَانِ
وَلَمْ تَعْفُ مِنْ آثَارِ كَعْبٍ بِوَجْهِهِ ... قَوَارِعُ مِنْهَا وُضَّحٌ وَقَوَانِ
وَقَدْ خَضَّبُوا وَجْهَ ابْنِ عُلْبَةَ جَعْفَرٍ ... خِضَابَ نَجِيعٍ لَا خِضَابَ دِهَانِ
فَلَمْ يَهْجُ كَعْباً نافعٌ بعد ضَرْبَةٍ[٣٧] ... بِسَيْفٍ وَلَمْ يَطْعَنْهُمُ بِسِنَانِ

فَمالكَ مهْجَى يا ابن أشعَرَ فاكْتَعِمْ[38] عَلَى حَجَرٍ وَاصْبِرْ لِكُلِّ هَوَانِ
إذَا المرْءُ لَمْ يَنْهَضْ فَيَثْأَرْ بِعَمِّهِ[39] فَلَيْسَ يُجَلَّى العَارُ بِالهَذَيَانِ
أَبي قَيْسُ عَيْلَان وَعَمِّيَ خِنْدِفٌ ذَوَا[40] البَذْخِ عِندَ الفَخْرِ وَالخَطَرَانِ

إذَا مَا تَجَمَّعْنَا وَسَارَتْ حِذَاءَنَا رَبِيعَةُ لَمْ يُعْدَلْ بِنَا أَخَوَانِ
أَلَيْسَ نَبِيُّ الله مِنَّا مُحَمَّدٌ وَحَمْزَةُ وَالعَبَّاسُ وَالعُمَرَان
وَمِنَّا ابْنُ عَبّاس وَمِنَّا ابنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ إمَامُ الحَقّ وَالحَسَنَانِ
وَعُثْمَانُ وَالصِّدِّيقُ مِنَّا وَأَنَّنَا لَنَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ مَا يَعِدَانِ
وَمِنَّا بَنُو العَبّاس فَضْلاً فَمَنْ لَكُمْ هَلُمُّوهُ أَوْ لاَ يَنْطِقَنَّ يَمَان

التخريج :

«الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٨ .

«مختار الأغاني» ج ٨ ص ٢٨ ـ ٣٠ (١/١١ ـ ١٣/١٥/٢٣ ـ ٣٤).

التعليق : قارن الطالع الغزليّ لهذه القصيدة (الأبيات ١ ـ ١٢) بمجموعة القصائد التي وردتْ على نفس البحر ونفس الرَّويّ لثلّة من شعراء الصعلكة في العصر الأموي (انظر الإحالة رقم ١٠ ص ٢٣) . في نفس السياق انظر «ديوان ابن الدُّمينة» تحقيق راتب النفاخ/ ص ١٨٠ ـ ١٨٨ .

[البسيط]

ـ ٧ ـ

يَا حبّذَا عَمَلَ الشّيْطَانِ مِنْ عَمَلٍ إنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ الشّيْطَانِ حُبِّيهَا
لَنَظْرَةٌ مِنْ سُلَيْمَى اليومَ وَاحِدَةٌ أَشْهَى إلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[41]

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٤ .

من أخبار ناهض بن ثومة :

(أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثني ابن العباس الهاشمي من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال :

كان ناهض بن ثُومَةَ الكلابيّ يَفِدُ على جِدّي قُثم فَيَمْدَحُهُ ، ويَصِلُهُ جَدّي وغيرُه ، وكان بَدَوِيّا جافِياً كأنّه من الوَحْش ، وكان طَيِّبَ الحديث ، فَحدَّثه يوماً : أنّهم انْتَجَعُوا نَاحيةَ الشّام ، فقَصد صديقاً لَه من وَلَد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزلُ حَلَب ، فَإذَا نَزَلَ نَواحيها أَتَاهُ فَمَدَحَهُ ، وكان بَرًّا به ، قال : فمررتُ بقَرْية يقال لها قرية بَكْر بن عبدالله الهلالي ، فرأيت دُوراً متباينةً وخِصاصاً قد ضُمَّ بعضُها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مُقْبِلون ومُدْبِرون ، عليهم ثيابٌ تَحْكِي ألوَانَ الزّهر ، فقلت في نفسي : هذا أحَدُ العِيدَيْن : الأضحى أو الفِطْر . ثم ثَابَ إليَّ ما عَزَبَ عن عقلي ، فقلتُ : خرجْتُ من أَهْلِي في بَادية البَصْرة في صَفَر ، وقد مضَى العِيدَان قبل ذلك ، فما هذا الذي أَرَى ؟

فبينا أنا واقفٌ متعجّب أَتانِي رجلٌ فأخذَ بِيَدي ، فأَدْخَلَني داراً قَوْرَاءَ ، وأَدْخَلَني منها بيتاً قد نُجِّدَ في وجْهِه فُرُشٌ ومُهِّدَتْ ، وعليها شَابٌّ يَنَالُ فُرُوعُ شَعْرِه مَنْكَبَيْه ، والناسُ حولَه سِمَاطان ، فقلتُ في نفسي : هذا الأميرُ الذي حُكِيَ لَنَا جُلوسُه على الناس وجلوسُ النّاسِ بين يَدَيْهِ ، فقلتُ وأنا ماثلٌ بين يديه : السّلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله وبَرَكَاتُه . فجذَب رجلٌ يَدِي ، وقال : اجْلِسْ فإنّ هذا ليسَ بأمير . قلت : فَما هو ؟ قال : عَرُوسٌ . فقلت : وَاثُكْلَ أُمّاه ، لَرُبَّ عَرُوسٍ رأيتُه بالبادية أَهْوَنُ على أَهْلِه من هَنِ أُمِّهِ . فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ دخَلَ رجالٌ يَحْمِلون هَناتٍ مُدَوَّرات ، أَمَّا مَا خَفَّ منها فَيُحْملُ حَملاً ، وأمّا مَا كَبُرَ وثَقُلَ فَيُدَحْرَجُ ، فَوُضِعَ ذلك أمامنَا ، وتحلّقَ القومُ عليه حِلَقاً ، ثم أُتِينَا بخرَقٍ بيضٍ فأُلْقِيَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَظَنَنْتُهَا ثياباً ، وهَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَ القومَ منْها خِرَقاً أَقْطَعُهَا قميصاً ، وذلك أنّي رَأَيْتُ نَسْجاً مُتَلاحِماً لا يَبِينُ لَهُ سَدًى ولا لُحْمَةٌ ، فلَمّا بَسَطهُ القومُ بيْنَ أَيْديهم إذَا هُو يَتَمَزَّقُ سريعاً ، وإذا هو ـ فيما زعَمُوا ـ صِنْفٌ من الخُبْز لا أَعْرِفُه ، ثم أُتِينَا بطعَامٍ كثير بَيْنَ حُلْوٍ وحَامِضٍ ، وحارٍّ وباردٍ ، فأكثرْت منه وأنا لا أعلمُ ما في عقبِهِ من التّخم والبَشَم ، ثم أُتِينَا بشرابٍ أحمرَ في عِسَاسٍ ، فقلتُ : لا حاجةَ لي فيه ، فإنّي أخافُ أن يَقْتُلَنِي .

وكان إلى جانبي رجلٌ ناصحٌ لي أَحْسَنَ الله جَزَاءه ، فإنّه كان يَنْصَحُ لي مِنْ بَيْنَ

52090

أَهْل المجْلس ، فقال : يا أَعرابِيُّ إنّك قد أَكْثَرْتَ من الطّعام ، وإن شَرِبْتَ الماءَ هَمَى بَطْنُك . فلمّا ذَكَرَ البَطْنُ تذكّرتُ شيئاً أَوْصانِي به أَبِي والأشياخُ مِنْ أَهْلِي ، قالوا : لاتزالُ حيًّا ما كانَ بطنُك شَديداً فَإِذَا اخْتَلَفَ فأَوْصِ . فَشَرِبْتُ مِنْ ذلكَ الشّرابِ لأتَدَاوَى بِه ، وجَعَلْتُ أَكْثرُ منْه فَلا أملُّ شُرْبَه ، فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذلك صَلَفٌ لا أَعْرِفُه مِنْ نَفْسِي ، وبُكَاءٌ لا أَعْرِفُ سَبَبَه ولا عَهْدَ لِي بِمِثْله ، واقْتِدَارٌ على أَمْري أَظُنُّ مَعَه أنِّي لَو أردْتُ نَيْلَ السّقْفِ لَبَلَغْتُه ، ولَوْ سَاوَرْتُ الأَسدَ لَقَتَلْتُهُ ، وجعلْتُ أَلْتَفِتُ إلى الرّجلِ النّاصِحِ لِي فَتُحَدِّثُنِي نَفْسِي بِهَتْمِ أَسْنَانِه وَهَشْمِ أَنْفِه ، وأَهُمُّ أحياناً أَنْ أقولَ له : يابْنَ الزَّانِيَة ! فَبَيْنَا نَحْنُ كذلك إذْ هَجَم علَيْنَا شياطينُ أَرْبَعَةٌ ، أحدُهُم قَد علّقَ في عُنقِه جعْبَةً فارسيّةً مشنّجَةَ الطّرَفَيْنِ دَقيقَةَ الوَسَط ، مشْبُوحَةً بالخُيُوطِ شَبْحاً مُنْكَراً ، ثُمَّ بَدَرَ الثّانِي فاسْتَخرَجَ من كُمِّه هَنَةً سَوْدَاءَ كَفَيْشلَةِ الحمّار ، فوضَعَها في فِيه ، وضَرَط ضُرَاطاً لَم أَسْمعْ - وبَيْتِ الله - أعجبَ منه ، فاسْتَتمَّ بها أَمْرُهم ، ثمَّ حرَّك أصابعَه على أَجْحِرَةٍ فيها فأَخْرجَ منْهَا أصْواتاً لَيْسَ كما بَدَأَ تُشْبِهُ الضُّرَاطَ ولكنّه أَتَى مِنْهَا لَـمَّا حرَّك أَصَابعَه بصَوْتٍ عجيبٍ متلائمٍ مُتَشاكلٍ بَعْضهُ لِبَعْض ، كأنّه ، عَلِمَ الله ، يَنْطِقُ . ثمَّ بَدا ثالثٌ كَزٌّ مَقِيتٌ عَلَيْه قَميص وَسِخٌ ، مَعَه مِرآتان ، فَجَعَل يُصَفِّقُ بِيَدَيْه إحْداهُما على الأخرى فَخالَطَتا بِصَوْتِهِمَا ما يفعَلُه الرَّجلان ، ثُمَّ بَدا رَابِعٌ عَلَيْه قميصٌ مَصُونٌ وَسَرَاويلُ مصُونةٌ وخُفَّانِ أَجْذَمان لاَ ساقَ لِوَاحِدٍ منْهُمَا ، فَجعَل يَقْفِزُ كأَنَّه يَثِبُ على ظُهور العَقَارب ثُم التبَطَ به على الأرض ، فقلتُ : مَعْتُوهٌ وَرَبِّ الكَعبة ! ثمَّ ما بَرِحَ مكانه حتّى كان أَغْبَطَ القوم عِنْدي . ورأيتُ القَومُ يَحْذِفُونَه بالدَّرَاهِم حذْفاً مُنْكَراً .

ثمَّ أَرْسَلَ النّساء إلَيْنَا : أن أَمْتِعُونَا مِنْ لَهْوكُمْ هَذَا . فَبَعَثُوا بهم ، وجعلْنَا نَسْمعُ أصواتَهُنَّ مِنْ بُعْدٍ ، وكان مَعَنَا في البَيْتِ شَابٌّ لا آبَهُ لَه ، فَعَلَتِ الأصواتُ بالثّناء علَيْه والدّعَاءِ ، فخَرَج فجاءَ بخشَبَةٍ عَيْنَاهَا في صَدْرِها ، فيها خيُوط أَربَعَةٌ ، فاستخْرَجَ من خِلاَلها عوداً فَوضَعه خلفَ أُذُنِه ، ثُمَّ عَرَكَ آذَانَهَا وحَرَّكَهَا بِخَشَبَة في يَدِهِ فَنَطقَتْ - وربِّ الكَعْبَة - وإذا هي أَحْسَنُ قَيْنَةٍ رأيْتُهَا قطُّ ، وغنّى عَلَيها ، فأَطْرَبَنِي حتّى استَخَفّني مِنْ مَجْلِسِي ، فَوثبتُ فجلَسْتُ بَيْنَ يدَيْه ، وقلتُ :

بأبِي أنْتَ وأُمّي ، ما هذه الدَّابّةُ فلسْتُ أَعرِفُها لِلأعْرَاب وَمَا أَراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البَرْبَطُ ؟ فقلت : بأبي أنت وأُمّي ، فَما هذا الخَيْطُ الأَسفَلُ ؟ قال : الزِّيرُ . قلت : فالذي يَلِيه ؟ قال : المَثْنَى . قلت : فالثّالثُ ؟ قال : المَثْلَثُ . قلت : فالأعلَى ؟ قال : البَمُّ . قلت : آمنتُ بالله أوّلاً ، وبكَ ثانياً ، والبَرْبَطِ ثَالثاً وبالبمّ رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقَط ، وجعَل نَاهضٌ يَعْجَبُ مِنْ ضحكِهِ ثُمَّ كان بعْد ذلك يَسْتَعِيدُه هذا الحديثَ ، ويُطْرِفُ به إخْوانَه فيُعِيدُه ويَضْحَكُونَ منه)[٤٢].

«الأغاني» ج ١٣ ص ١٧٨ ـ ١٨١ .

ما جمعناه من شعر ناهض بن ثومة

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	٢	٢١
الحاء	١	١٨
الشين	١	٧
الميم	١	١٧
النون	١	٣٤
الياء	١	٢
المجموع	**٧**	**٩٩**

البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الوافر	٣	٤٦
الطويل	٣	٥١
البسيط	١	٢
المجموع	**٧**	**٩٩**

ملاحظة : الفهرس المفصّل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر ناهض بن ثُومة وغيره من المقلّين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم ، فذلك ما يجده القارئ في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة .

الحواشي :

(١) مجمع الذاكرة: ج ١ من ص ٢٦٥ إلى ٢٩٣ ـ .

(٢) نستثني إشارة المستشرق (بلا) العابرة في كتابه «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء» ص ٢٣٣ .

(٣) الأغاني/ ط . دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٥ .

(٤) انظر باب (تنقل الشعر في القبائل) «العمدة» ج ١ ص ٨٦ ـ ٩٠ وكذلك كتاب الأوراق/ قسم أخبار الشعراء ص ٧٤ .

(٥) انظر «مختار الأغاني» ج ص ٤٢١ : ترجمة يوسف الصيقل .

(٦) كقثم بن جعفر (الأغاني ج ١٣ ص ١٧٨) .

(٧) انظر الخبر الذي أوردناه في الذيل ص ١٦٥ ـ ١٦٨ . «مجمع الذاكرة» .

(٨) يجعل الزركلي (الأعلام ج ٥ ص ٣١٩) وفاة ناهض سنة ٢٢٠ ، ولا يذكر مصدره في ذلك .

(٩) انظر الخبر بالأغاني ج ١٣ ص ١٨٢ .

(١٠) لقد جمعنا بمشاركة الأستاذ محمد عبدالسلام أشعار هؤلاء وحققناها وقدمنا لها بدراسة ، وذلك ضمن عمل جامع لشعر الصعلكة في العهدين الجاهلي والأموي نعتزم نشره قريباً . (انظر في هذا السياق قصيدة طهمان الكلابي التي طالعها : (البلدان ٢/٥٨٦) .

ألا يـا اسلما بـالنـير من أم واصـل ومـن أم جـبر أيهـا الـطللان

ووازن بينها وبين قصيدة ناهض رقم ٦ بهذا المجموع) .

(١١) من ذلك الإشادة بقيم الفتوة والفروسية وسيادة العشيرة .

(١٢) انظر قصيدته اللامية التي ذيلنا بها شعر ناهض ، وهي المطولة الوحيدة التي احتفظت بها له المجاميع القديمة ، مع الملاحظة أن المزرباني قد وقف على ظاهرة التكلف التي تسم شعره عندما قال : « علي بن عاصم . . . جبلي متكلف» (معجم الشعراء ص ٢٩١) .

(١٣) علي بن جبلة الملقب بالعكوك (توفي ٢١٣هـ) ـ جمع شعره ونشره الدكتور حسين عطوان/ دار المعارف ١٩٧٢ .

(١٤) انظر التعليق المطول الذي ذيلنا به نونية أبي الشيص ص ٣٣٨ «مجمع الذاكرة» .

(١٥) نذكر منهم ابن الدمينة توفي ١٨٣هـ ؟) انظر ديوانه تحقيق راتب النفاخ/ دمشق ١٩٥٩ (أدرجنا مطولته المشهورة ـ البائية ـ بالمجلد الثاني/ ٣٥٨ ـ ٣٦٧) «مجمع الذاكرة» .

(١٦) انظر ص ٤٨ ـ ٤٩ ج ١ «مجمع الذاكرة» .

(١٧) انظر هذا الخبر في ذيل شعر ناهض ص ١٩ ـ ٢٢ ـ أنظر كذلك خبر أبي الزهراء «العقد الفريد» ج ٣ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٦ ، حيث نقف على أنموذج ثان لهذه الأخبار الهازلة الموضوعة .

(١٨) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير من شعراء العصر ، توفي ٢٣٩هـ . جمع شعره ونشره شاكر العاشور/ البصرة ١٩٧٣ . ←

«جمهرة اللغة» لابن دريد

بتحقيق الدكتور رمزي البعلبكي

لم أَكُنْ قد عرفْتُ أيام الطلب قبل أربعين عاماً كتابَ «الجمهرة» إلا فيما نقله عنه وتكلم عليه السيوطي في «المزهر»، ولم تكن «الجمهرة» المطبوعة في حيدر آباد موجودة في الخزائن العامة في بغداد.

وذكر السيوطي: وقال بعضهم: كان لأبي علي القَالي نسخة من «الجمهرة»

---

(١٩) القلعان: هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبدالله بن الحارث بن نمير.

(٢٠) واردات علم لمواضع، منها: [هضاب حمر تقع شرقا من بلدة نفي، وغرباً جنوبياً من أضاخ وترى منها رأي العين، وواردات هذه هي أقرب ما يسمى بواردات إلى بلاد بني نمير] - «العرب».

(٢٢) الحمى القريب من أبانين هو حمى ضَرية (انظر تحديده في «معجم مااستعجم».

(٢٣) أبانان: جبلان معروفان غرب منطقة القصيم - العرب -.

(٢٤) بالأصل «أبناء» وهو تصحيف. والصواب ما أثبتناه (النجار) وكلمة (أبناء لها وجه من الصحة).

(٢٥) أخطب: اسم جبل بنجد «معجم البلدان» - رسم أخطب -.

(٢٦) في الأصل (لمن) وهو تحريف.

(٢٧) أخطب: تقدم ذكره.

(٢٨) في الأصل (قومه) ولا وجه له.

(٢٩) وشه: أراد وشاه أي حَبَّرَهُ «معجم البلدان».

(٣٠) كتاب فيه شعر ناهض، نسخ منه أبو الفرج، لمؤلفه أبي الحسن الأسدي علي بن محمد المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلب (انظر «الأغاني» ج ١٣ ص ١٨٢ - «نور القبس» ص ٣٣٦).

(٣١) لاحظ الترخيم في (مالك).

(٣٢) يعني بالهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب وابنيه علقمة علقمة وصباحاً تعليق أبي الفرج).

(٣٣) يذبل: جبل. [ويعرف الآن باسم صبحا - العرب].

(٣٤) ذقان: جبل ببلاد بني كعب. [لايزال معروفاً في عالية نجد - العرب -].

(٣٥) في «مختار الأغاني»: ٨/٣٠ (ابن أصعر).

(٣٦) جعفر بن علبة الحارثي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه انظر «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ٤٥ وما يليها).

(٣٧) في «مختار الأغاني»: ٨/٢٨: فلم يُدْم كعبا نافع منه ضربُهُ.

(٣٨) في «مختار الأغاني»: ٨/٢٨: (ابن أصعر فالتقم).

(٣٩) في «مختار الأغاني»: ٨/٣٠ (بثأر لعمه).

(٤٠) في «مختار الأغاني»: ٨/٣٠ (ذوو).

(٤١) البيتان من «مختار أصوات الأغاني».

(٤٢) ورد هذا الخبر مع اختلاف جزئي في الرواية في مختار الأغاني ج ٨ ص ٣٠ - ٣٤.

بخط مؤلفها ، وكان قد أُعطي بها ثلاث مئة مثقال فأبى ، فَاشْتَدَّتْ به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالاً ، وكتب عليها هذه الأبيات :

أنِسْتُ بها عشرينَ عاماً وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني
ومـاكـان ظنّي أنّني سَـأَبِيْعُهَـا ... ولَوْ خَلَّدْتَنِـيْ في السُّجُونِ دُيُوني
ولكنْ لِعَجْـزٍ وافْتِقَـارٍ وَصِبْيَـةٍ ... صِغَـارٍ عَلَيْهم تَستَهِـلُّ شُؤُوْني
فَقُلْتُ ـ ولم أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرتي ... مَقَـالَـةَ مَكْـويِّ الفؤادِ حـزينِ
وقد تُخْرِجُ الحاجَاتُ ـ يَاأُمَّ مَالِكٍ ـ ... كـرائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنّ ضَنـينِ

قال : فأرسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعَينَ دِيْنَاراً أخرى ، رحمهم الله[1].

قلت : لقد أُعْجِبتُ بهذه المقطوعة كما أُعْجِبَ بها الجلال السيوطي ، وجَعلْتُها من «مختاراتي»[2].

وقد زادت هذه المقطوعة من شوقي لرؤية «الجمهرة» .

وقد أفدتُ مما ذكره السيوطي من أقوال أهل العلم في «الجمهرة» وخصائصها وعيوبها ، وماقيل من أمر الموازنة بين «الجمهرة» وكتاب «العين» للخليل بن أحمد .

ثم وصل إلينا كتاب «المعجم العربي» للأستاذ الدكتور حسين نصار في طبعته الأولى فأفادنا وأغنانا بما ذكره من خصائص «المعجم» دراسة وتدقيقاً[3].

ثم كان للكتبي الألمعي السيد قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ أن أعاد إخراج «الجمهرة» مصوِّراً طبعة حيدر آباد . وقد كان ذاك وقوفي أول مرة على هذه الطبعة .

أقول : حسنةً كانتْ صَنْعَةُ الدكتور البعلبكيّ في تحْقيقه الجديد ، فقد أجاد ، وأدرك الغاية التي صبا إليها . ولكني مع إعجابي بصنعته أودّ أن أثني على صنعة الشيخ محمد السورتي الهنديّ وصاحبه المستعرب فريتس كرنكو الألماني صاحبي

المطبوعة في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤ ـ ١٣٥١ .

ومن حق محققي الطبعة الأولى أن يثني الدارسون عليهما أكثر مما جاد به الدكتور البعلبكي ، وإني في ثنائي عليهما أقول : إن نشر المخطوط أول مرة عمل كبير من الأعمال التي لا يَتصدَّى لها إلّا أولو العزم والجد ، وقد كان هذَانِ الأعجميَّانِ السورتي وكرِنْكو من أولي الْـجد ، ذالك أنَّ الذي اضطلعا به معجم ذو خصوصية خاصة ، في تصنيفه وترتيبه وموادّه ، وظروف تأليفه .

ولم يكن في الحقبة[٤] التي نشرا فيها «المعجم» شيْء من هذه «المعجمات» ذات النظام الخاص ، ذلك أن المعجمات التي سبقت «الجمهرة» في نشرها وهي «تاج اللغة وصحاح العربية»[٥] و«لسان العرب»[٦] و«تاج العروس»[٧]، و«القاموس المحيط»[٨] جميعها تجري في نظام واحد . إن هذه المعجمات قد قدمتْ فائدة جليلة لمحققي «الجمهرة» ولكنها ليست الفائدة العظمى ، ولو أنهما كانا قد عرفا كتاب «العين» وكتاب «التهذيب» للأزهري، و«المحكم» لابن سِيْدَه و«العباب» للصاغاني لكان لهما أن يَجدا عملهما سهْلاً مُيَسَّراً . ومن هنا كان علينا أن نقرَّ بالجهد الكبير الذي بذلاه .

وليس شيئاً أن يعرض لهما السهو والغلط الذي نَبَّها عليه في المجلد الرابع ، والذي لم ينبّها عليه .

أقول : إن للمحقق أَنْ يُزْهَى ويَمْلأ مَاضِغَيْهِ فَخْراً أن تَصَدَّى لعمل كبير لم يسبق نشره ، ذلك أن المحققين اللَّذَيْنِ كان لهما نصيب وافر في التحقيق قد قاما بتحقيق كتب كانت قد نُشِرت غير مرّة .

إن كتب الجاحظ مثلاً نشرتْ غير مرة أولها نشرة مصرية قديمة تبعها نشرات المستشرقين ثم نشرة السندوبي ، ثم جاء الأستاذ هارون ـ تغمّده الله برحمته الواسعة ـ فأعاد نشرها وأحسن كل الإحسان . ولي أن أقول : إن ما أصابه من الإحسان قد أعانه عليه ما قام به السابقون الذين شقُوا بِنَقْل المخطوط إلى المطبوع ، فإن زلَّت بهم قدمٌ ، وعرض لهم الغلط والتصحيف وما أشبه ، دفعت

اللاحق أن يَتَحَامَى الطريق الذي سلكوه . ومثل هذا يقال في كل كتاب تصدَّى له محقق ثانٍ وثالث . . .

وقد قيل : إن الفضل للمتقدم ، وهل لنا أن نتأسَّى بما صنعه جمال الدين بنُ مالك صاحب «الألفيَّة» حين قال في فاتحة «خلاصته» :

وتقتضي رِضاً بغَيْرِ سُخْطِ فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي

وقيل أن ابن مالك رأى في نومه (ابن معطي) فعتبه لقوله هذا ، وذكّره بما كان له من سبق ، فلما أصبح ابن مالك أعقب قوله الذي أشرنا إليه بقوله :

وَهْوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلاً مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِيَ الجَمِيلاَ

نعم : إن «الجمهرة» في طبعتها الأولى حفلتْ بالخطإ والتصحيف ، وماكان من سهو المحققَيْنِ ، ومن غير شكٍّ أن الطبعة الثانية قد أدركت هذا ، فوقف منها الدكتور رمزي مصححاً مبيناً ما عرض للنصِّ في مواضع كثيرة من خطإٍ أخرج الألفاظ عن أصولها .

ثم نالت الطبعة الثانية من فوائد المحقق ماجعل النصَّ غنياً كل الغنى ، فقد اشار إلى ما أخذه ابنُ دريد عن كتاب «العين» كما خَرَّجَ الأبياتَ ونسبها إلى قائليها ذالك أن ابن دُرَيْدٍ لم ينسب شواهده إلى أصحابها . وكأن الدكتور رمزي قد رأى في خلو الطبعة الأولى من التخريجات نقصاً . وله أن يقول ذالك ، ذالك أن في تخريج الشواهد زيادة فائدة ، ولكني قد أعتذر لمحقّقي مطبوعة حيدر آباد فأقول : إن توشية النصوص المحققة بالتَّعليقات والتخريجات للشواهد وغيرها من صنعة عصرنا في العقود الأخيرة ، ولم يعرف المحققون هذه الزِّيْنَةِ المفيدة قبل نصف قرن . والدكتور رمزي حَفِيٌّ بصنعته ، وحُقَّ له أن يحتفي ويحتفل بل يُزْهَى ، وأهل صنعة التصنيف والتأليف[٩] يُزْهون بما أنجزوا وإن كان لنا أن نقول : (لا تعدم الحسناء ذَاماً) ، ولكن (كل فتاةٍ بأبيها معجبة) .

ولكننا في عصرنا هذا نؤمن بالعلم ، وبالمنهج العلمي ، وهذا يفرض علينا أن

نكون (موضوعِيِّنْ) لا نتجاوز حد العلم .

أقول هذا لأن الكثير من الدارسين في عصرنا ، ولا سيما الذين يتصدون لطلب (الدرجات الجامعية) تَسْتَفِزُّهم حماسة عارمة فيما يكتبون ، فإذا كان الأمر درس شاعر ما ، فهو الشاعر المفلق المبدع ، وإذا عُرض لبحث آخر كتحقيق كتاب ، فإن ذاك العلق النفيس ، وهو واسطة العقد .

لا أريد أن أقول : إن صديقي الدكتور رمزي ، قد احتفى بما أنجز فراح يشيد بصنعة ابن دُرَيْدٍ على نحو ما ذهب فيه الدارسون في رسائلهم وأطاريحهم ، ولكني أقول : ربما غلبته الحماسة حين خبر جودة ما صنعه وأنجزه .

لقد أحسن الدكتور نصّار في كلامه على «الجمهرة» : (أما ابن دريد فيوزّع صيغ المادة الواحدة على أبواب مُتَبَاعدة ، ويحاول أحياناً أن يربط بين الصيغ الفرعية والأصلية فيخلط بينها ، ولا نجد عنده الانتظام الداخلي في المواد أو الميل إلى الانتظام عند الخليل ، ولا يصل في تفسيراته إلى الدقّة التي وصل إليها سابقه . والحق أن الباحث يتملّكه العجب كيف يسبق كتاب «العين» «الجمهرة» في الزمن ويحتوي على هذه المزايا[١٠] .

أشار الدكتور رمزي إلى كلام الدكتور نصار فقال : (أما قول نصار: إن «الجمهرة» لا يصل في تفسيراته[١١] إلى الدقّة التي وصل إليها سابقه ، فدعوى تحتاج إلى بيّنة ودليل)[١٢] .

وكأني أقول لصديقي الدكتور رمزي : إن الكلام في «الجمهرة» كثير ، وأنت مع بضع نفر آخر قليل في مدحك واطرائك لابن دريد وصنعته في «الجمهرة» لقد قلت : (ونحن نجد ابنَ دريد في مجمل كتابه دقيق الشرح حسن التفصيل منبهاً في مواطن كثيرة على الفروق الدقيقة في المعاني . ولن أَضَعَ نفطويه مع الناقدين ، ذلك أن بينه وبين ابن دريد منافرة معروفة[١٣] ، وأنت تحسّ هذا في قوله[١٤] :

ابـنُ دُرَيْـدٍ بَـقَـره وَفِـيْـهِ عِـيٌّ وشَـرَهْ
وَيَـدَّعِـي مِـنْ حُمْـقِـهِ وَضْـعَ كِـتَـابِ «الجـمـهـرهْ»

وهـو كـتـابُ «الـعَـيْـنِ» إلّا أنَّـهُ قَـدْ غَـيَّـرَهْ

إن هذا ليس من العلم ، فهو محض شتيمةٍ وهجاء ، ويعضد هذا ان ابن دريد ردَّ عليه بأبيات ثلاثة معروفة[١٥].

ولكني سأركن إلى أقوال اللغويين من أهل العلم ممن لم يُعرف عنهم شيء من بُغْضٍ لابن دريد ، ومن هؤلاء الأزهري الذي رماه بالكذب فقال[١٦]: (وممّن ألف في عصرنا الكتب فَوُسم بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب «الجمهرة» . وحضرته في داره ببغداد غير مرّة ، فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي . فسألت إبراهيم ابن محمد بن عرفة الملقّب بنفطويه عنه فاستخفَّ به ، ولم يوثقه في روايته . . وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفاً كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابي في مواقعها منه ، لِأَبْحث عنها أنا أو غيري ممن ينظر فيه ، فإن صَحَّتْ لبعض الأئمة اعْتُمِدَتْ ، وإن لم توجد لغيره وقفت) .

وذهب إلى مثل هذا أحمد بن فارس ، ومن المفيد أن نشير إلى أن أبا علي القالي ، وهو تلميذه ، قد قلل من الرجوع إلى «الجمهرة»، وقد ذكر ذالك .

قد يقول الدكتور رمزي : إن الأزهري هذا قد أكثر القول في غير «الجمهرة»، فقد تناول كتاب «العين» بالنقد والتجريح ، وزعم أن «العين» من صنع الليث ، ولذالك حين يرجع إليه يشير بقوله : قال الليث ، وزعم الليث ، وأخطأ الليث . ولكني حين أجد القَالي يقوِّي قولَةَ الأزهري في ابن دريد و«الجمهرة»، وهو تلميذه ، أحمل ما قاله الأزهري على الصدق .

وقال المسعودي : أورد (ابن دريد) أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين .

وأفاد من هذا السيوطي في «المزهر»[١٧].

على أن السيوطي دافع عن ابن دريد بعد ما ذكر كلام الأزهري فيه فقال :

(معاذ الله هو بَرِيْءٌ ممّا رُمي به ، ومن طالع «الجمهرة» رأى تحرّيه في روايته)[١٨].

وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي في (باب في سقطات العلماء)[١٩]: (وأما كتاب «الجمهرة» ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أَعْذُرُ واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر . ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع مااسْتَحْيَيْتُ من كثرته، ثم إنه لَـمَّا طال عليّ أومأتُ إلى بعضه وأضربت عن بعضه) .

وجاء في «المعجم العربي»[٢٠] فيما دعاه (الاضطراب) الواقع في «الجمهرة»: (إكثاره من الألفاظ المريبة والمولدة : فقد عقد السيوطي في«المزهِر» أنواعاً وفصولاً لما روى من اللغة ولم يصحّ ولم يثبته ، والمصنوع ، والضعيف والمنكر والمتروك من اللغات ، والرديء منها ، والمولّد . ولم يجد من المعجمات ذخراً فيها «كالجمهرة» فعَبَّ منها عبًّا) . غير أن ابن دريد في إيراده لهذه الألفاظ كان ينبّه على ضعفها ورداءتها .

وعابُوا على ابن دريد ماجاء في «الجمهرة» من تصحيف ، قال الأزهري : (وتصفحت كتاب «الجمهرة» فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها)[٢١].

وأشار ناشر «التهذيب» إلى مواضع مصحفة من «الجمهرة» وفيها : قال ابن دريد : قال امرؤ القيس :

لِمَنْ زُحْلُوفَةٌ زُلَّ بِهَا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ
يُنَادِي الآخِرَ الأَلَّ أَلَا حُلُّوا أَلَا حُلُّوا

قال الناشر : (قال الصاغاني: قوله: حلّوا بخط الأرزني في «الجمهرة» بالحاء المهملة المضمومة ، وبخط الأزهري في «التهذيب»: ألا خَلّوا ألا خَلّوا ، بفتح الخاء المعجمة . وقال ابن الأعرابي عن المفضّل بالخاء ، ومن رواه بالحاء المهملة فقد صحّف)[٢٢]. وورد في مادة (زفزف): (والزفزف: نَبْت أخضر مسترخٍ ناعم..) فقال الناشر: (كذا الأصول بالزاي ، وهو تصحيف وصوابه بالراء

(الرفرف) . وكأنه وقع بهامش بعض النسخ فأدخله الكاتب في هذا الباب وحقه التقديم)[٢٣].

وذكر من عيوبه أنه قال في فاتحة «الجمهرة»: إنه أرجأ الغريب والمستنْكر ، وقصد للجمهور الشائع ، وختم الكتاب بقوله : (إنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشيّ المستنكر) ، ولكنه أورد في كتابه الغريب والنادر ، وأشار إلى ذالك في عنوانات الكتاب .

ومما وُجِّهَ إليه قوله (معروف) في طائفة من الألفاظ التي ظنها معروفة وذالك فيما كان مُتَّصِلاً بالحيوان والنّبات والشجر والآلات وغيرها .

وأود أن أشير إلى أن «الجمهرة» هي المعجم الثاني في الترتيب الزمني بعد كتاب «العين» ولذالك كثر مقابلتها بـ«العين» في المنهج والمواد ، وطرائق المعالجة والتفسير . وإذا كان كتاب «العين» لم يسلم مما قيل فيه من الخصائص محاسنَ وعيوباً ومما فات الخليل ، وماقيل في تصنيفه أَهُوَ الخليل أم الليث ، وإذا كان الليث فأين مادة الخليل ، أما إذا كان للخليل فما أثَرُ الليث فيه ، كل هذا وغيره كان مادة بَحْثٍ مستفيض تكلم فيه اللغويون على مسائل كثيرة تَتَّصل بكتاب «العين» ذكرها السيوطي في «المزهر»[٢٤].

وقد كان الدكتور رمزي في هذا الذي جرى عليه المتحدّثون عن «الجمهرة» فقد قال في مقدمته في التعريف بكتاب «الجمهرة» وضع الخليل أساساً متيناً للتأليف المعجمي العربي . . .

وقال : تقوم خطة الخليل في حصر اللغة على مبادئ ثلاثةٍ ، أولها أن الحروف محدودة ، وقد جعلها تِسْعاً وعشرين[٢٥]، إذْ عدّ الألِف اللينة والهمزة كلًّا على حِدَة فزاد الثمانية والعشرين المعهودة[٢٦].

والمبدأ الثاني أن الحروف والأفعال والأسماء إنّما تكون من أصول محدودة ، فأقلّها ثُنائي ، وأكثرها خماسي[٢٧]. وعلى ذالك قسم الخليل الأبنية كما يلي :

(أ) الثنائي الصحيح . . . وكذلك ماشُدِّدَ ثانيه نحْو غزّ . . .

(ب) الثلاثي الصحيح . . .
(جـ) الثلاثي المعتل . . .
(د) الثلاثي اللفيف . . .
(هـ) الرباعيّ الصحيح . . .
(و) الخماسيّ الصحيح . . .
(ز) الرباعيّ والخماسيّ المعتلان . . .

أما المبدأ الثالث . . . فقد حصر الخليل التَّقليبات . . .

ثم قسم الخليل الحروف إلى حلقية ، وحرفين لهويين ، وثلاثة أحرف شجرية ، وثلاثة أَسَليّة ، وثلاثة نِطْعِيَّة ، وثلاثة لثوية ، وثلاثة ذلقية ، وثلاثة شفوية ، وأربعة هوائية(٢٨). ومضى الدكتور رمزي في سرد تصور الخليل للأصوات العربية ، وحصر الكلمات العربية في نطاق تقسيماته وفقاً للثنائي فالثلاثي الصحيح ، وهكذا . . .

وكأنَّ ابن دريد قرأ هذا واستوعبه ، فوقف منه وقوف المستفيد الذي يريد أن يجد فيها مادة يستعين بها على مخالفته والوصول إلى جديد يبتعد به قليلاً عن خطة الخليل .

وكان أبرز ماخالف به الخليل تأليفه «الجمهرة» على الحروف المعجمة ، (إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة ، مشفياً على المراد)(٢٩).

قال الدكتور رمزي : وكأنَّ هذا نقد مُهَذَّبٌ لطريقة الخليل ، فهي طريقة مُتْعِبة لا يَتِمُّ بها الاهتداء إلى مظانِّ الأَلْفَاظِ إلا بعد جهد . ولئن كان ابنُ دُريد قد اتبع طريقةً أسهل في ترتِيْب الحروف ، فإن في تقسيمه مواد معجمه على النَّحْو الذي سنبينه ما يفوِّتُ الاستفادة من التسهيل الحاصل بهذا الترتيب . فالأبواب الرئيسة التي يتألف منها الكتاب هي التالية :

(ب) الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر (ص ١٧٣) نحو بجبج . . .

(جـ) الثنائي المعتلّ وما تشعّب منه (ص ٢٢٩) نحو تَوَى. . . ومعه ماكان منتهياً بالهمز نحو بواء ووثاء .
(د) الثلاثي الصحيح وما تشعّب منه (ص ٢٥٢) .
(هـ) الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع الفاء أو العين واللام أو الفاء واللام (٩٩) نحو بلل. . .
(و) الثلاثي الذي عين الفعل منه أحد حروف اللين (ص ١٠١٥) نحو باب وبَيْب وسوس ، ومنه ماهو مهموز أيضاً نحو خبأ وأبد .
(ز) باب النوادر في الهمز (ص ١٠٨٦)، وألحق به باب اللفِيف في الهمز ، والمقصور في الهمز (ص ١١٠٦).
(حـ) الرباعي الصحيح (ص ١١١٠) .
(ط) الرباعي المعتل (ص ١١٦٢) وذكر أشياء غير معتلة كالرباعي الذي فيه حرفان مثلاً ، نحو دَرْدَق وكركم ، والثلاثي المضعف الآخر نحو عِكِبٍّ وخِدَبّ[٣٠].

أقول: وهذا الشيء الخاص الذي ذكره وألحقه بالرباعي المعتل هو أقرب للرباعي الصحيح ، وكأن هذا شيء من اضطراب المنهج لديه ، أو أنه تذكر به بعد انتهائه من الرباعي الصحيح ، ومباشرته للرباعي المعتل .
(ي) الخماسيّ ، ومالحق به من الحروف الزوائد (ص ١١٨٤) .
(ك) أبواب لغوية متفرقة ، منها ألفاظ يجمعها وزنٌ مّا ، وألفاظ يجمعها موضوعٌ مّا ، وألفاظ تمثل ظاهرة لغوية ، كالإتباع والاستعارة (من ص ١٢٤٧ حتى آخر الكتاب)[٣١].

أقول : وهذه الأبواب اللغوية المتفرقة في (ك) دليل على اضطراب خطته التي لم تجمع ألفاظ العربية كما كان الأمر في خطة الخليل ومنهجه في تقليباته الثلاثية والرباعية والخماسية . تلك الخطة التي كان من شأنها أن تحصي العربية إحْصَاءً أقرب ما يكون إلى التمام .

لقد ذكر ابن دريد في (أبوابه اللغوية المتفرقة) ألفاظاً كان ينبغي أن يجد لها

مكاناً في الثلاثي مع زيادة ، أو الرباعي مع زيادة أو الخماسي مع زيادة ، ولكنه سها عن هذا فعقد له هذا الباب الأخير .

ثم ما علاقة الألفاظ التي يجمعها موضوع مًا ، على حد تعبير الدكتور رمزي ، بمعجم لغوي مادته الألفاظ ، وليس التّصنيف بحسب (الموضوعات) والمعاني ، كالمخصص لابن سيده مثلاً ؟! ثم ما علاقة «الجمهرة»، وهي معجم لغوي ككتاب «العين» بحشر (ألفاظ تمثل ظاهرة لغوية) كالإتْباع والاستعارة ؟

ألم نعرف أن من جاء بعد ابن دريد من أهل اللغة قد قصروا كتباً على (الاتباع)، وكتباً أخرى على المجاز والاستعارة ، وكأنهم أدركوا أن هذا ليس من خصوصيات المعجم اللغوي الذي يحصي الألفاظ ويحصرها لا يفرق بين حقيقة ومجاز ، ويذكر (الإتباع) و(الإبدال) وغيرهما في حشو الألفاظ المدرجة في المعجم ، وهذا هو الشأن في «الصحاح» و«معجم مقاييس اللغة» وغيرهما .

أقول : إن اضطراب ابن دريد في «الجمهرة» ولاسيما في المنهج كما ألمعنا إليه يتأتّى من أنه لم يحكم منهجُه ، واستعان بحافظته ، وظنها على وفائها له لا تخونه وتسعفه بالعلم المرتّب المنظّم .

لقد ذكر ابن دريد في فاتحة «الجمهرة» : (وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش . .)[٣٢].

وقال في آخر الثلاثي : (وإنما أملينا هذا الكتاب ارتجالاً لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذالك فيعذر ، إن كان فيه تقصير ، أو تكرير إن شاء الله)[٣٣]. وقد أدرك ابن دريد اضطراب منهجه وتقصيره فقال في خاتمة «الجمهرة» : (فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم ينكر علينا إغفاله لأنا أملياه حفظاً ، و(الشذوذ في الإملاء لا يدفع)[٣٤].

وقد أشار الدكتور رمزي محقق الكتاب إلى هذا الاضطراب فقال : إنه خلط بين المعتل الواوي والمعتلّ اليائي في المثنّى ، وأنه خلط بين الثلاثي الصحيح ، والمعتل ، ثم أفرد باباً للمعتل والمهموز من الثلاثي ، وأنه لم يلتزم ترتيباً دقيقاً في

إيراد التقاليب ، ولاسيما في الرباعي[٣٥].

أقول : وهذا شأن من ينطلق في (إملائه ارتجالاً)، وإنَّ عملاً ضخماً كـ «الجمهرة» لابُدَّ أَنْ يكون له منهج محرّر ، يليه موادّه مرتبة في كل باب ،ليسلم من غائلة السهو في الإملاء والارتجال . وليس له أن يُزْهَى فيقول : إنه أملاه إملاء . . .

وقد جاء في «المزهر» : وقال بعضهم : أملى ابن دريد «الجمهرة» في فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلاّ في الهمزة واللفيف ، فلذالك تختلف النسخ[٣٦].

وقال السيوطي : قلت : ظفرت بنسخةٍ منها بخط أبي النمر أحمد بن عبدالرحمن بن قابوس الطرابلسي اللغوي ، وقد قرأها علي ابن خالَوَيْهِ بروايته لها عن ابن دريد ، وكتب عليها حواشي من استدراك ابن خالويه على مواضع منها ، ونبّه على بعض أوهامٍ وتصحيفات[٣٧].

ومن هنا ألف أهل اللغة كتباً تناولت «الجمهرة» ومنها :

١ ــ فائت الجمهرة لأبي عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ .

٢ ــ جوهرة الجمهرة للصاحب بن عباد ، وهو اختصار للجمهرة ، وكأنه أشار إلى ما في «الجمهرة» من سهو وغيره ، نلمح هذا في إطرائه لصنيعه في رجز له في آخر كتابه هذا . وكتب أخرى غير هذا .

نعم ، لقد استدرك أهل العلم على «العين»، وكما كان لأبي عمر الزاهد «فائت الجمهرة» فقد تصدّى غير واحد لكتاب «العين» فأشاروا إلي (فائته) والى خطإ الخليل فيه ، والى تصحيفه وإلى مسائل أخرى ، وقد أوعب جميع ذالك السيوطي في «المزهر»[٣٨]، وحسب هذا كله أن الخليل نفسه قد عاد إلى كتابه فصنف «فائت العين»[٣٩].

وجاء في «المعجم العربي»: (ولكن عدم إتمام الخليل كتاب «العين»، فيه

الدلالة الكافية على أنه لم يطل به العمر لاستدراك مافاته . ويؤكد هذا أيضاً عدم إيراد (القفطي)[٤٠] اسم هذا الكتاب في ثبت الكتب التي تحقّق أن الخليل صنفها)[٤١].

أقول : إذا كان هذا قد وقع لكتاب «العين» وصاحبه هو من هو ، ومهما قيل فيه ، فكيف بابن دريد وقد أملى كتابه إملاءً من حفظه ؟ لابد أن يعرض له الخطأ والسهو والنسيان وغير ذالك ، وهذا ما كان كما بيَّنَّا .

وقد يحمل الدارسون ومنهم المحقق كلام الأزهري في ابن دريد على التحامل والتجني ، وهو قوله : (وتصفّحت كتاب «الجمهرة» فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرتُ منه على حروفٍ كثيرة أزالها عن وجوهها)[٤٢].

وقال في الرباعي الذي أورده ابن دريد : (هذه حروف لا أثق بها لأني لم أحفظها لغيره ، وهو غير ثقةٍ ، وجمعتها في موضوع واحد لِأُفَتِّشَ عنها فَمَا صحَّ منها لإمام ثقة أو في شعر يحتج به فهو صحيح ، ومالم يصحّ توقّف عنه إن شاء الله)[٤٣].

أقول : إذا كان ابن دريد نفسه قد أشار إلى اضطرابه ، وإلى ما عرض له من السهو ، وما كان منه من الخروج على (منهجه) في إضافاته وملاحقه ، فهل لنا أن نَحْمِل كلامَ الأزهري فيه على التجنّي والتحامل ؟ وإذا كان هذا محمولاً على التَّحَامل ، فكيف نقول في كلام ابن خالويه وهو تلميذه ، فيه؟

كلمة أخيرة : لابد من الإشادة بصنْعةِ الدكتور رمزي البعلبكي في تَحْقيقه الذي جاء مكملاً لنواقص طبعة حيدر آباد ، ذالك أنه أفاد منها وتجاوزها باعتماده على أصول لم تكن بين أيدي المحقّقين السورتي وكرنكو .

ثم إنه وشّاها بتعليقات مفيدة نَسب فيها الشواهد الشعرية إلى أصحابها ، وخرَّج الآيات والأحاديث . وقد أشار إلى ما أخذه عن كتاب «العين» ، وإلى ما خالف صاحب «العين» . ومن هنا كانت نشرته مادَّة دَرْسٍ جاد ، وهي تُهَيِّءُ للدارسين مصدراً يفي بالأغراض العلمية .

غير أني أجد أن الأمر يقتضي أن أُشير إلى مسألة مهمة هي أن (مقدمة) ناشر أي كتاب ينبغي أن تكون مناسبة لمادة الكتاب ، والذي أريده هنا في (مقدمة) الدكتور رمزي أن تكون مستحقة لما يجب أن يكون الكلام على معجم لغوي قديم . فهل كانت هذه (المقدمة) قد استوفت ، كما أرى ، هذا الشرط ؟

أقول : كانت لغة (مقدمته) كلغة أي مقدمة أخرى ، فهي عربيّة حديثة معاصرة ، وما كان له أن يفعل ذالك .

وهل لي أن أغضَّ الطرف عن قوله : (. . . ولئن كان ابن دريد قد اتبع طريقة أسهل في ترتيب الحروف فإن تقسيمه موادّ معجمه على النحو. . .)[٤٤] .

قلت : هي عربية حديثة معاصرة ، وهذه لغة جهل فيها المعربون الدقائق اللغوية ، فالتجاوز في عبارة المحقق هو في جواب (لئن) . إن هذه الأداة مركبة من (اللام) و(أداة الشرط) (إنْ) . وقال النحويون : إن اللام هي الموطئة للقسم ، وهي سابقة على أداة الشرط ، ويكون من ذالك اجتماع للشرط والقسم في الجملة ، ولما سبق القسم ، والدليل عليه اللام ، كان الجواب للقسم ، وهو مجزيءٌ عن جواب الشرط ، قال تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرتُمْ لأَزِيْدَنّكُم، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لشديد ﴾[٤٥] .

والجواب في الآية للقسم ، واللام في ﴿ لأزيدنكم ﴾ لام القسم ، وكذالك في جزء الآية الثاني ، كان الجواب للقسم ، وهو جواب مؤكّد بـ (إنّ) .

أقول : إن هذا الأسلوب لم يبق له باقية في العربية المعاصرة ، والمعربون يغلّبون الشرط دون إحساس منهم بسبق القسم ، ويجعلون الجواب جواب شرط بدليل اقترانه بالفاء . ومن العلم أن نقول : إن هذا الأسلوب جَدَّ في العربية منذ عدة قرون ، ذلك أني أحصيت بضع دواوين مُبْتَدِئاً بالفرزدق وجرير فأبي تمام فوجدت لديهم أن الجواب للقسم جرياً على الفصيح ، ولكني وجدت الخطأ عند البُحتري ثم شاع لدى الشعراء والناثرين ، على أنك لا تعدم أن تلمح الفَصيح عند متأخر عن هؤلاء . أقول : إن هذا التجاوز في العربية المعاصرة كان من

سماتها ، ولستُ مطالِباً الكاتِب أو الشاعر بشيء من هذا ، وأجعله من الدارج الذي ألفه المعربون فبدا لهم الأصل الصحيح غريباً .

ولكني أطلب لأخي رمزي أن يلتزم بالفصيح لأنه في حرم العربية يكتب في (معجماتها) ثم إني لا أَرْضى لأخي رمزي ، وهو يُقدِّم لـ «الجمهرة» أن يستعمل في الصفحة (٣٣) وفي فهارس الكتاب لفظ (الجذر) ويريد الأصل أو المادة .

أقول : ليس (الجذر) من مصطلح أهل العربية ، ولا يعرفه العرب ولا يستعملونه إلا في (جذر) النبات أو الشجر .

و(الجذر) في لغة المعاصرين بمعنى أصل الكلمة أو مادتها تَسَرَّبَ في العربية المعاصرة ترجمة ، ترجمه الدارسون الجدد في الانكليزية (Rooz) أو الفرنسية (Racine) .

وما أرضى لأخي رمزي أَنْ يُعِير صاحبَه ابن دريد هذه (العجمة) .

كلمة ثانية أخرى :

لا أريد لأخي المحقق المجتهد أن يتلمس الأعذار لصاحبه ، وكأنه في تلمّسه أراد أن يَرُدَّ على قولة ابن جني في صاحبه التي ذكرنها . قال الدكتور رمزي بعد أن ذكر كلام أبي الفتح في صاحبه : (. . . وأن تكون التاء زائدة أمر لا يخفى على المبتدئ ، فكيف يخفى على لغوي كابن دريد ؟ لقد نبّه ابن دريد نفسه على هذا الأمر (أي الرباعي) فأغنانا من التنقيب والاعتذار ، فهو يورد هذه الألفاظ في الرباعي لأن التاء لازمة فيها لا تفارقها ، إذ ليس لهذه الألفاظ من مذكر . ودليل ذالك الشواهد المختارة التالية :

(أ) والقربة : معروفة وليس لها ذكر ، ولذلك أدخلناها في الرباعي مع هاء التَّأنيث[٤٦] .

(ب) والحَجْمة : العين ، لغة يمانية . قال أبو بكر : وإنما أدخلناها في هذا الباب لأنه لا مذكر لها ، فالهاء كالحرف اللازم[٤٧] .

(جـ) وحَردة : اسم موضع ، وهذه هاء التأنيث وليس له مذكر في معناه فاستجزنا ادخاله في هذا الباب[٤٨].

(د) والحَسَكة والحسيكة : الحقد في القلب ، وأدخلناه في هذا الباب لأنه لا مذكّر له من لفظه إلّا أن نقول (حَسَك) تريد جمع حَسَكَة[٤٩].

أقول : وإذا لم يكن مذكر لهذه الألفاظ فليس لنا أن نضع هذه الألفاظ ونظائرها في باب الرباعيّ . وهل لنا أن نضع (الحكمة)، في باب الرباعيّ لأن (الحكم) ليس مذكراً لها ، وغير ذالك من الألفاظ كما ذهب ابن دريد ! وبعد فقد غلب الوفاء على أخي رمزي ـ وهو طبع فيه ـ حتى صار يُقِيْلُ عثرة صاحبه وأين مثل صاحبي رمزي في هذا العصر ! وقليلٌ ماهم !؟

د. إبراهيم السامرائي ـ كلية الآداب ـ صنعاء

الحواشي :

(١) المزهر ٩٢/١ .

(٢) صنعت «مختاراتي» من الشعر العربي ، واجتهدت أن تكون غير الذي ورد في كتب «الحماسة» و«كتب الاختيارات» ، و«المفضليات» و«الأصمعيات»، ومازال عملي هذا (مخطوطة) .

(٣) «المعجم العربي» للدكتور حسين نصار من خير ماظهر في العربية في نشأة المعجم وتطوره ، وقد طبع غير مرة .

(٤) نشرت «الجمهرة» سنة ١٣٤٤ ـ ١٣٥١هـ في حيدر آباد الدكن .

(٥) نشر معجم «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري سنة ١٢٨٢هـ (في القاهرة) .

(٦) نشر «لسان العرب» لابن منظور سنة ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧هـ (في القاهرة).

(٧) نشر «تاج العروس» للزبيدي سنة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧هـ (في القاهرة).

(٨) نشر «القاموس المحيط» للفيروز آبادي سنة ١٣٣٠هـ (في القاهرة).

(٩) وأذكر من هذا أني قرأت كتاب «الاقتراح» للسيوطي ، ووجدت المصنف جلال الدين مَزْهُوًّا برسالته هذه ، معجباً بها مشيراً إلى أنه لم يسبق إلى هذا الذي أوعبه فيها مما يدخل في (أصول) نحو العربية ، حتى إذا كان لصديقي الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني أن ينشر كتاب أبي البركات الأنباري وهو «لمع الأدلة وجدل الإعراب» وقفت على سلخ السيوطي لهذا الكتاب ، وقد أخذ منه جل مادة «اقتراحه» دون أن يشير إليه .

(١٠) المعجم العربي ٤٢٧/٢ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) الجمهرة (مقدمة المحقق الدكتور رمزي البعلبكي) ص ٢٤ .

(١٣) المصدر السابق .
(١٤) معجم الأدباء ١٣٨/١٨ ، والمزهر ٩٤/١ .
(١٥) المزهر ٩٣/١ - ٩٤ .
(١٦) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(١٧) المزهر ٩٣/١ .
(١٨) المصدر السابق .
(١٩) الخصائص ٢٨٨/٣ .
(٢٠) المعجم العربي ص ٤٣٢ ، وانظر المزهر ٥٢/١ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤٥ .
(٢١) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(٢٢) المصدر السابق ١٩/١ .
(٢٣) المصدر السابق .
(٢٤) المزهر ٧٧/١ - ٨٦ .
(٢٥) كتاب «العين» ٥٧/١ .
(٢٦) المصدر السابق ٤٨/١ .
(٢٧) المصدر السابق ٤٨/١ - ٤٩ .
(٢٨) الجمهرة ص ١٦ - ١٧ .
(٢٩) الجمهرة ص ٤٠ .
(٣٠) الجمهرة (مقدمة المحقق) ص ١٧ - ١٨ .
(٣١) المصدر السابق ص ١٨ .
(٣٢) الجمهرة ص ٤٠ .
(٣٣) الجمهرة ص ١٠٨٥ .
(٣٤) المصدر السابق ص ١٣٣٩ .
(٣٥) الجمهرة (مقدمة المحقق» ص ١٨ .
(٣٦) المزهر ٩٤/١ .
(٣٧) المصدر السابق ٩٥/١ .
(٣٨) المزهر ٧٩/١ - ٩٢ .
(٣٩) الفهرست ص ٤٣ ، ومعجم الأدباء ٧٥/١١ ، وبغية الدعاة ص ٢٤٥ .
(٤٠) إنباه الرواة ٣٤٦/١ .
(٤١) المعجم العربي ٢٩٧/١ .
(٤٢) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(٤٣) المصدر السابق ٣٣٤/٥ - ٣٣٥ .
(٤٤) الجمهرة (مقدمة المحقق) ص ١٧ .
(٤٥) من سورة إبراهيم .
(٤٦) الجمهرة ص ١١٢٤ .
(٤٧) المصدر السابق ص ١١٣٥ .
(٤٨) المصدر السابق ص ١١٤٠ .
(٤٩) المصدر السابق ص ١١٤٢ .

سبعة كتب عُمانية ... وملاحظات

١ ــ «عُمان في المحافل الدولية» :

تأليف اللجنة التي ألفتها هيئة الأمم المتحدة لقضية عُمان ، رئيس اللجنة عبدالرحمن بزواق ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، عن اللغة الفرنسية د.ت (تقرير اللجنة في ٨ كانون الثاني ١٩٦٥ ، ٣٧٦ ص).

١ ــ ص ٥٥ : الدورة الخامسة عشر . . . عشرة دول ـ الصحيح : الدورة الخامسة عشرة ، عشر دول .

ــ ص ٥٦ : الدورة السادسة عشر : السادسة عشرة .

ــ ص ٥٨ : دورتها السابعة عشر : السابعة عشرة .

ــ ص ٩٩ : المشيخات السبعة : السبع .

ــ ص ٣٠٧ : النقاط الأربعة : النقاط الأربع .

٢ ــ ص ١٠٠ : في مؤلف سليل بن زريق ذكر أنه .

ــ ص ١٠١ : وحسبما جاء في كتاب سليل بن زريق ، وفي الهامش : أن هذا الاستشهاد في كتاب سليل بن زريق ترجمة ج.ب برح وتنشره شركة (هكلويت للنشر) تحت اسم «تاريخ الأئمة وأسياد عمان» وسنسمي هذا الكتاب باسم المترجم برح . وأرقام الصحائف قدمت بالأرقام الرومانية والأرقام العربية . أما الأرقام الرومانية فتدل على ماجاء في مقدمة (بادجر) بينما الأرقام العربية تعود إلى نص المؤلف سليل بن زريق .

وتنظر ص ١٠٣ ، ١٠٤ ـ وعلى ص ٣١٧ ـ ٣١٨ «الملحق الرابع» ـ قائمة بالمؤلفات التاريخية الأكثر أهمية : سليل بن زريق ـ تاريخ أئمة وسادة عمان : مترجم ومنشور من قبل (جورج بيرسي بادجر) بورت فرانكلين، نيويورك ١٩٦١م .

اسم الكتاب كما يتحقق عربياً ويطبع : «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» .

اسم المؤلف: ابن رزيق: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (توفى سنة ١٢٩١هـ) .

٣ ــ ص ١٤٩ : إن الطرفاء المختلفين . . . قبلوا : إن الأطراف المختلفة .

٤ ــ ص ٣٦٦ : لقد أؤكد أن المملكة المتحدة كانت خصماً للإمام عزان : لقد أكّد .

٥ ــ ص ٣٧٤ : الأجوبة على الأسئلة : عن ـ وتكررت قبل ذالك .

٢ ــ «مذكرات أميرة عربية» :

بقلم السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان ـ سلطان مسقط وزنجبار ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ـ سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، تاريخ مقدمة المترجم : أبوظبي في ١٩٧٤/٨/١ ـ ٣٢٠ صفحة مصورة .

١ ــ يقول المترجم في مقدمته : أميرة شرقية عربية ، وابنة سلطان عربي كبير ، تَخْرُجُ قبل أكثر من مئة عام على تقاليد قومها فتتزوج شاباً ألمانياً ، وتهجر من أجله وطنَها ومُلْكَ أبيها ، وتترك حياة العز والقصور ، لِتُطَوِّحَ بها الأقدارُ في ديار الغربة بين لندن وبرلين ، وتستبدل حياة الاختلاط والسفور في أوربا بحياة الحرم والحجاب في الشرق ، وباسمها العربي السيدة : سالمة بنت سعيد اسماً أعجمياً هو (البرنسيس أميلي روث) ثم تضيق بها الحياة بعد عشرين عاماً ، أو تضيق هي ذرعاً بالحياة الأوربية فتحن إلى الرجوع إلى وطنها الأول ، ولكن أبواب العودة تُغْلَقُ في وجهها ، فتعكف تكتب باللغة الألمانية قصة حياتها وتجاربها ، وتستعيد ذكريات بلادها وبني قومها .

وتقول المؤلفة في مقدمتها القصيرة ، المؤرخة (برلين ١٨٨٦) : أنهيت منذ تسع سنوات كتابة قصة حياتي هذه . . .

ويقول المترجم : صدرت هذه المذكرات في الألمانية أول مرة عام ١٨٨٦ وترجمت عام ١٨٨٨ إلى اللغة الانكليزية ثم تلتها بعد عام واحد ترجمةٌ فرنسية ،

وأُعيدت ترجمتها إلى الانكليزية ثانية ونشرت في نيويورك عام ١٩٠٥م ـ وهذه الطبعة هي التي وقعت بين أيدينا أول مرة ، ثم تفضل أخ زميل مفضالٌ فأرسل لنا مشكوراً نسخة مصورة من الطبعة الأولى . وعن هاتين الطبعتين ترجمنا ترجمتنا العربية هذه .

الكتابة وثيقة عن دقائق الحياة في زَنْجَبار (وعُمَان) في عاداتها وتقاليدها ونظام بيوتها وأفراحها وأحزانها . . وأخلاق السلطان وأفراد أُسرته . . تجمع الفائدةَ إلى المتعة إلى البساطة واللهجة التي تقنعك بصدقها .

ولكي أكونَ صَريحاً أقول لك : إني لم أكتب هذا من أجل الأميرة أو مذكراتها ، وإنما من أجل المترجم الذي أبدع في عمله ، وكأنه المؤلف أو كأن المؤلفة في قلمه ، لقد بذل جُهْداً وصَبْراً وأطال المعايشة ، عمل عملاً لاشك في أنه كان راغباً فيه مُحِبًّا ، لا يفكر من ورائه بكسب مالي .

وياحبذا لو شفع هذه الترجمة بأختها وأختها .

ثم إنه أشار في حاشية له إلى مخطوط كتاب «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» وأنه حَقَّقَهُ . . ويأمل في نشره قريباً ، فمتى يتحقق الأمل ؟ لقد كان ذالك عام ١٩٧٤م .

ونذكر من جهود الأستاذ عبدالمجيد حسيب القيسي تحقيقه كتاب «تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» تأليف سرحان بن سعيد الأَزْكويِّ العماني . والكتاب المنشور هذا هو جزء من أجزاء وعد المحقق بِإِكْمَال تحقيقها ونشرها في مستقبل قريب .

٣ ـ «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» :

تأليف : حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (سنة ١٢٧٤هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر ، د. محمد مرسي عبدالله . الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٦١٤ صفحة ـ سلطنة عمان ـ وزارة التراث القومي والثقافة .

١ ــ التحقيق مشكور ـ المحققان مصريان .

٢ ــ لم يذكر الطبعة الأولى ـ ونعرف أنها للمحققين وعن الوزارة : القاهرة ، مطابع سجل العرب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .

٣ ــ الطبع قد تم بالقاهرة ، ورقم الإيداع فيها ، والتجليد كذالك ، رقم الإيداع ٨٣/٤١٩٧ ـ أمون للتجليد والطباعة . القاهرة .

٤ ــ هل الطبعة الثانية تصوير للأولى ؟ ربما .

٥ ــ جاء في مقدمة المحققين : (أما كتاب «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» المخطوط فهو محفوظ حالياً في مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا تحت رقم ٨٢٩٢ . وقد صار هذا الكتاب المخطوط إلى هذه المكتبة ضمن مجموعة كتب القس (برسي بادجر) الذي تبرع بمكتبته من بعد موته إلى جامعة كمبردج (. . .).

وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة أخرى خطية لكتاب «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» . وقد اعْتُمِدَ تحقيق الكتاب على النسخة الخطية بجامعة كمبردج بعد تصويرها ، وتقع مصورة هذه المخطوطة في ثلاث وستين ومئتي ورقة (. . .).

«الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (. .) قام القس بادجر بترجمته ونشره في لندن بعنوان: «تاريخ أئمة وسادة عمان» .

أ ــ كان المناسب أن يُنْتَفَعَ ـ لدى التحقيق ـ بنسخة باريس (المخطوطة) أو أن يطلع عليها وتوصف في الأقل . لاسيما أن التأليف جرى إملاءً ، ويعترف المحققان بأن الناسخ ليس مكتمل الشروط .

ب ــ جاء كلام المحققين على نشرة بادجر مختصراً جداً .

٦ ــ جاء في مقدمة المحقِّقَيْنِ: «ابن رزيق (. . .) له مؤلفاته العديدة في الأدب وفي التاريخ ، وقد أورد ذكرها في كتابه «الفتح المبين» (. . .): الصحيفة اليمنية ، والصحيفة القحطانية ، وجوهرة الأشعار وفريد الأفكار ، وهو ديوان

شعري ، وكتاب «علم الكراسات المنسوب إلى نسق المقامات» وكتاب «سبائك اللُّجَيْن» ، و«إشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، ومالهم من العدل والشأن» وهو قصيدة طويلة تضم سيرة خمسة وعشرين إماماً أولهم الجَلَنْدَا بن مسعود وآخرهم سلطان بن مرشد اليعربي ، وكتاب «السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية» .

صحيح ماقاله المحققان . وكان المناسب أن يَدُلاَّ القارئ على مابقي من هذه المؤلفات ، وماطبع ، ونعلم مما طبع لابن رزيق : «جوهرة الأشعار» و«سبائك اللُّجَيْن» ـ وربما طبع له غيرهما .

وأهم من هذا أن يُستفاد من مؤلفات ابن رزيق في تحقيق «الفتح المبين» وهذا مالم يحصل كما كان الممكن أن يستفاد لدى التحقيق ـ من مصادر ابن رزيق في تأليف كتابه هذا .

٧ ــ ورد في المقدمة: ثقاة وصحيحها : ثقات .

ورد (هما . . . ثقاة في الحديث والرواية) والصواب: هما ثقتان، أو من الثقات .

٤ ــ «كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأئمة وعلماء عمان» :

تأليف الشيخ العالم أبي بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي النَّزواني (من علماء مابين القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تحقيق الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف . القاهرة ، مطبعة دار احياء العربية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ـ ٢٧٧ صفحة + ١ منشورات وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان :

١ ــ حققت سيدة كاشف عدة كتب من التراث العُمَاني حتى كادت تختص بعمان إلى جوار اختصاصها .

٢ ــ ذكرت في آخر الكتاب أهم المراجع . وجاء في المراجع المطبوعة: ابن أبي

الحديد : (الشريف الرضي محمد بن أحمد الحسيني : ت ٤٠٤هـ) كتاب «نهج البلاغة» أربعة مجلدات ، طبعة القاهرة ١٣٢٩هـ ـ وطبعة بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

والصحيح : ابن أبي الحديد : (عزالدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله . . ت ٦٥٦هـ) «شرح نهج البلاغة» أما السر في ورود اسم الشريف الرضِـيّ فلأنه جامع «نهج البلاغة» والأشهر في نسبة نسبه : الـمُوْسوي .

٥ ــ «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» :

تأليف الشيخ سعيد بن علي المغيري ، تحقيق محمد علي الصليبي . الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ـ د.ت، ٥٨٩ صفحة ـ منشورات وزارة التراث والثقافة ـ سلطنة عمان .

١ ــ الكتاب قيم ، والمؤلف شاهد عيان قريب جدًّا من صانعي التاريخ ، وله مكانة في زنجبار وإقامة .

٢ ــ الطبعة الثانية تعني الطبعة الثانية للكتاب «جهينة الأخبار. .» وإلاَّ فهي الأولى بتحقيق محمد علي الصليبي بعد الأولى التي بتحقيق عبدالمنعم عامر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣ ــ وضع المحقق مقدمة المحققين الأول والثاني في الباب الأول من الكتاب ، وهذا غير صحيح لأنهما مقدمتان خارج الكتاب ، والباب الأول حيث يبدأ الكتاب بتبويب المؤلف .

٤ ــ تحدث المحققان وأفادا ـ عن المؤلف والكتاب ، ونصا على ميلاد المؤلف (سعيد بن علي المغيري) مكاناً وزماناً : ولد بعمان في فلج المشايخ (. . .) في سنة ١٣٠٠هـ .

ومضى المحقق الأول في سيرة المؤلف حتى سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٧م .

ومضى المحقق الثاني حتى سنة ١٣٥٦هـ .

ويمضي المؤلف في أحداث الكتاب فيعاصر الحرب العالمية الثانية ، ويصل بالسنوات حتى ٢٨ يونيه ١٩٦١م .

ولكن المحققَيْنِ لم يذكرا نهاية المؤلف حتى كأن الكتاب قد حقق في حياته ، وهذا غير صحيح ، وقد ذكر المحقق الثاني (ص ٣٤) : وقد احتفظ بمخطوط هذا الكتاب ولدُ المؤلف وهو جمعة بن سعيد بن علي المغيري بعد وفاة والده ، وجاء به إلى عمان عام ١٩٧١م ، وقدمه إلى وزارة التراث القومي والثقافة .

٦ ــ «ديوان الستالي» :

(أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي العماني ـ من القرن السابع) صححه وشرحه وعلق عليه عزالدين التنوخي ـ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ طبع على نفقة سليمان وأحمد ابني محمد السالمي ، دمشق ، المطبعة العمومية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ـ ٤٧٠ صفحة + ١ .

١ ــ من (فاتحة) المصحح :

أ ــ ص-ج : إن شَعْبَ عُمَان يضرب المثل بفصاحته العربية فهذا عمرو بن بحر الجاحظ يقول : لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أَيْنَ لأهل عمان البيان ؟ قال : وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء البلغاء ما يعدون لأهل عُمَان ؟ منهم مصقلة بن رقبة أخطب الناس قائماً وجالساً ، ومغرداً ومنافساً ، ومجيباً ومبتدئاً ، ثم ابنه من بعده كرب بن صقلة ، ولها خطبتا العرب : العجوز في الجاهلية والعذراء في الإسلام .

يحيل الأستاذ التنوخي على الجاحظ فيقول : انظر «البيان» ١/٩٧ . رجعنا إلى «البيان» تحقيق عبدالسلام محمد هارون ١/٩٧ فما رأينا النص كالذي أورده الأستاذ الصحيح ، وإنما جاء يروي خبر بلاغة عبدالقيس ، وفرقة منهم وقعت بِعُمَان . . : ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان . . . ومنهم صُحار بن عياش . . . ومنهم مصقلة بن رقبة ، ورقبة بن مصقلة ، وكرب بن رقبة .

وجاء على ١/٣٤٨ : ومن خطباء عبدالقيس مصقلة بن رقبة (ورقبة) بن مصقلة ، وكرب بن رقبة ، والعرب تذكر من خطب العرب : «العجوز» وهي خطبة لآل رقبة . . . والعذراء وهي خطبة قيس بن خارجة .

١ ــ ونفهم من هذا أن المسألة ليست في الأساس مسألة بلدةٍ قَدْرَ ماهي مسألة قبيلةِ (عبدالقيس) .

٢ ــ كلمة (مغرداً) غير منسجمة فيما يبدو ، ولعلها : منفرداً .

٣ ــ صحيح كرب بن صقلة : . . . بن مصقلة .

٤ ــ (لها) قلقة في مكانها ، ولو وردت في النص (عبدالقيس) لعادت عليها أي ولعبد القيس .

٥ ــ وَنَدَّخِرُ ضبط الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ـ وهو جديد بالاتّبَاع : صُوحان بضم الصاد ، صُحار بضم الصاد كذالك ، لأن الأستاذ التنوخي (ص-ج) يفتح الصادين .

٢ ــ ص ٢٣ :

وأسعد الله بالإقبال سيِّدنا تاج المفاخر والعُليا أبا العرب

كذا وردت (العُليا) بضم العين . والأنسب ـ عندي ـ فتح العين من العَلياء مخففةً : العليا .

٣ ــ ص ٤٢ :

وعَفى الصبى ورأى النُّهى أزكى له وقلَى الهوى ورأى التقى أولى به

يريد بـ (عفا) : ترك .

وصحيح رسم (الصبى): الصبا ، والشاعر يريد ما يتصل به من عبث وطيش . ويتكرر رسم (الصبا) على (الصبى) ص ٨ وتنظر حاشية ص ٢٧ ، ١٠٢ ، ٣٢ .

٤ ــ ص ٩٢ :

وتبسمت عن ذي غروب أشيب ومؤشر كالأقحوان مفلَّج

الصحيح : أشنب ـ وهو من الخطأ المطبعي الذي لم يدخل جدول الخطأ والصواب . ومن الخطأ المطبعي ص ٣٣ : وجيت : وجبت .

٥ ــ ص ١١٩ :

وداويَّة لو أنها دون مَيَّةٍ وحاولها غيلان أهلك صيدحا

مية وغيلان : وهو ذو الرمة ، وصيدح : ناقته : المناسب أن توضع بين أهلة .

٦ ــ ص ١٥٦ : وله يهجوا أحمد القصبي : (يهجوا) نذكرها لمن يؤرخ لمثل هذا الخطأ في الرسم .

٧ ــ ص ٢٠٥ :

حيث الغواني والأغاني والمثاني والمزاهر

المزاهر : جمع مزهر وهو العود يضرب به . وبالضم من نار القرى للضيفان . واسم كتاب في اللغة «جليل» للسيوطي ، لا يستغني عنه طالب علم اللغة .

هذا مثل ـ له نظائر عند الشيخ التنوخي ولدى عدد آخر فيهم شباب ـ على الشرح السيء لمفردات الشعر . وكان اللازم أن يُكْتَفَى بالثلث الأول ـ ولا علاقة بعد ذالك للضيفان والسيوطي بالبيت .

٨ ــ ص ٢٤١ :

حجازية هيهات منك وأُمها ومن دونها درب العزيز وسوره

وردت أُمها بضم الهمزة ، والصحيح الفتح .

٩ ــ ص ٢٥٩ : وقال يرثي السلطان أبا محمد بن نبهان بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان سنة ٤٧٤هـ العدد غير صحيح ، لأن الشاعر وممدوحيه من القرن

السابع . وورد في المقدمة : الستالي (٥٨٤ ـ ٦٧٦هـ) .

١٠ ــ ورد على ص ٣٧ : يمدح أبا عبدالله محمد بن عمر : ولعل الصحيح : أبا عبدالله محمد بن معمر . كأنه : محمد بن معمر بن محمد بن عمر بن نبهان ـ تنظر الصفحات ٩١ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢١٩ .

١١ ــ ص ٣٩٤ :

فلو أنَّ في عصري جميل معمَّر تشكّى الهوى علمتُه كيف يعشق

البيت موزون : ولابد أن يكون هكذا ورد عن الشاعر . وكان يمكن أن يقول : جميل بن مَعْمَر ـ بِسكون العين ، وفتح الميم ، ويكون صواباً في لفظ اسم مَعْمَر ، وصواباً في أن جميل هو ابن معمر ، وكان يمكن أن يقول : جميل بثينة .

١٢ ــ ص ٤٢٠ :

والنْور في نسق من كلّ متَّفقٍ من أبيض يقق أو أحمر قاني

ورد النور بتسكين النون ، والصحيح أنها مشددة مفتوحة .

١٣ ــ ص ٤٥٧ : هذه المقطوعات الثلاثة . . نسينا إدخالها في الديوان حسب ترتيبها : الصحيح المقطوعات الثلاث . . . ادخالها . .

١٤ ــ ومن الخطأ المطبعي ص ٥٤ : (أوخال نفسي): وإخال نفسي ص ١٢٤ (تبهاً) : تيهاً .

١٥ ــ ص ١٩٧ :

وقد يبقى في الغيبين من لا تظنّه تَقِيًّا ويعصي ناسك متزهد

ربما كان الأصل : وقد يتقي في الغيب . .

١٦ ــ ص ١١٢ : وله أيضاً يمدحهم حرس الله معاليه : . . . يمدحه . .

١٧ ــ ص ١٦٥ :

ألا إنما صيد القلوبِ لمن لـه تُـراقُ صقيـلات عليهـا عقـوده

وردت تراق بضم التاء والقاف وكأنها الفعل المضارع المبني لما لم يُسَمَّ فاعله (المجهول) ووردت صقيلات بكسرتين تحت التاء .

والذي أراه : تراقٍ صقيلاتٌ : تراقٍ بكسرتين تحت القاف جمع الترقوة مُنَوَّنٌ ، وصَقِيلات صفة لها . . .

١٨ ــ ص ١٧٢ :

بـين البـوادي ونحن نحضُرهـا بمحكـمات القـريض ننشِـدُهـا
بـديعـة من عـويص شـاعـرهـا سـائـرة في البـلاد سرمـدهـا

قال المحقق (سرسرها) لعله محرفة عن (سرمدها) أي دائمها وخالدها . وأقول لعل أفضل من ذالك أن يريد (شرَّدُها) .

٧ ــ «عمان تاريخ يتكلم» :

تأليف محمد بن عبدالله السالمي وناجي العساف . طبع على نفقة سليمان وأحمد ابني محمد السالمي . دمشق ، المطبعة العمومية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ـ ص ٢٦٧ .

١ ــ ص ١٢ : رأس موسندام ، وتتكرر . يـرد في أطالس وخرائط حديثة على (مسندم).

٢ ــ ص ١٤ : ومن لبخه إلى بندر عباس (٩٦ ميلاً) : ص ١٦٨ لنجة كما صححها جدول الخطأ والصواب ينظر الجدول لأخطاء أخرى .

٣ ــ ص ٤٩ : شاطيء : شاطئ . ص ١٩١ : مباديء : مبادئ ـ لا موجب لنقاط الياء لأنها هنا رسم الكرسي تستند إليه الهمزة .

٤ ــ ص ١١٢ : قطري بن الفماجأة : قَطَرِيُّ بن الْفُجَاءَة .

٥ ــ ص ١٣١ : (.. سيما وأن خلافة المسلمين..) : لاسيما أن .

٦ ــ ص ١٦٦ : (ممباسا) ، ص ١٨٣ : (ممباسة) ـ وأحسب أن الثانية هي المطلوبة المألوفة .

٧ ــ ص ١٦٨ : (سالم بن ثويني) (..) ثار عليه كذالك أخوه تركي واستولى على صحار .

الصحيح : ثار عليه ابن عمه تركي بن سعيد (تنظر ص ٢٦٥) وفي العربية ثار به ، ثار به الناس أي وثبوا عليه.

٨ ــ ص ١٤٦ : من قصيدة لأبي اسحق الحضرمي ... يصفها (غراء) وماهي غراء ، إنها ركيكة لا تدل على أية شاعرية ومنها :

وقصوا لنا ماكان من أمركم وما لديكم فيا لله دَر الذي يهدوا

يريد : يهدون ، فجزمها بغير جازم .

٩ ــ ص ٢١٨ : في شهر جمادى الأول من عام ١٢٣١ (١٩١٣م) : جمادى الأولى ١٣٣١ لأن جمادى مؤنثة .

١٠ ــ ص ٢٥٣ : بناء على طلب احدى عشر دولة عربية : احدى عشرة .

١١ ــ يعتمد الكتاب كثيراً على كتاب الشيخ أبي عبدالله نور الدين محمد بن عبدالله السالمي (١٢٨٦ ـ ١٣٣٢) «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» مرة بنص على المؤلف والكتاب ، ومرة أو مرات بـ (قال) فقط ، ويفهم أن القائل هو الشيخ نورالدين في «تحفة الأعيان» .

بغداد ـ الدكتور علي جواد الطاهر

من معالم عالية نجد :

ـ ١ ـ وَجْـرَةُ ، وغَمْـرَةُ

وَجْرَة : ـ بفتح الواو وسكون الجيم المعجمة ، ثم راء مهملة مفتوحة ، ثم هاء : قال امرؤ القيس في معلقته :

تَصُدُّ وتُبدِيْ عَنْ أسِيْلٍ وتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ من وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وقال لَبِيْدُ بْنُ رَبيعة في معلقته :

زُجُلًا كأنَّ نِعاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْـرَةَ عُـطَّفاً آرَامُهَـا

وقال النابغة الذُّبيانيُّ في معلقته :

مِنْ وَحْشِ وَجْـرَة مَـوْشِيٍّ أكـارِعُـهُ طَاوِي الـمَصِيْرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

قال التَّبْرِيزيُّ : خَصَّ وحش وجرة لأنَّها فلاةٌ يقال إن فيها ستين ميلًا ، والوحش يكثر بها ، ويقال : إنّها قليلة الشرب فيها[1].

وقال ياقوت وَجْرَة : بالفتح ثم السّكون :

قال الأصمعيُّ : وجرة بين مكة والبصرة ، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلًا ، ليس فيها منزل فهي مَرَبٌّ للوحش .

وقيل : حرَّةُ لَيْلَى وَجْرةُ والسِّيُّ : مواضع قرب ذات عِرْقٍ ببلاد سُلَيم ، قاله السّكري في قول جرير :

حُيِّيْتَ لست غداً لَهُنَّ بِصَاحِبٍ بِحَزِيْزِ وَجْـرَةَ إذْ يَخِدْنَ عِجَـالاَ

وقال بعضُ العشاق :

أرْوَاحَ نَعْمَان هَلاَّ نَسْمَةٌ سحراً ومَـاءَ وَجْـرَة هَـلاَّ نَهْلَةٌ بِفَمي

وقال : وجرة دون مكة بثلاث ليال .

وقال محمد بن موسى : وجرةُ على جادّة البصرة إلى مكة بإزاءِ الغمر الَّذي على جادّة الكوفة ، منها يحرم أكثر الحاجّ ، وهي سُرّةُ نَجْدٍ ستون ميلاً لا تخلُو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير .

قال أبو عبدالله السكونيُّ : وجرةُ منزل لأهل البصرة إلى مكة بينه وبين مكة مرحلتانِ ، ومنه إلى بستان بن عامر ثم إلى مكة ، وهو من تهامة .

وقال البكريُّ : وجرةُ ـ بالراء المهملة ـ قال الأصمعي : هو موضع بين مكة والبصرة على ثلاث مراحل من مكة ، طولها أربعون ميلاً ، ليس فيها منزل ، فهي مَرَبٌّ للوحش .

وقال الطوسيُّ : وجرة في طرف السيِّ ، وهي فلاةٌ بين مَرَّان وذات عرق، وهي ستون ميلاً ، يجتمع بها الوحش ، لا ماء بها ، قال النّابغة :

من وَحْشِ وجْرَة مَوْشيٍّ أكارِعُهُ طَاوِي المصِيْر كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِد

وقال عُمَارَة بن عَقِيلٍ : السيُّ : ما بين ذات عرق إلى وجرة ، على ثلاث مراحل من مكة ، إلى البصرة ، دون ركبة ، على يسار طريق مكة لمن يخرج من ضَرِيَّة ، وزعم عمارة أنّه ماء لبني سُلَيم ، على ثلاث مراحل من مكة كما قال الأصمعي ، وأنشد لجَدِّهِ :

حُيِّيْت لَسْتَ غَدًا لهُنَّ بصاحبِ بِحَزِيْزِ وَجْرَةَ إذ يَخِدْنَ عِجَالاَ

الحَزِيْزُ من الأرض ما غَلُظ واسْتدقّ .

وقال ابْنُ حَبيب : وجرةُ : من سائر ، وسائرُ ، قريب من عَيْنِ مَلَل .

وقال غيره : وجْرةُ بإزاء غمرة ، عليها طريق حاجّ الكوفة والبصرة .

وقال الحارث بن ظالم يمدح قريشاً :

مَلأْتِ الأرضَ مكـرُمَـةً وخَـيراً إلَى مَـا بَيْنَ وَجْـرَةَ فَـالْـجَنَـابِ

وقال عَبَدَةُ بْنُ الطَّبيب :

حَلَّتْ سُلْمَى بَطْنَ وَجْرَةَ فَالرَّجَا واحْتَلَّ أَهْلُكَ بِالسِّخَالِ إلَى القُرَى

الرجاء : موضع دَانٍ من وجرة ، والسِّخال ، موضع في ديار بني سعد بن زيد مناة ، وهو من العالية .

وقد ذكرها الأصفهانيُّ وجعلها حدُّ نَجْدٍ من الناحية الغربية حيث قال : إذا جُزْتَ ذَاتَ عِرْقٍ إلى البحر ، فأَنْتَ في تهامة ، وإذا جُزْتَ وجرةَ وغمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العُذَيْب ، وغمرة في طريق الكوفة ، ووجرة في طريقة البصرة[٢] .

وقال في موضع آخر من كتابه : مَرَّان : وهو ماء وقرية غناء كبيرة ونخل[٣] ثم تجوز مرَّانَ فتردُ الشَّبَكة ، وهي ماء عليه تجار ، ثم ليس دون وَجْرة إلا مَتَعَشَّى يقال له بُسْيَان فيه من ماء السَّماء[٤] ثم أوطاس ، ثم إذا جُزْتَ أوطاسَ أَشْرفْتَ على غور تهامة[٥] .

وفي موضع آخر قال : وأهل الكوفة يُحرمون بِغَمرة ، وأهلُ البصرة بوجرة ، وهو منهلٌ من مناهل طريق البصرة ، وهما يتراءان ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ ، وبينهما جبل يقال له الكراع[٦] .

قلت : في هذه العبارة أوضح قُرْبَ غمرةَ من وجرة ـ يُرَى أحدهما من الآخر ، بينهما جبل الكراع .

والكراع مازال معروفاً باسمه ، وسيأتي تحديده .

وقال أيضاً : ويجتمع طريق البصرة والكوفة بأمّ خُرْمَان ، وهي أوطاس ، وفي أمّ خرمان يقول الشاعر :

يَـا أُمَّ خُرْمَـانَ ارْفَعِـي الوَقـودَا فَقَـدْ أَطَـالَتْ نَـارُكِ الـخُمُـودَا
أَنْمْتِ ، أَمْ لا تجدِيْنَ عُودَا ؟

قال : ومنهل يقال له الغُمير : إذا خرجتَ من غمرة أو وَجْـرة فأردتَّ أن تجعل إلى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغمير ، ومن جعلها ثلاثا فمرحلة ذات عرق ثم البُستان ، ثم مكة(٧).

قلت : كل ما تقدم من الأقوال في تحديد وجرة ، لا يختلف بعضها عن بعض ، وهو تحديد واسع ، لا ينصُّ على معالم مميزة لوجرة ، إلّا ما أورده الأصفهاني ، حيث وصفها ووصف غمرة بأنهما منهلان من مناهل طرق الحج ، وأنّهما يتراءان ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ ، وبينهما جبل يقال له الكراع .

في هذه العبارة وصفهما وصفاً جغرافياً وحدّد ما بينهما من المسافة بالرؤية وبالفراسخ ، ثم في عبارة تالية حدّد المراحل بينهما وبين مكة .

ومادام أن جبل (الكراع) مازال معروفاً ، ومعالم طرق الحج مازالتْ واضحة ومعروفة ، فإنّ على ضوء ذالك يسهل تحديد وجرة تحديداً صائباً .

وقد تَبع المتقدمين في توسعهم في التحديد محمد بن بُلَيْهد ـ رحمه الله ـ فقال : وَجْرة : معروفة بكثرة الظباء ، وقد أطال الكلام عليها أهل المعاجم ، وهي رُكْبَـةُ الشمالية . وأما ركبـة الجنوبية فهي التي يسلكها طريق السيّارات من عشيرة إلى الـمُوَيْه .

وَوَجْرَة : التي يسلكها اليوم طريق السيارات من عُشيرة إلى المهد ، وهي التي يقول فيها جرير :

حُيِّيْت لسْتَ غداً لهنَّ بصاحب بِحَزِيْزِ وجْرة إذْ يَخِدْنَ عجالا(٨)

قلت : رُكْبَـة اسم قد توسّع النّاسُ في مسماه فشمل ركبة كلها ووجرة وبلاد السيِّ ، ولم يعد اسمُ وجرة معروفاً في هذا العهد ، وكذلك السيِّ .

وقد علق الشيخ حمد الجاسر على كتاب «بلاد العرب» فقال في تحديد وجرة : هي في عالية نجد ، وهي الطّرف الشمالي من فلاة ركبة ، الممتدة من شمال الطائف إلى حرّة كُشُبٍ ، ومن عشيرة والبركة والعقيق غرباً إلى حَضَن وكشب شرقاً[٩] .

قلت : وفي هذه العبارة تحديد قريب لوجرة أدق مما تقدم . إذ هي في الطّرف الشمالي الغربي من فلاة ركبة ، يمرّ بها طريق (الـمُنَقَّى) طريق حاج العراق القديم ، وفيها هدام قصر قديم يُسمّى (الخرابة) لأنه قد أصبح خَرِباً .

وهي كما وصفها محمد بن موسى فيما تقدم : واقعة على جادة البصرة نجديّة ، ستون ميلاً ، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير .

وقال صاحب كتاب «المناسك» : ومن الشبيكة إلى وجرة أربعون ميلاً ، وبوجرة ماء كثير[١٠] .

وقال أيضاً : وجرة ، منزل . أي من منازل طرق الحج ، وأورد من أجوزة في رسم طريق الحج :

ثُمَّ مَضَتْ تَؤُمُّ حَـوْضَ وجْـرَهْ فـاتِـرَةَ الـبـغَـامِ أيَّ فَـتْـرَهْ
ما قَصَعَتْ مُذْ أَصْبَحَتْ بِجرَّه

فـوردتْ فَشَـرِبَتْ عَـلَى ظَـمَا مِنْ بارِدٍ عَذْبٍ رَقِيْقٍ قَدْ صَفَا
يشْفي به الحائِمُ حَرَّاتِ الصّدَى[١١]

وقد تحدث عاتق بن غيث عن البركة وعن الخرابة فقال : الخرابةُ بركة لزبيدة بنت جعفر ، أمّ الأمين ، فوقها قصر رُمِّمَتْ هي والقصر سنة ١٣٩٣هـ . تقع على طريق الحاج العراقي القديم شمال شرقي عشيرة على (١٤٠) كيلاً ، وأصبح اليوم القصر بحالة حسنة رغم مرور أكثر من ألف سنة على إنشائه . . . وكانت أرض الخرابة تعرف بوجرة .

والخرابة : بركتان تفصل بينهما بقايا قصر قديم ذي قبتين في سَقْف واحد ، ومجرى البركتين واحد ، يمرّ بالأولى ثم ينساب الزائد من تحت القصر فيصُبُّ في الأخرى ، وهي الأكبر ، وشكلهما شكل بركة زبيدة مع اختلاف في الحجم ، والكبيرة يقارب قطرها (٥٠) متراً ، تقع الخرابة شرق بركة زبيدة على نفس طريق الـمُنقّى بحوالي ستة أكيال تفصل بينهما حرّة الكراع ، ولقصر الخرابة شهرة هناك(١٢).

قلت : هذا التحديد والوصف يتفقان تماماً مع ما ذكره الأصفهاني وتقدم فيما سبق .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول أنّ الموضع الذي ذكره عاتق بن غيث باسم البركة هو غمرة ، وأنَّ (الخرابة) هي وَجْرَة ، وإن الاسم كان يطلق على الماء الذي هو ـ منزل من منازل الحاج ـ وما حوله من البلاد ، كما هو الحال في هذا العهد فإنّ اسم (الخرابة) يطلق على كل ما يحيط بها من تلك النّاحية .

الرياض سعد بن عبدالله بن جُنَيْدِل

الحواشي :

(١) «شرح القصائد العشر» ٣١٢ .
(٢) «بلاد العرب» ٣٣٦ .
(٣) مَران : مازال معروفاً ، وقد أعيد عمران قريته .
(٤) بسيان : مازال معروفاً باسمه ، في غربي وسط ركبة .
(٥) المصدر السابق ٣٧٣ .
(٦) المصدر السابق ٣٧٦ .
(٧) «المصدر السابق» : ٣٧٦ ـ ١٧٣ .
(٨) «صحيح الأخبار» ٢٠/١ .
(٩) حاشية «بلاد العرب» ٣٧٣ .
(١٠) «المناسك» ٦٠٢ .
(١١) نفس المصدر ٦٣٦ .
(١٢) «معجم معالم الحجاز» رسم الخرابة ١٠٨/٣ .

الحنيفية وشعراؤها في العصر الجاهلي

إنَّ مَنْ يبحث في أخبار العرب ، قبل الإسلام ، يجد كثيراً منهم قد أشركوا بالله ، وأضحى تعدد الآلِهة لديهم اعتقاداً متيناً . ولكن هل يعني ذلك أن دين إبراهيم عليه السلام قد نُسِيَ تماماً ؟ وأن عقيدته التوحيدية تلاشت ، فلم يبقَ في العصر الجاهلي إلا الوثنية والشرك ؟

لقد أمدتنا المصادر القديمة بروايات وأخبار وأشعار تنص على أنه قد وُجِدَ نفر من العرب الجاهليين رفضوا عبادة الأوثان ، ولم يقبلوا بتعدد الآلِهة ، واتجهوا إلى عبادة الله وحده ، ذلك الذي كان متفرداً بالعبودية قبل انتشار الشرك وعبادة الأصنام . وقد دُعي هؤلاء بالحنفاء ، وظهر منهم شعراء عبروا عن عقيدتهم أصدقَ تعبير ، وعن تمسكهم بما تنامى إليهم منها عن إبراهيم الخليل .

ولكن علينا ـ قبل أن نعرض لأولئك الشعراء ـ أن نعرف ما المقصود بالحنيف والحنيفية ، لكي ندرك المعاني والصور التي أتى بها الشعراء الحنفاء .

ـ الحنيفية والحنفاء :

جاء في «اللسان» أن الحنيف لغةً هو المائل من خير إلى شر ، أو من شر إلى خير ، والجمع : الحنفاء . وحَنَفَ عن الشيء وتحنَّفَ : مال ، والحنيفية : الميل[1] .

وقد تعددت أقوال العلماء في المعنى الاصطلاحي للحنيف ، غير أن معظمهم أجمع على أن الحنيف هو من بقي على دين إبراهيم ، فحجَّ البيت ، واعتزل الأصنام ، وتعبّد لله[2] . وقد ورد ذكر الحنيف ، بهذا المعنى ، في قول أبي ذُؤيب الهُذَلي[3] :

أقـامـتْ بـه كمقـام الحنيـ ـفِ شَهرَيْ جُمَادَى وشَهْرَيْ صفَر

كما ذُكر التحنّف بمعنَى التعبّد عند جِران العَوْد ، في قوله[4] :

وأدركْنَ أعجازاً من الليل بعدَما أقـام الصلاةَ العـابِدُ الـمُتَحَنِّف

وورد أيضاً أن الحنيفية هي الميل عن اليهودية والنصرانية والتمسك بدين إبراهيم عليه السلام[٥]. وجاء في «السيرة» أن اليهود كانت تدَّعي أن إبراهيم كان على دينها ، وأن النصارى كانت تدّعي أنه على دينها[٦]، فنزلت الآيات القرآنية لتنفي ادعاء الفريقين ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ماكانَ إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ﴾[٧]. وفضلاً عن ذلك فإن الآية تنفي أيضاً أن يكون إبراهيم عليه السلام من عبدة الأوثان الذين أشركوا بالله .

ويبدو أن بعض الجاهليين كانوا يعدُّون عبادة الأوثان انحرافاً عن دين إبراهيم الحنيف ، فمن ذلك ما نُسِب إلى أمية بن أبي الصلت[٨]:

كُلُّ دِيْنٍ يومَ القيامةِ عند الله إلّا دينَ الحَنيفةِ بُوْرُ

ولما قامت قريش لمحاربة الرسول ﷺ انبرى أبو قيس بن الأَسْلَتِ يدافع عنه ، على الرغم من عدم إسلامه ، مذكراً قريشاً بحرمة مكة التي يأمن فيها الإنسان والحيوان ، وداعياً إياهم إلى العودة إلى دين إبراهيم الحنيف[٩]:

أُعيذكم بالله من شرِّ صُنْعِكُمْ وشَرِّ تَبَاغِيكُمْ ودَسِّ العَقَارِبِ
فذكِّرْهم بالله أولَ وَهْلَةٍ وإحلالِ أحرامِ الظباءِ الشوازبِ
أَقِيمُوا لنا دِيْناً حنيفاً فأنتم لنا غايةٌ قد يُهْتَدَى بالذّوائبِ

وتؤكد أكثر الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر الحنيف أنه من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، وأخلص في عبادة الله وحده ، فلم يشرك به شيئاً[١٠].

ومما تقدم نجد أن الحنفاء ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا وثنيين مشركين ، وإنما هم أولئك الذين بقوا على عقيدة التوحيد التي دعا إليها إبراهيم الخليل ، فرفضوا عبادة الأوثان وأخلصوا التعبد لله وحده ، وقد ظهر ذالك جليًّا لدى أبرز شعرائهم زيد بن عَمْرِو بن نُفَيْل ، وأمية بن أبي الصلت ، وأبي قيس بن الأَسْلت .

— زَيْدُ بن عمرِو بن نُفَيْل :

لقد أجمعت معظم الروايات على أن زيداً كان في مقدمة الحنفاء الذين اعتزلوا

عبادة الأوثان ، وتعبّدوا لله وحده . ورُوي أنه بحث عن عقيدة التوحيد في اليهودية والنصرانية ، فلم يطمئن إليهما ، وظل متمسكاً بما ورد إليه من دين إبراهيم عليه السلام ، حتى قُتِل قبيل الإسلام ، بعد أن لقي أذى كثيراً من قومه[١١] .

وأهم ملامح عقيدة التوحيد تظهر فيما تبقى من أشعاره ، فمن ذلك قوله[١٢] :

أربًّا واحداً أَمْ أَلْفَ ربٍّ ... أدِيْنُ إذَا تَقَسَّمتِ الأُمُورُ؟
عَزَلْتُ اللاَّتَ والعُزَّى جميعاً ... كذالِك يفعلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ
فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْهَا ... ولاَ صَنَمَيْ بني عَمْرٍو أزورُ
ولا هُبَلاً أدِينُ وكان رَبًّا ... لنا في الدهر إذْ حِلْمي صغيرُ

فهو يعتقد أن الله رب واحد لا نِدَّ له ولا نظير ، لذلك اعتزل عبادة الأوْثان والأَصْنام ، سواء أكانت اللات أم العُزَّى أم هُبَل ، أم سائر الأصنام الأخْرى . وفي البيت الأخير يشير إلى أن العقل هو الذي هداه إلى اليقين ؛ وذلك حينما بلغ أشده ، ونضج تفكيره ، وتعمق نظره ، فرفض تَعَدُّدَ الآلِهة ، ورفض أن يخضع لما عليه القومُ والآباءُ ، ولجأ إلى عبودية واحدة لله تعالى .

ويَبْدُوْ أنَّ ديانة إبراهيم عليه السلام لم تكن واضحة تماماً في ذهنه ، بما تنطوي عليه من عبادات ومناسك وشعائر ؛ لذلك كان يُسلم أمره لله رب الكعبة ، قائلاً[١٣] :

عُذْتُ بما عاذَ بِهِ إبراهِمُ ... مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ وَهْوَ قَائِم
أَنفِي لك اللَّهُمَّ عانٍ راغِمُ ... مهما تُجَشِّمْنِي فإني جاشِم

كما رُوي عنه أنه كان يقول : (اللهم ، لو أني أعلم أيّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه) ، ثم يسجد على راحته[١٤] .

ـ أمية بن أبي الصَّلْت :

من الشعراء الحنفاء أيضاً أمية ، وهو شاعر من ثَقِيف ، نظر الكتب وقرأها ،

وتجنَّب عبادة الأوثان ، وتمسك بالحنيفية ديانةِ إبراهيم الخليل ، ومن المعتقد أنه ظل حتى مجيء الإسلام ، وبقي متمسكاً بعقيدته فلم يسلمْ[١٥] ، ومات على الأرْجح في السنة الثانية للهجرة[١٦].

وملامح الحنيفية ظاهرة في شعر ابن أبي الصَّلت ، الذي كان له حظ وافر من الحفظ ، أكثر من سائر شعر الشعراء الحنفاء . ولا شك في أن شعراً كثيراً قد نُحِلَ عليه ، بَيْدَ أننا إذا بحثنا في شعره ، المرجح أنه موثوق ، نجد مادة تشير إلى أنه كان رافضاً الوثنية ، مؤمناً بإله واحد لا شريك له ، معتقداً أنه باقٍ على دين إبراهيم التوحيدي ، وذلك على شاكلة قوله[١٧]:

الحَمْـدُ لله مُمْسَانـا ومُصْبَحَنَـا ... بالخيرِ، صَبَّحَنا ربِّي ومسَّانَـا
ربُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خَـزائِنُها ... مَمْلُوءَةً طَبـق الآفـاق سلطانـاً

فالله جلَّتْ قدرته هو الذي ينبغي أن يحمد على آلائه ونعمه التي يسبغها على المرء صباح مساء ، وهو تعالى رب الحنيفية التي عمّت الدنيا بنورها وهديها .

ويُنَوِّهُ أيضاً بعظمة الله الكبير المتعالي الذي له البقاء الدائم ، والخلود المستمر ، فالكل سيفنى ويبقى الله الواحد الأحد[١٨]:

ألا كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ غيرَ ربِّنـا ... ولله مـيراثُ الذي كـان فـانيـاً
وإنْ يـكُ شَيْءٌ خالِـداً ومُعَمَّراً ... تأمَّلْ تَجِدْ منْ فَوْقِهِ الله باقيـاً

وإذا كان المشركون يعتقدون في آلِهَة عِدَّةٍ ، تمتلك قدرات مختلفة ، فإن الشاعر لا يرى فوق الله تعالى أيَّ شيء كان ، كما لا يرى أيَّ إله يشاركه في العبودية والربوبية[١٩]:

إلى الله أُهْـدي مِدْحَتي وثنـائِيا ... وقولاً رَصيناً لا يَنِـي، الدهرَ، باقيا
إلى الملكِ الأعلى الَّذِي ليس فوقه ... إلــهٌ ولا رَبٌ يكـون مُـدَانيـاً
وأشهدُ أن الله لا شَيْءَ فوقـه ... عليًّـا وأمسى ذكْـرُهُ متعـاليـاً
رضِيتُ بك اللَّهمَّ ربًّا فلنْ أرى ... أَدِينُ إلهـاً غيرَك، الله، ثـانيـاً

ولئن كان الحجُّ إلى بيت الله الحرام أهَم مشاعر الحنيفية المتبقية من عهد إبراهيم الخليل فإنَّ الشاعر لايزال مُتَمَسِّكاً به ، ومُعْتَقِداً أنه يوجد في العرب من يخلص في حجه لله وحده ، لا يبتغي بذلك سوى غفرانه ورضوانه[٢٠]:

إنِّي أعوذُ بمَنْ حَجَّ الحَجِيجُ لَهُ ... والـرافعـونَ لـدينِ الله أَرْكـانـاً
مُسَلِّمـين إليـه عِنْـدَ حَجِّهِـمُ ... لَمْ يَبْتَغُـوا بِثـوابِ الله أَثْمَـانَـا

ويبدو أن أمية قد قابل زيدَ بن عَمْرٍو ، أو أنه قد سمع به وبتمسكه بالحنيفية ، وإخلاصه العبادة لله وحده ، ولعل ما يرجِّحُ هذا الأمْرَ وجودُ شعرٍ منسوب إلى أمية يرثي فيه زيداً ، ويشيد بإيمانه وعقيدته[٢١].

ـ أبو قيس بن الأَسْلت :

أما أبو قيس فهو ثالث أولئكم الحنفاء ، واسمه صَيْفِيُّ بن الأَسْلت بن جُشَم ، من الأَوْس[٢٢]، وكان يَتَأَلَّهُ في الجاهلية ، ويَدَّعِي الحنيفية ، كما كان شاعراً من شعراءِ الأوْس ، وزعيماً من زعمائهم إذ أسندوا إليه حربهم يوم بُعاث[٢٣]. وقد أدرك الإسلام، بَيْدَ أنه اخْتُلِفَ في إسلامه، فقيل : إنه أسلم عند احتضاره، وقيل: إنه لم يسلم، كما اخْتُلِفَ في وفاته، فجعلها بعضهم في السنة الأولَى للهجرة ، وأخَّرها بعضهم إلى عام الفتح[٢٤].

وقد أوردنا في الفقرة الأولى بعضاً من شعره الذي دافع فيه عن الرسول ﷺ ، ودعا فيه قريشاً أنْ تَكُفَّ عن غيها وضلالها ، وتتبعَ الدين الحنيف الذي يوافق ماجاء به المصطفى عليه السلام .

ومن ثَمَّةَ فإننا نجد لديه عقيدةَ التوحيد نفسها التي وجدناها عند الشاعرين السابقين ثم هو أيضاً ـ شأنه شأن زيد بن عمرو ـ يرفض اليهودية والنصرانية ، ويتمسك بالحنيفية ، ويراها الدين الحق ، فيعبر عن ذلك شعراً[٢٥]:

أربَّ الـنَّـاسِ أشيـاءُ أَلَمَّـتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالـذَّلُـولِ؟
أربَّ النـاس أمَّـا إذْ ضَلَلْنـا ... فَيَسِّـرْنَـا لمعـروفِ السَّبِيـلِ

فـلولا ربُّـنـا كُـنَّـا يهـوداً وما دِيْنُ اليهودِ بـذِي شُكُولِ
ولـولا ربُّـنـا كُـنَّـا نـصـارى مع الرُّهْبـانِ في جَبلِ الجليـلِ
ولـكـنَّـا خُـلِقْـنـا إذْ خُـلقـنـا حنيفـاً دينُنـا عن كـلِّ جيـلِ
نسوق الهَدْيَ تَـرْسُفُ مُذْعِنَـاتٍ مُكَشَّـفَـةَ المنـاكـبِ في الجُلُولِ

ولعل الشاعر في هذه الأبيات قد أعطى الصورة الصادقة عن جماعة الحنفاء ، التي أَنِفَتْ من عبادة آلِهَة متعددة ، تمثلها أوثانٌ صَمَّاءُ لا تملك ضراً ولا نفعاً . كما عبّر عن بحث هذه الجماعة في الديانتين اليهودية والنصرانية ، وعدم اقتناعها بهما ، لتركن أخيراً إلى دين إبراهيم ، الداعي إلى توحيد الله وعدم الشرك به . ويلاحظ أن الشاعر هنا أيضاً يشير إلى الحج الذي هو أهم مناسك الحنيفية المتبقية ، بل لعله المنسك الوحيد المعروف والمشهور بين العرب ، من تلك الديانة القديمة .

ونخلص مما مر بنا أن الحنفاء في الجاهلية جماعةٌ لها منهج واحد ، تسير عليه ، واعتقاد واضح تؤمن به ، إذ ترى أنها تسير على نهج إبراهيم الخليل، وتعتقد في إلهٍ واحد لا شريك له هو الله ، وتقوم بما وصل إليها من شعائر حجّ إبراهيم ومناسكه .

وفضلاً عن ذالك فإن ثَمَّة أمْراً جديراً بالاهتمام ، ينبغي لنا أن نذكره ، وهو أن الحنيفية لم تكن مقتصرة على قبيلة معينة من قبائل العرب ، وإنما كانت معروفة في أنحاء عدة من الجزيرة العربية ، ولا أدل على ذالك من أن شعراءَها الذين عرضنا لهم كانوا من قبائل مختلفة ، فزيد من قريش ، وأمية من ثَقِيف ، وأبو قيس من الأَوْس .

وسرعان ماجاء الإسلام فأثبت عقيدة التوحيد ، وقضى على كل ما يناقضها من الشرك وتعدد الآلهَةِ ، ليبقى الدينُ كلُّه خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد .

كلية الآداب ـ جامعة حلب ـ الدكتور عبدالغني زيتوني
مدرس الأدب القديم

الحواشي والمصادر :

(١) «لسان العرب»: مادة (حنف)، لابن منظور، ط بيروت ١٩٥٦ .
(٢) المصدر نفسه: مادة (حنف). و«تاج العروس»: مادة (حنف)، للزبيدي ط بيروت. و«جمهرة اللغة»: مادة (حفن)، لابن دريد، ط حيدر آباد ١٣٤٥هـ .

(٣) «لسان العرب»: مادة (حنف). وشهرا صفر: يقصد صفر والمحرم. والضمير يعود على الناقة، وأراد أنها قد أقامت بهذا المكان إقامة المتحنف على هيكله مسروراً بعمله وتدينه لما يرجوه على ذلك من الثواب .
(٤) «تاج العروس»: مادة (حنف) .
(٥) «الروض الأنف»: ٢٩٢/١ ، للسهيلي ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ط القاهرة ١٩٦٧ . و«جمهرة اللغة»: مادة (حفن) .

(٦) «السيرة النبوية»: ٥٥٣/١ ، لابن هشام ، تحقيق السقا والأبياري وشلبي ، ط مصر ١٩٥٥ .
(٧) (آل عمران): الآية ٦٧ . و«تفسير الطبري»: ٣٠٦/٣ ، ط مصر ١٩٥٤ .
(٨) «ديوان أمية بن أبي الصلت»: ص٣٩٣ ، تحقيق د . عبدالحفيظ السطلي ، ط دمشق ١٩٧٧ .
(٩) «السيرة النبوية»: ٢٨٤/١ . وأحرام الظباء : هي التي يحرم صيدها ، والشوازب : جمع شازبة ، وهي ضامرة البطن ، يصف الظباء . والذوائب : الأعالي .

(١٠) (البقرة): الآية ١٣٥ ، وآل عمران : الآية ٩٥ ، والنساء : الآية ١٢٥ ، والأنعام : الآية ١٦١ و(يونس): الآية ١٠٥ ، و(النحل): الآية ١٢٠ و(الحج) : الآية ٣١ ، و(البينة): الآية ٥ .
(١١) «السيرة النبوية»: ٢٣١/١ . و«صحيح البخاري»: ٥٠/٥ ، ط مطابع الشعب مصر ١٣٧٨هـ . و«تفسير الطبري»: ٣٠٦/٣ .
(١٢) «السيرة النبوية»: ٢٢٦/١ . ووردت بعض هذه الأبيات في «نسب قريش»: ص٣٦٤ ، لمصعب الزبيري ، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، ط القاهرة ١٩٥٣ و«جمهرة نسب قريش» ص٤١٧ ، للزبير بن بكار ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط بيروت ١٣٨١هـ .

(١٣) «السيرة النبوية: ٢٣٠/١ . (١٤) المصدر نفسه: ٢٢٥/١ .
(١٥) «خزانة الأدب»: ٢٤٦/١ ، للخطيب البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط القاهرة ١٩٦٨م .
(١٦) مقدمة «ديوان أمية بن أبي الصلت»: ص٤٣ ، وفيها دراسة مسهبة عن حياته وشعره .
(١٧) «ديوان أمية»: ص٥١٦ . (١٨) المصدر نفسه: ص٥٢٨ .
(١٩) المصدر نفسه: ص٥٣٨ . (٢٠) المصدر نفسه: ص٥١٨ . (٢١) السيرة النبوية: ٢٣٢/١ .
(٢٢) المصدر نفسه: ٥٨/١ . و«الاشتقاق»: ص٤٤٨ ، لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط مصر ١٩٥٨م .
(٢٣) يوم بعاث: هو يوم للأوس على الخزرج ، وكان قبل الهجرة بخمس سنين .
(٢٤) «خزانة الأدب»: ٤١١/٣ .
(٢٥) «السيرة النبوية»: ٤٣٨/١ . وترسف : تمشي مشي المقيد . ومذعنات : منقادات . والجلول : جمع الجُلّ ، وهو ماتُلْبَسُهُ الدابة لتصان به .

رحلة (تاميزيه) و(كومبْ)
الى الجزيرة العربية
- ٣ -

[«العرب» س : ٢٤/٤٥٠ و ٦٥٥]

انتهت الحملة المصرية على عسير بانسحاب الجيش المصري، فعاد (تاميزيه) إلى جدة، مع أفراد البعثة الطبية الأروبية . وكان التقاؤه هناك بـ(أدوار كُوْمْبْ)، وهو أيضاً شاب فرنسي استهوته المغامرات وحب الأسفار ، فرحلا معاً إلى الحبشة عبر تهامة الحجاز واليمن وطالتْ رحلتهما سنتين ، من شباط ١٨٣٥ إلى اذار ١٨٣٧ .

كان بوسع (تاميزيه) وصاحبه (كومب) أَنْ يُغادِرَا جدة منذ أوائل سنة ١٨٣٥ ، لأنهما كانا على أُهْبة السفر ، لكنهما آثرا البقاء في جدة إذْ كان أهلَّ شهر رمضان فحرصا على المكوث ليتم لهما مشاهدة صيام المسلمين وعيد فطرهم ، وما يصحب هذا العيد من حفلات، فوصفاها بأمانة (وعلقا عليها بعبارات لا تَخْلو من التَّحامل والشناعة نضرب عنها صفحاً) فقالا :

يصوم المسلمون خلال هذا الشهر ، من وقت طلوع الشمس إلى غيابها ، وهم يقضون نهارهم في شبه عزلة ، ويمتنعون خلال هذه الساعات عن الأكل والشرب والتدخين ولا يقربون نساءهم . ولاشك أنَّ هذا الصيام صَعْبٌ جدّاً بسبب حرارة الجو الشديدة ، ولذا يعمل المسلمون على تفادي كل ماقد يَتَأَتَّى عنه تعب ، فالأسواق مغلقة وكذالك المقاهي ، ولولا أنَّ الفقراء منهم مضطرون إلى العمل ، وإلا لزادتْ عليهم أيام الصوم ، ولظن من يزور جدة أنها أقفرتْ وخلتْ من سكانها . ولكن المدينة تعود إلى نشاطها بعد غياب الشمس .

ولَا جَرَمَ أنَّ لجوار مكة أثره في هذه التَّقوى الشديدة ، غير أن جدة نالتْ حظها من التطور الفكري على الرغم من هذا الجوار ، والدليل على ذالك تطور العلاقات بين الانجليز والعرب في هذه المدينة ، إذْ كان الأُورُبيُّ لا يستطيع أنْ

يتَعدَّى سوق جدة ، أما اليوم فبوسعه أن
أحدٌ بسُوءٍ ، وأنْ يتجاوزَها فَيصلَ قرب منـ
[. . . . .] إلى داره ولا يُرْغَمُ على اعتناو

أقمنا في جدة خلال كل شهر رمضان ، وما
ضَربتِ المدافع معلنةً نهاية الصيام ، وقيامَ الأعياد و
وكانتْ شوارع جدة مكنوسة مرشوشة من النظافة بم
تتمتع المرأة بقسط وافر من الحريّة إذْ بوسعها أن تغادر جل
حُلَلها الشرقية ، فتقوم بالزيارات وتخرج متنزهة في شوارع . وتذهب إلى
ساحة المدينة حيث تقام الألعاب وتغصّ هذه الساحة الرئيسة بالنِّسَاء ، وهُنَّ أتَيْنَ
خاصَّةً لمشاهدة الرقص الشعبي ورؤية الألعاب ، والمشاركة فيها أحياناً ، إذْ من
النِّسَاءِ اللاتي يركبن المريحات ويَجْلِسْن على أَسِرَّةِ الأرجوحات .

وما كادتْ أن تنتهي أيام الراحة والحبور حتى أخذنا أُهْبَتَنَا للسفر ، وكنا حصلنا على (فرمان) من محمد علي باشا ، فاستطعنا بواسطة هذا الأمر العالي من الحصول على جميع رسائل التوصية التي نريدها .

غادرنا جدة بَحْراً يوم الحادي عشر من شهر شباط ، فَدَفَعَتْنا ريح الشمال التي تعصف عادة في هذا الجزء من البحر الأحمر نحو الليث (El-lit) فنزل بعض البحارة إلى هذا المرفأ الصغير ، ومنه ذهبوا إلى قرية تبعد عنه نحو نصف ساعة ، حيث وجدوا طحيناً وحليباً وتمراً ودجاجاً جيِّداً . وهكذا قطعنا دون أَدْنَى عناءٍ نَحْو ثلثي المسافة إلى القُنْفُذة . ولكن الأمور تعقدت بعد ذالك بسبب رياح الجنوب التي تَهُبُّ بشدة في هذا المكان بدلاً من الرياح الشمالية ، فصعب تقدم المركب ، وأصبحت الملاحة خطرة جداً ، ثم ثارتْ عاصفة قوية دفعتْ بالسفينة نَحْوَ الصخور ، فكادتْ أن تتحطم ، فخاف معظم الركاب ، وآثروا السفر على ظهور الجمال . أما نحْنُ فتابعنا سفرنا بحراً ووصلنا إلى القنفذة في السابع عشر من الشهر نفسه .

ـ صغير لا أهمية له ، خَطِرٌ جداً بسبب الرياح الجنوبية التي
يه بشدة . وإنْ كان بوسعنا أَنْ نؤكد أنَّ مرفأ جدة أحسن مرافيء الضفة
شرقية من البحر الأحمر ، فلا جرم أنَّ القنفذة من أشدَّها خطراً ، فلا تصل إليها
رأساً بضائعُ الهند وسلعُ الهند ، وتباع فيها المواد الغذائية بأسعار أعلى من أسعار
جدة ، أما الفواكه والحبوب ، فتأتيها من داخل البلاد للاستهلاك المحلي فقط .

بيوت القنفذة مصنوعة من القش ، ويحيط بالبلدة سورٌ من الحجر . ومن النادر
جداً أن يقع النظر على امرأة في الشوارع أو في الأسواق . وهي تأتزر عادة بفوطة
تستر جسمها من أعلى الخصر إلى أَخْمَصِ القدم ، وتضع على أكتافها غطاء وفوقه
ملاية ، إلا أن صدرها قد يظل مكشوفاً ، ويظهر أنها تحرص على تغطية وجهها
أكثر من تغطية صدرها .

ولما وصلنا القنفذة كانت المعداتُ الحربية على قدم وساق ، والجيش بانتظار
أحمد باشا الذي أُسْنِدت إليه الحملة الجديدة على عَسِير ، يُساعده على ذالك أخوه
إبراهيم باشا قائد الحملة على اليمن ، إلَّا أنَّ والي مصر طلب منه أوَّلاً أن يعمل
على تدويخ بلاد عَسِير .

غادرنا القنفذة في الثاني من آذار ، ووصلنا إلى جازان في الرابع منه . قد فقد
هذا المرفأ كثيراً من أهميته التجارية بعد أَنْ وضع محمد علي باشا يده على أكثر
موارد الجزيرة العربية . والبلدة مع أنها وضيعة تمتدُّ على مسافات شاسعة لأن بيوتها
مبعثرة هنا وهناك . ولها من جهة الجنوب قلعة كبيرة هامة يحيط بها عدد من المباني
المتهدمة غير المسكونة . ويعيش أهلها في أكواخ من القش ، اسطوانية الشكل ،
تعلوها سقوف مستديرة ، قممها على شكل طيلسان وحيطانها من الطين الغليظ .
وتكاد تخلو هذه البيوت من الفرش والأثاث ولا يجد المرء فيها سوى بعض الأسرة
وعدد من القفف والأواني الفخارية التي لا بُدَّ منها في كل مطبخ . ومن الجدير
بالذكر أنَّ هذه البيوت تنقسم إلى مجموعات صغيرة ، تضم كل واحدة منها عدداً
من البيوت ، ويحيط بها سياج من الحطب ، ويخال أنَّ العائلات التي تعيش داخل
هذا السياج تشكل مجتمعاً صغيراً منعزلاً عما سواه .

أمَّا النساء البدويات اللاتي يحضرن إلى جازان فإنهن أحسن حالاً من اللاتي رأيناهنَّ سابقاً ، ويبدو للناظر أنهن سعيدات . وهن لا يعرفن الغطاء ويَلْبَسْنَ فقط ثوباً أزرق ويضعن على رؤوسهن قُبعَةً من القش مستديرة الشكل . والحضريات كذالك مكشوفات الوجه ، ويَلْبَسْنَ مثل أَلبِسَة نساء القنفذة . ولكن منهن من يزدْن على ذالك القميص . ومن عادتهن أن يقسمن شعورهن إلى أربع جدائل ، تقع على أكتافهن ، ويَضَعْنَ على مقدمة الرأس نصف إكليل من الزهر والرياحين ، وهُنَّ يُبَدِّلْنَهَا طول النهار . والرجال ليسوا أقَلَّ اعتناء بشعورهم من النّساء فإنهم يُجَعِّدُونَها ويُسْبِلُون عليها الزبدة . ويضعون على أكتافهم أغطية صوفية يلتحفون بها .

ويتعامل أهل جازان بالقروش الفضية النّمساوية ، والقروش المصرية ، والربية اليمنية ، ولا يُتَعَامل بغيرها ولا بالذهب . وليس في سوق جازان سوى ثلاثة أو أربعة حوانيت فيها القليل من السلع ، ويجد المشتري أحياناً قليلاً من الفواكه والأسماك والدجاج بأبخَسِ الأثمان .

لم تطل إقامتنا في جازان إلا ساعات قلائل ، ثم غادرناها إلى اللُحَيَّة حيث وصلنا في السادس من شهر آذار . ومنذ مرورنا برأس اللحية دخلنا اليمن ، وكنا قبل ذالك في الأراضي الحجازية . قد أشاد الكتبة الأقدمون بخصب اليمن وخضاره ، والواقع أنه لا يَسْتَحِقُّ هذه الشهرة إلا بالنسبة إلى ماحوله من البقاع مثل الحجاز . وشمالي الجزيرة العربية المعروف بالعربية الحجرية . ولاشك في أن الأراضي اليمنية تنتج شتَّى الحبوب والأثمار والبن ، وتكثر فيها الأزهار العطرية ، وسماء اليمن زرقاء صافية ، ونساؤه جميلات ، ولكن شتّان مابين اليمن والبقاع الأروبية . ونرى أنَّ الفنَّ المعماري العربي حقير الشأن ، لاسيما في الحجاز حيث لم نجد بناء واحداً يستحق الذكر . أما في العربية السعيدة ، فإن سكانها حرصوا على رفاهية العيش ورخائه ونرى أثر ذالك في الأبنية .

لِلُّحيَّةِ ـ كما لجازان ـ قلعة ، وسور من اللبن ، يحرس نَحْو نصف بيوتها ،

وبعض هذه البيوت من الحجر ، وأخرى من القش ، وغيرها من القصب المتشابك بعضه ببعض بشكل فني رائع . وفي وسط المدينة دار سكن تزينها المشربيّات كما نراه في دور الاسكندرية .

لا أثر للترتيب في أبنية اللُّحَيَّة بل إنَّ الفوضى تعمها ، إلاَّ أنَّ هذه الفوضى تضفي على المدينة حلة من الطرافة ، نساؤها جميلات فتّانات ، يرتدين ألبسة تبهر النظر ، ويتبرّجْن دون تَصَنُّع ، وهُنَّ دائماً أنيقات ظريفات . أما الرجال فإنهم يلبسون القمصان الواسعة والعريضة الأكمام ، ومنهم من يغطي جسمه بقطعة من القماش القطني . أما سوق اللحيَّة فإنه يأخذ بمجامع القلوب ، على الرغم من ضيقه ، إذْ يُخَيَّلُ لمن يراه أن هذا الضيق مُتَعَمَّد لكي تفوح فيه الروائح العطرية ، المنبعثة من الزهور والفواكه لا سيما من الموز ، وهو أطيب وأحلى مما نجده في الغرب . ولاشك في أنَّ اللّحيَّة تبدو جميلة لمن يراها بعد زيارة القنفذة وجازان ، ولكنها تفقد من روعتها لمن يزورها بعد المخا والحديدة .

الحُديدة بلدة ناصعة البياض ، تمتاز بيوتُها بفنها المعماري على الرغم من بساطة أبنيتها عامة ، ولكن منها الدور الكبيرة حتى يظنَ مَنْ يراها أنها من بعض القصور . وهي مدينة مترامية الأطراف ، تحيط بها حيطان من الآجُرّ . وفي خارجها ـ من جهة الصحراء ـ عدد من الأكواخ المصنوعة من القش ، ولها عدد من القِلاع الجميلة صُنِعَتْ على شكل هندسي رائع إذْ جَمَعَتْ بين أناقة الفن المعماري ومناعة البناء الحربي ، وسوقها واسع ، وفيه شتى أنواع السلع من منتجات اليمن وأقمشة الهند ، ومنسوجاتها الفاخرة .

الحديدة مرسى بيت الفقيه ، وأكبر تجارتها على البن . يلبسُ الأثرياء من رجالها سروالاً عريضاً وقميصاً أبيض ، وقفطاناً ، ويضعون على رؤوسهم العمائم ، ومنهم من يكتفي بعراقية من الصوف ، متعددة الألوان يضعها على رأسه ويُجَلِّلُها بمحرمة من صنع مكة ، ويحتذون النعال الأنيقة . أما النساء فإنهن يَتَبَرَّجْنَ ما استطعن ، غير أن ألبستهن لا تختلف عن الألبسة النسائية التي تكلمنا عنها آنفاً ، وإن كان لها صبغة خاصة تميزها عن غيرها . ونلاحظ أن القميص الذي

ترتديه بدويات جازان قد اختفى وحلَّ محله ثوب حريري رائع ، ضيِّق الجسم عريض الأكمام . ولكن من نساء الحديدة اللاتي يَلْبَسْنَ السراويل ، ويتحجّبن تحجب القنفذيات .

وفي ظاهر الحديدة عدد من أشجار النخل ، تزين ضواحي المدينة وتظللها ، وكانت المدينة ـ عند وصولنا ـ بين أيدي علي باشا ، وقد سيطرت عليها قواته بعد أن طردت منها البدو ، إلا أن الأمن لم يَسُدْ فيها تماماً .

أقمنا في الحديدة أربعة أيام ، وفي الرابع عشر من آذار غادرناها إلى المخا ، وبعد أن اجتزنا مقبرة رحبة مشينا في أرض رملية ، ثم وصلنا إلى مفترق تتفرع منه ثلاث طرق : الواحدة تؤدي إلى زبيد ، والثانية إلى البادية عند القبائل ، والثالثة تذهب جنوباً إلى بيت الفقيه وهي الطريق التي أخذناها .

مشينا نحو سبع ساعات إلى أن وصلنا إلى قرية الدُّرَيهمي يسكنها البدو ، وهم يعيشون في أكواخ من القش ، ولكن دار الشيخ مبنية بالآجر وكذالك الأمر بجوامعها [كذا] التي تعلوها ثلاث قبب . وفي القرية عدد كبير [كذا] من الآبار الكثيرة العمق ، وفيها أيضاً مصانع للقطن يملكها البدو .

غادرنا الدريهمي ومشينا في أحراش خضراء كثيفة ، تعيش فيها الغزلان والأرانب تناولها الذعر عند وصولنا . وكانت الطريق صعبة ، والأراضي رملية ، وهي متجعدة مثل سطح البحر . ثم اختفت الأحراش وحل محلها الأراضي المزروعة ، على مسافة ثلاث ساعات من بيت الفقيه ، ورأينا بعض المواشي وكانت الثيران تحرث الحقول .

لجامع بيت الفقيه قبب أنيقة ومِئْذَنَةٌ كأنها برج ، يراها المسافر من بعيد ، إنَّما أجمل مافي هذه البلدة قلعتها ، أما بيوتها فمن الآجُرّ ، ولكن ليس لها مشربيَّات كما جرت عليه العادة في أكثر البلدان الإسلامية ، وهناك أيضاً عدد من الأكواخ . أما ألْبسة سكان بيت الفقيه فهي ماعرفْناه ووصفناه ، ولكن ليس لألبسة نسائها زهوة ألبسة نسَاء الحديدة . وليس لبيت الفقيه أسوار ، إنما تَحُدُّ هذه المدينة شرقاً

سلسلة من الجبال العالية .

غادرنا بيت الفقيه في الساعة التاسعة مساء ، غير أنَّ صفاء سماء الجزيرة العربية وبريق نجومها بَدَّدَا غياهب الظلام ، على الرغم من غياب القمر ، ثم مشينا وسط غابة جميلة خلال عدة ساعات ، وكانت الطريق سهلة ومستقيمة .

وقبيل وصولنا إلى زبيد مشينا في أرض رملية قاحلة ، وفي الساعة الثامنة صباحاً من اليوم السابع عشر من شهر آذار كنا أمام زَبيد قصبة تهامة سابقاً .

بيوت زبيد مبنية بالآجُرّ ، وأسوارها كذالك ، وليس فيها إلا القليل من الأكواخ . وفي شوارعها عدد من الآبار جيدة البناء ، يُسْتَقَى منها ماء عذب وصافي وليس هناك مايميز أهلها عن غيرهم من سكان اليمن سوى أنَّ رجالها من أجمل من رأينا في البلدان التي ذكرناها . إنما تمتاز زبيد بقلعتها لأنها كبيرة جداً حسنة البناء . أما مَآذِنُ زبيد فتشبه مآذن بيت الفقيه ، ويرى الناظر في الشمال الشرقي من المدينة خرائب جامع ، كان هدمه الأمير على عسير . وسكانها نشيطون وهم أصحاب صَنائع ، وعندهم العديد من المصابغ ومصانع الأسلحة حيث تدقُّ السيوف والجنبيات . ولهم اهتمام بالزراعة أيضاً ، وفي بساتينهم تُغْرَسُ شجرة النيلة[1].

غادرنا زَبيد مساء يوم الثامن عشر من آذار ومَرَرْنا بحقول خصبة جدًّا هي أبعد مايكون عن جفاف الصحراء . واجتزنا عدداً من الأودية ، وقد نضب معينها . وبعد أن مشينا مدة ساعتين ونصف ساعة وصلنا إلى شرجة (Dcherdje) حيث كان مبيتُنَا ، ومنها ذهبنا إلى موشج (Mauchid) قرية على مسافة عشر دقائق من ساحل البحر ، تحيط بها الحقول الغناء وأحراش القتات (؟) والنخل . ولسكان هذه القرية مايميزهم عن غيرهم لأن أشكالهم تحاكي الجنس الأوربي ونساءَهم يُشْبِهن الأروبيات .

غادرنا موشج في العشرين منه ، وسرنا على الطريق الذي يُؤَدِّي إلى المَخَا وهو طريق مستقيم لطيف ، يحاكي بجماله بعض طرق فرنسا ، ومررنا بثلاث

قرى : شاريه (Charie)، ورواس (Rouas) ويختل (Iakhtil) وهي أكبرها وفيها جامع فخم .

وصلنا إلى المخا في اليوم التالي عند طلوع الشمس ، وضربنا خيمتنا عند مدخل المدينة ، وأخذنا نبحث عن دار لإقامتنا لأنّنا سنقضي عدة أيام فيها .

المخا مدينة مترامية الأطراف ، وبيوتها رحبة ، وعليها طابع الثراء من داخلها وظاهرها ، على الرغم من الأكواخ الحقيرة التي إلى جوانبها . وهي مفروشة على الطريقة التركية والأروبية ، إذ نجد فيها الدواوين والحصر والسجاد الشرقية ، والكراسي والمقاعد ، والموائد الغربية ، المستوردة من بومباي . وقبيل وصولنا إلى المخا كان نهبها بَدْوُ عسير ، ومع ذالك فإنها عادت إلى ماكانت عليه من بحبوبة العيش ، مما يدل على غناها ونشاطها التجاري . ويرى الناظر من أعلى سطوحها غابة نخل كبيرة في جنوبي البلد ، وهي تضم عدداً من المشاتل تفصل بينها سياجات من الحطب ، ويملك هذه المشاتل أثرياءُ المخا ، وهم يقضون في هذه الدور الريفية أيام الحر الشديد . وفي هذه المدينة أيضاً مكتبات هامة ، ورجال يدّعون العلم [كذا] وعدد من الجوامع نخص بالذكر منها الجامع الكبير ، وجامع شدلان ، وجامع صندل ، وهناك جوامع أخرى دونها أهمية منها جامع ستي زينب ، وتمتاز أيضاً المخا بأنها البلدة الوحيدة على البحر الأحمر التي فيها حمامات . ولها ورشات كثيرة النشاط تصنّع فيها السفن والقوارب .

للمخا سبعة أبواب : باب الساحل ، وباب النصر ، وهما يؤديان إلى البحر ، وباب الحمود ومنه تدخل القوافل الآتية من زبيد ، والباب الصغير ، وباب الصندل في الجهة الجنوبية ، والباب الشاذلي شرقاً ومنه تصل إلى المخا احمال البن اليمني ، وهناك باب سابع يسمى باب الدار يظل مفتوحاً ليلاً ونهاراً يقع في الجنوب الغربي .

أمّا نساءُ المخا فإنهن يَعْشَقْن الحلى الفضية فَيَضَعْنَ عدداً من الأساور حول معصمهن ويحلين جيدهن بالأطواق ، وأذانهن بالأقراط ، ومنهن من يضعن خاتماً

في أنفهن ، ومن عادة أهل المخا أن يضعوا الخلاخل في أرجل الأولاد الصغار .

وقد أسعدنا الحظ فدخلنا مراراً بيوت المخا ورأينا النساء دون حجاب فوجدنا عندهن من حصافة الرأي وعلو النظر ما لم نره عند غيرهن من نساء اليمن .

تجارة المخا هامة وهم يستوردون خاصة الأسلحة النارية والسيوف والسكاكين والمرايا والزجاج والخرز . ويصل إلى هذا المرفإ سنويًّا خمس مئة سجادة (ايران) عن طريق البصرة وبغداد ، وثلاثة آلاف قُفَّة من التَّبغ ، تصدرها أيضاً هذه البلاد ، وأربعة آلاف قفة من التنباك البنِّي السراتي (من السراة) وثمن كل قفة يتراوح بين أربعين وخمسين ريالاً نَمْساوياً ، ويصله أيضاً من الهند بحْراً الأقمشة والسكر والشاي ، وهم يشربونه قليلاً . والواقع أنَّ هذه المدينة تمتاز بنشاطها ويظهر على أهلها سيماء النعمة والرخَاء ، وهي تصدر البن والصبر والمرّ والبخور والصدف والعطور .

ووجدنا في المخا جِنْساً من الناس يسمونهم (البنيان) وهم من الهند يعبدون الأصنام ، وقد طردهم أهل جدة وجميع البلاد المجاورة للحرم ، ولكن سكان المخا يثقون بهم ويسندون إليهم جُلَّ الأمور الإدارية . ويعتقد هؤلاء (البنيان) بالتقمص ولا يذبحون الحيوانات ، ولا يقتلون حتى الحشرات ، ويعيشون على الحليب والخُضَر ، إذْ يقولون : أن ليس لها نفس حيّة ، ومع ذالك فإنهم يشترون اللحوم من السوق ويطعمونها الكلاب الجائعة ، وهم يعتنون اعتناء فائقاً بالبقر .

ومن عادة (البنيان) أن يتزوجوا وهم صغار السِّنّ جدًّا ، وإذا غادروا بلادهم فإنْ زوجاتهم لا تصحبنهم . ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الناس مشهورون بالبخل ، وهم ينفقون مع ذالك الأموال الطائلة في حفلات الزواج .

ووجدنا أيضاً في المخا عدداً كبيراً من اليهود ، وهم يعيشون في ظاهر المدينة ويتعاطون خاصة التجارة والصناعة .

وكانت إقامتنا سعيدة في المخا وكنا نقضي سهراتنا غالباً عند أمين بك ، حاكمها التركي .

←

رجال الحَجْر

هذا الاسم يطلق على أربع قبائل من مجموعة القبائل العربية القديمة ، التي ظهر عليها الإسلام ، وهي في مواقعها على سطح سلسلة جبال السراة ، وفي أغوارها الغربية وهي :

١ ــ بنو شِهْرٍ ٢ ــ بنو عَمْرٍو ٣ ــ بَاللَّسْمر (بنو الأسمر) ٤ ــ بَاللَّحْمر (بنو الأحمر) .

وتنتشر هذه القبائل الأربع في مساحة تَمْتَدُّ من الجنوب من وادي عِبِل بكسر العين والباء حتى بلاد بَلْقَرْن (بني القرن) في الشمال، وهذا الامتداد الطوليُّ يقدر بحوالي مئة وتسعين كيلاً تقريباً وتنداح شرقاً إلى وادي تَرْج ، فحدود بِيشَة الجنوبية ، كما تنحدر غرباً حتى تلتقي بحدود القبائل التِّهاميَّة : قبيلة العُمُور ، وقبيلة رَبيعة المَقَاطِرة، وقبيلة بَارق ، وقبيلة الرَّيش ، وقبيلة آل مَشْوَل ، وقبيلة بني ثُوعة آل الحارث .

← وفي ٣٠ آذار صعدنا على السفينة التي ستنقلنا إلى الشاطيء الغربي من البحر الأحمر ، ومررنا أثناء سفرنا بعدد من الجزر منها جزيرة العجوز وجزيرة النّموس ، ودهلك وهي أعظم جزر البحر الأحمر ، وفي الرابع من شهر نيسان نزلنا سواحل الحبشة .

وهكذا انتهت رحلة (تاميزيه) و(كومب) في تهامة الحجاز واليمن[٢]، وقد أتينا على تعريب أهمِّ ماجاء فيها من وصف للبلاد والعباد ، نزولاً عند طلب علامتنا الشيخ حمد الجاسر حفظه الله .

باريس د. يوسف شُلْحد

الحواشي :

(١) أثناء اقامة (تاميزيه) و(كومب) في زبيد تحدثا مع علمائها في مجلس ترأسه المفتي ، وقد أتينا على ذكر هذه الزيارة في القسم الأول من هذا المقال (العرب ج ٨/٧ ، س ٢٤ ، ١٤١٠/١٩٨٩ ص ٤٥١) .

(٢) (تاميزيه) و(كومب) ، «رحلة إلى الحبشة» ج ١ من ص ٢٧ إلى ص ٨٢ ، باريس ، سنة ١٨٣٩ .

وتنقسم إلى قسمين رئيسين : القسم الأول يسكن شِعَاف مرتفعات السراة والقسم الثاني : يسكن أغوار تهامة ، وترجع هذه القبائل الأربع التي يطلق عليها رِجَال الـحَـجْـر ـ بفتح الحاء وإسكان الجيم ـ في نَسَبِها إلى جدها الأعلى الْـحَجْـر ابن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

والأزد ـ كما هو المعروف ـ من كُبْرَيَات القبائل العربية ، وهي جرثومة العرب ، وقد أورد النسابة محمد بن أحمد الأشعري في كتابه «التَّعريف بالأنساب» حديثاً : أن قال فيه النبي ﷺ قال : « الأزد جرثومة العرب فمن أَضَلَّ نَسَبَهُ فليأْتهم» والأزد إحدى القبائل الكبرى ، وقد هجرت مواقعها القديمة التي كانت بأرض سَبَإٍ بعد انهيار سدّ مأرب واتجهت إلى شمال الجزيرة العربية ووسطها وشرقها وعراقها ونجدها وعُمانها واختلطت بالقبائل العدنانية ، بل ذاب بعضها في القبائل العدنانية مثل الأنصار وخزاعة وغيرها ، ولم يحتفظْ بترابطها القَبَليِّ سوى أزد السراة ، ومنهم رجال الـحَجْرِ الذين نَحْنُ بصدد تدوين بعض أصولها وذكر مواقعها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة تفرق تلك الأمة القديمة على سبيل العِظة والادِّكار في قوله تعالى من سورة سَبَإ : ﴿ لقد كان لِسَبإ في مَسْكَنِهم آيَةٌ ، جَنَّتَانِ عَنْ يمينٍ وشمال ، كُلُوا من رِزْق رَبِّكُم ، واشْكُرُوْا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَالك جَزَيْنَاهُمْ بما كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازي إلاَّ الكَفُور ﴾ .

وقد حَمَلَتْ إلينا كتبُ السير والتاريخ أخبار تلك الأمة وتفرقها في الآفاق (أيدي سبأ) واستقرارها في مواقع كثيرة في بلدان الجزيرة العربية منها مَنْ ذهب إلى عُمَان وهُمْ أزد عُمان وهم اليَحْمد وحُدَّان ، ومالك والحارث وعَتِيك وجُدَيد ومنهم من ذهب إلى المدينة (يثرب) وهم الأوس والخزرج ومنهم من استقر في الشام وهم آل الحارث مُحَرّق وآل جَفْنة ومنهم من استوطن مكة المكرمة وضواحيها وهم خزاعة ومنهم مَنْ ذَهَبَ إلى اليمامة والعراق ومنهم من استقر في السروات : بنو الحجر بن الهنو ـ مدار بحثنا ـ وألمع (رجال ألمع) وبارق وبلقرن وغامد وزهران والبقوم أمَّا

مَنْ استقر منهم في تهامة فهم ألمع وبارق ، وقد ذاب أغلب تلك القبائل الأزدية في السكان الأصليين ، ومنهم الأوس والخزرج وخزاعة وغير هؤلاء ولم يبق منهم من تَرْبِطُهُ رابطةٌ قَبَلية متماسكة سوَى أزد السراة .

ومما يؤسف أن بعض الباحثين في تاريخ قبائل هذه المنطقة وأنسابها يلحق قبيلة عَسِير بالأزد وهذا غلط فاحش ، ونشأ عن جهل عراقة هذه القبيلة العدنانية الأصل إذْ أن قبيلة عسير من القبائل العدنانية التي سكنتْ على سطح جبل عَسِير ، وهو جبل تَهْلَل ، وما حوله من الجبال الشامخة كجبل رَهَمة ـ بفتح الراء والهاء والميم آخرها هاء ـ وحاضِرَتُها أبها ، وليست من القبائل الأزدية ـ كما أوضحته في موضع آخر ولم يرد فيما نعلمه وما اطلعنا عليه من كتب الأنساب أو المعجمات الجغرافية أنَّ قبيلاً من الأزد سكن المناطق المحيطة بجرش عَدا قبيلة شَهْران الكهلانية التي هي رأس خثعم وقبيلها الكبير وإنما المعروف أن القبائل المحيطة بجرش قديماً وحديثاً هي قبائل عدنانية فمنها قبيلة عَنْزُ بن وائل التي كان لها حروب ، ووقائع مع العواسج آل ذي مقار من حِمْيَرَ ملوك جرش قبل البعثة ، والتي كانت السبب في دحر العواسج وإجلائهم من مدينة جرش وتدميرها ، وقد أَتَيْنَا على طرف من أخبار تلك الحروب في كتابنا التاريخ الكبير بعنوان «عسير بين الجغرافيا والتاريخ» .

ثم يأتي بعد عنز بن وائل من الشمال قبيلة عسير وهي عدنانية كما أسلفنا .

ثم يأتي بعد عسير من الشمال قبيلة بَلَّحْمَر وهي في الطرف الجنوبي بالنسبة إلى بني الحَجْر ، وهي قبيلة حَجْرية أزدية كما مر بك تفاصيل ذلك ومن المرجح أن صرد بن عبدالله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ وفاتح جرش من أزد السراة ، وهم ممن أسلفنا القول عنهم .

ومن الملاحظ أن أصحاب السير والمغازي لا يعتنون بذكر الأماكن عندما يؤرخون لأية غزوة أو معركة ، بل يؤرخون للغزوة أو الواقعة دون ذكر موقعها أو جهتها ، وهذا ما جعلنا نقع في حيرة في معرفة الأمكنة التي اشتهرت في الغزوات

الإسلامية بل إن أغلبها يكاد يكون من حيث الموقع أو المكان في حكم المجهول ، هذا وإن ورد ذِكْرٌ لجبل أو ميدان من ميادين المعارك فإنه خال عن التحديد ، فيبقى إلى الأبد مدار شَكٍّ وأَخْذٍ ورَدٍّ من حيث التحديد .

ولم يهمل شعراء الأزد ذكر هجرتهم وماناهم من العناء والتفرق في الآفاق بعد إنهيار سدهم فمن ذالك قول عائذ بن عبدالله الأزدي[1] في قصيدة مطلعها :

عَلاَمَ ارتحالُ الحيِّ من أرض مأرب ... ومأربُ مَأْوَى كلِّ راضٍ وعاتبِ
أَمَا هي فيها الجنّتان وفيها ... لنا وَطَنٌ فيها فُنُونُ الأطايبِ
ألم تَكُ تَغْدُو خُورُنَا مُرْجَحنَّةً ... على الحرَجِ الملْتَفِّ بين المشارِب
أَأَنْ قال قولاً كاهنٌ لمليكنا ... فما هو فيما قال أَوَّلُ كاذِبِ

ومن ذالك قول أحد رواد الأزد من قصيدة هذا مطلعها[2]:

أَلَمَّا تعجبُوا منَّا وَمِمَّا ... تَعَسَّفُنَا به رَيْبُ الليالي
تركنَا مأْرِباً وبه نَشَأْنَا ... وقد كنا بها في حسن حال
فوسوَسَ رَبُّنَا عمْرٌو مقالا ... لكاهنه المُصِرِّ على الضلال
فأقبلنا نَسُوقُ الخُوْرَ مِنْها ... إلى أَرْضِ المجاعة والهُزَال

ومن ذالك قول جماعَةَ البارقي وهو أَزْديُّ الأصل من قبيلة بارق ، التي تسكن في الأغوار الغربية عن منازل بني شهر التّهامية وتبعد عن مدينة أبها في الشمال الغربي بمئة وثلاثين كيلاً عن طريق عقبة شِعَار ، من قصيدة هذا مطلعها[3]:

حَلَّتِ الأَزْدُ بعد مأربها الْغَوْ ... رَ فأَرْضَ الحِجَازِ فَالسَّرَوَاتِ
ومضت منهم كَتَائِبُ صِدْقٍ ... مُنْجِدَاتٌ تَخُوضُ عرضَ الفلاة
فَأَتَتْ ساحةَ اليمامة بِالْـ ... أَظْعَانِ والخيلِ والقنا والرماة
وَاتْلأَبَّتْ تَؤُمُّ قافية البحـ ... ـرَيْنِ بالخُورِ بَيْنَ أَيْدي الرعاة
فأَقَرَّتْ قرارها بِعُمَانٍ ... فَعُمَانٌ محلُّ تلك الحُمَاة

وهي قصيدة طويلة أتت على وصف تفرق الأزد في الآفاق ونقلنا نصها كاملاً في

التاريخ الكبير ، وعلى مَرِّ الزمن وتكاثر النسل وتزاحم السكان اختصَّتْ كل قبيلة من هذه الأربع القبائل بِصُقْعٍ من تلك المساحة التي استقرت على سطحها فصار لقبيلة بَلَّحْمَرِ المساحة التي تمتدُّ من الجنوب من وادي عِبِل حتى حدود بَلَّسْمَرِ شمالاً ، وما يصاقبها شرقاً وغرباً حتى حدود آل مشول وبني ثوعة وآل الحارث واستقرت قبيلة بَلَّسْمَر على أرض المساحة التي تمتد من الجنوب من حدود قبيلة بَلَّحْمر حتى مشارف سَدْوَانَ الشمالية المصاقبة لحدود جبيهة من بني شِهْرٍ ، ومايصاقبها من الشرق والغرب حتى حدود الرَّيْش ، واستقرت قبيلة بني شِهْرٍ على أرض المساحة التي تمتد من مشارف سَدْوَانَ الشمالية حتى مشارف صدر أَيْد ، في شمال النِّماص ، وما يصاقبها من الشرق والغرب حتى حدود قبيلة بارق ، أما المساحة التي تمتد من وادي صدر أيد إلى المَطْلَى وجبال الشيْخ خَلْفَ وادي العدوة وأكرم شمالاً فقد بقيتْ مشتركة منذ القدم بين بني شهر وبني عمرو بحيث إذا تَجَوَّلْتَ فيها فَإِنَّك تجد أنَّ هذه القرية شهرية والتي تليها عَمْرِيَّة وهكذا دَوَالَيك ، والكُلُّ يعرف ما يختص به من المزارع والمناشر .

أما الأودية وهي وادي صدر أيْدَ ، ثم يليه من الشمال وادي آل زيدان ، ثم وادي زيد ، ثم وادي الغرة ، ثم وادي السرو ، ثم وادي العدوة ، ثم وادي آل زمام ، فإنك تجد أن قُرى ومزارع القبيلتين تَتَقَاطر على جوانب تلك الأودية وعلى سفوح جبالها في شِبْهِ نسبٍ مُوَزَّعَةٍ تكاد تكون متساوية نوعاً ما ، ولكنهم كإخوة متحابين تربطهم رابطة وشائج القربى في النسب ، وكلهم يدرك هذه الرابطة العرقية ولا ينكرها منهم أحد ، مع ما يربطهم أيضاً من روابط المصاهرة القديمة والحديثة ولم أجد أحداً يختلف منهم في أن هذه القرية أَثْلِيَّة وتلك سلامانِيَّة ، بصرف النظر عما كان يحدث من نزاع فرديٍّ أو جماعي بين أفراد القبيلتين المختلطتين يسببه خلاف على ساقية أو حَدٍّ في جبل كما هو الواقع بين أمثالهم في المنطقة فإنه سرعان ما يحتكمون إلى منطق العقل ، ويتذكرون ما بينهم من وشائج القربى والنسب ، وهم بلا شك يدركون أنهم أبْناءُ رجل واحد ، وهو الـحَجْرُ بن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد [. . . . .] بن كهلان ، بحيث

ينطبق عليهم من حيث وشائج القربى قول الشاعر العربي :

إذَا احْتَرَبَتْ يوماً فَسالتْ دِمَاؤُها تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَسَالَتْ دموعها

ومن الملاحظ أن هذه الأربع القبائل الحجريَّة يطلق على قسم منها أيضاً اسم بني أَثْلة والقسم الآخر اسم سَلَامان ، بحيث أن المتجول بين قراها وأَوْديتها وحاضرتها وباديتها بَدْءًا من بلَّحْمر في الجنوب إلى بني عمرو في الشمال يجد أنَّ هذه القرية أثلية والأخرى سلامانية ، وجماعهم رجال الْـحَجْرِ [بنو الحجر الهنو بن الأزد] وعندما نرجع بالذاكرة عبر التاريخ نجد أنَّ وفداً من سلامان ، كانوا من ضمن وفود العرب الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وذالك في شوال في السنة العاشرة للهجرة وقد أورد ذالك كثير من علماء السير جاءَ في «الطبقات الكبرى» للإمام محمد بن سعد البصري ، أن حبيب بن عمرو السلماني كان يحدث قال قدمنا وفد سلامان على رسول الله ﷺ ونحن سبعة فَصَادَفْنَاهُ خارِجاً من المسجد إلى جنازة دُعي إليها فقلنا : السلام عليك يا رسول الله فقال : « وعليكم من أنتم» ؟ قلنا : نحن من سلامان قدمنا نبايعك على الإسلام ، ونحن على من وراءِنا من قومنا فالتفت إلى ثوبانَ غلامِه فقال له : «أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد» فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته فتقدمنا إليه فسألناه عن أمر الصلاة وشرائع الإسلام ، وعن الرُّقَى ، وأسلمنا وأعطى كل رجل منا خمس أواق ورجعنا إلى بلادنا وذلك في شوال سنة عشر . انتهى . والجدير بالذكر أنه يوجد بطن من بطون مالك بن زهران يحمل اسم سلامان بن مُفْرج بن مالك بن زهران . ولَئِلَا يلتبس على بعض القراء التوافق بين الاسمين فيظن أن هذه القبيلة الشهرية الحجريَّة من قبيلة زهران والصحيح أن قبيلة سلامان مدار البحث من بني شِهْر بن ربيعة بن الأواس بن الحجْر بن الهنو بن الأزد .

أبها في ٧/٤/١٤١٠هـ هاشم بن سعيد بن علي النعمي الحواشي :

(١) «صفة جزيرة العرب» : ٣٧١ ط : دار اليمامة .
(٢) المصدر السابق : ٣٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ٣٧٢ .

امرأة عربية تقود النضال دفاعا عن الدعوة السلفية

الباحث في تاريخ المرأة العربية دائماً يتجشم المشقة في بحثه ، ويتعرض للعقبات الكأداء التي لا يذللها إلا التنقيب في بطون الأسفار ، سواء أكانت المطبوعة أم المخطوطة لعله يصل إلى حاجته .

وتاريخ غالية البقميّة[1] ـ تلك المرأة العربية التي خرجت في وقت المحن ، تثير حَمِيَّة الرجال المدافعين عن وطنها ، وتنفق الغالي والنفيس من أجل مواجهة قوات محمد علي الغازية لبلادها ، لدرجة أنها كانت تثير الرعب والخوف بين صفوف هذه القوات عند سماعهم باسمها[2] ـ هذا التاريخ لهو جدير حقاً بالتعريف به ، وإبراز دور صاحبته حتى يتعرف أبناء هذه الأمة حقيقة البطولات الضخمة والمواقف الحاسمة التي لم تقتصر على الرجال بل شملت النساء أيضاً .

وللتعريف بتلك السيدة نقول : إنها من عرب البقوم ، من بادية ما بين الحجاز ونجد ، كانت أرملة رجل من أثرياء البقوم ، وأحد مشايخ سبيع[3] الذين كانوا أسبق أهل الحجاز إلى موالاة نجد ، ومساندة للدعوة الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والذين كانت لهم مواقف معروفة في أثناء محاربة العثمانيين وقوات محمد علي للدعوة ورجالاتها[4] .

وكانت غالية من سراة قومها أوتيت من الثروة حظاً كبيراً فكان لديها من الثروة ما يفوق ما لدى أية أسرة عربية في منطقتها ، واشتهرت بالكرم حيث كان بيتها مقصداً للمحتاجين ، فكانت توزع نقوداً ومؤناً على فقراء قبيلتها الذين كانوا على استعداد لقتال الغزاة الطامعين في بلادها . كما كان بَيْتُها مَلْجأً لكل رجالات الدعوة المخلصين الذين يعقد زعماؤهم مجالسهم في بيتها[5] .

وكانت هذه السيدة سديدة الرأي نافذة البصيرة ، على معرفة بأمور القبائل المحيطة بها .

وبالرغم من أن البقوم كان لهم زعيم رسمي اسمه ابن جرشان[٦] فقد كان صوت (غالية) مسموعاً في كافة المجالس تشارك أبناء وطنها في تصريف الأمور ، كما كان لها في معظم الأحوال الكلمة العليا والرأي المطاع[٧] لدرجة أن بَالَغَ أبناءُ بلدتها في تقديرها فَنَعَتُوها بالأميرة[٨]، كما بالغ الأعداءُ في التَّشْهير بها فوصفوها بالساحرة الذين أصبح قادة الدعوة بفضل وسائلها لا يغلبون[٩].

وعن قصة بطولة هذه السيدة نقول : إن اسمها ذاع في معظم أنحاء الجزيرة العربية بعد أنْ أنفذ طوسون باشا جيشاً بقيادة مصطفى بك أحد قواده لمهاجمة رجالات الدعوة الذين اتخذوا من تُربة[١٠] معسكراً لهم ، وأحاطوها بالخنادق[١١] وشاركت هذه السيدة المدافعين في الدفاع عن بلدتها[١٢] وضَاعَفتْ من هِمَمِهِمْ وأثارتْ فيهم الحمية والحماسة[١٣] وألهبتْ فيهم روح الانتقام من الغزاة مما زاد من مخاوف الجنود الأتراك ، وثَبَّط من هممهم ، وزادتْ من ثقة الأهالي بأنفسهم[١٤] وانْتَهى الأمر بهزيمة قوات مصطفى باشا وقتل معظم أفرادها ، وارتداد الباقين منهم على أعقابهم[١٥] بعد أن تركوا مدافعهم وذخيرتهم[١٦].

ونتيجة لفشل هذه الحملة صمم محمد علي على قِيام قواته بهجوم آخر في ذي الحجة ١٢٢٨هـ/ نوفمبر ١٨١٣م فأرسل ابنه طوسون على رأس قوة مؤلفة من ألفي جُنْدِيٍّ من أجل الاستيلاء على تربة[١٧]، وغسل عار الهزيمة التي لحقتْ بقواته ولكنه لم يتمكن من ذالك بل مُنِيَتْ قواتُه بأفدح الخسائر .

وعن هذه الواقعة نعرض لما ذكره بعض المؤرخين . يقول المؤرخ النجدي عثمان بن بشر : أقبل طوسون ومن معه من العساكر والجموع ، ونازلوا أهل بلدة تُرَبة وحاصروها نحو أربعة أيام ، ونَصبوا على قُصورها المدافع والقنابر ، ورموها رَمْياً كثيراً فلم يؤثر فيها شيئاً ، وأنزل الله الرعب فيه وفي عساكره ، ورحل عنها بعدما قتل من قومه قتلى كثيرة[١٨].

ويقول المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي : (إن طوسون باشا وعابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية ، فَوقَعتْ بينهم

حروب ثمانية أيام ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل)[١٩].

ويقول محمود فهمي المهندس: ففي أوائل نوفمبر ١٨١٣م (ذي الحجة ١٢٢٨هـ) سافر طوسون من الطائف ومعه ألفا نَفْسٍ ، للغارة على تربة وأمر عساكره بالهجوم . وكان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود (غالية) معهم وهي المقدمة عليهم فَصدُّوا طوسون وعساكره ، واضطر هؤلاء إلى ترك خيامهم وسلاحهم وقتل منهم في ارتدادهم نحو سبع مئة نفس ، ومات كثيرون جوعاً وعطشاً[٢٠].

أما عن الرحالة السويسري بوركهارت فيقول إن طوسون (أمر جنوده بمهاجمة البلدة فَوْراً ، ولكن العرب دافعوا عن أسوارها ببسالة تشجعهم جهود غالية)[٢١].

ولما أصدر طوسون أوامره بإعادة الهجوم على تربة مرة أخرى أعلن جنوده صراحة أنهم يرفُضون محاربة غالية كما أعربوا عن خشيتهم من الهزيمة مرة أخرى ، وحثوه على الانسحاب إلى الطائف .

وخلال انسحاب قوات طوسون خرج البدو الذين شعروا بالوضع الحرج للقوات المهاجمة ، وهاجموها بِعُنْفٍ ، واستولوا على الممرات التي في طريقها لدرجة أن هذه القوات اضطرت في نهاية الأمر إلى الهرب تاركة أمْتِعَتَها وخيامها وأقواتها ومدافعها[٢٢].

ونتيجة لذالك أرسل طوسون إلى أبيه يطلب النجدة فاعتزم محمد علي أن يسير بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتَال ، وكان أول ما فعله أن اعْتَقَل الشريف غالب أمير مكة لارتيابه في اخلاصه ، وعهد إلى ابنه طوسون أن يتخذ من الطائف مقرًّا لقيادته .

وعلى كل حال فإنه نتيجة للهزائم المتكررة التي لحقت بقوات محمد علي في تربة أرسل زعماء هذه المنطقة برسالة إلى محمد علي يتهكمون عليه ومضمونها : إنَّ

أعقل خطة له هو أن يعود إلى مصر ، ويتمتع بماء النيل ، أما إذا رأى أن يعاود الكرة معهم مرة أخرى فينبغي عليه أن يأتي بجنود أفضل من أولئك الذين يقودهم الآن(٢٣).

واستمر انتصارُ أهالي تُرَبة أمام قوات محمد علي ماثلاً للعيان ، وحافزاً لأهالي الجزيرة العربية على المقاومة والنضال حتى تمكنَتْ قواتُ محمد علي من الانْتصار في بِسْل(٢٤) والوصول إلى تربة ، ونتيجة لذالك لجأت (غالية) إلى البدو ولما كان محمد علي يطمع في القبض عليها وإرسالها إلى عاصمة الدولة العثمانية تذكاراً لانتصاره ، فقد حاول إقناعها بالعودة إلى بلدتها ، وبذل لها الوعود والأماني ولكنها لم تثق فيها عرض عليها من وعود(٢٥)، وظَلَّتْ بعيدة عن أنظار محمد علي وقواته .

ومما سبق يتّضِحُ أن غالية البقمية قد نجحت في إثارة الحمية والحماسة في أبناء وطنها حتى نجحوا في رَدِّ مطامع القوات الغازية لبلادها ، ورَدَّ كيدها إلى نحورها . فقد خرجتْ في وقت المحنة تثير حمية الرجال ، معرضة نفسها للموت ، ولا سبيل أمامها سوى النّصر أو الشهادة ، مستعذبة في ذالك كل المشاق والمتَاعب .

د. عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية
اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها

المصادر والمراجع والحواشي :

(١) البقوم من القبائل العربية الكبيرة مقرها جبل حضن وأطرافه حتى تربة والخرمة وأصل البقوم من الأزد ، وهم أهل قوة وبأس .
انظر . فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٩٥١ ص ٢٦ .

(٢) جامعة الرياض : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ٢ ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٤٦٠ .

(٣) بيير كرابيتيس : إبراهيم باشا ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٤) عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، بيروت ، الرسالة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، جـ ٤ ص ٤ (العرب : كيف يكون من البقوم وشيخاً لقبيلة سبيع ؟!) . ←

المعجم الجغرافي لمواضع في فلسطين
النقب الجنوبي
(١)

أ ـ النقب في اللغة العربية :

يعني النقب وجمعه النِّقابَة عند البدو الطريقُ والمسلك والدَّرُب الضيقة في الجبال والمرتفعات ، يمرّ بها البدو وتمرّ عبرها قوافلهم ، والتي مهدوها ، وأحياناً مهّدتها الدولة ، ووضعوا لها علاماتٍ ليستدل بها المارُّ أثناء عبوره فيها لكيلا يضلَّ

---

(٥) جوهان لودفيج بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ـ ترجمة د. عبدالله الصالح العثيمين ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ١٤١ .

(٦) نفسه . (٧) كرابيتيس : المرجع السابق ص ٢٢ .

(٨) خيرالدين الزركلي : الأعلام ـ قاموس تراجم ، المجلد الخامس بيروت ، دار العلم للملايين ص ١١٥ .

(٩) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤١ .

(١٠) على مسافة ٨٠ ميلاً من الطائف ، وتعتبر مفتاح نجد إلى الشرق واليمن إلى الجنوب .

(١١) عبدالرحمن الرافعي : «عصر محمد علي» ، القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ص ١٣٩ .

(١٢) كرابيتيس : المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢ .

(١٣) عبدالرحمن زكي : «التاريخ الحربي لعصر محمد علي» ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٠م ص ٥٠ .

(١٤) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤١ .

(١٥) للتفاصيل انظر ، عبدالرحمن الجبرتي : «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» جـ ٣ ، بيروت ، دار الجيل ، حوادث شهر صفر يوم الأحد ١٢٢٩هـ ص ٤٤٧ .

(١٦) الرافعي : المرجع السابق ص ١٤٠ .

(١٧) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(١٨) انظر «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ١ ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ ص ٢٠١ .

(١٩) الجبرتي : المصدر السابق جـ ٣ حوادث شهر جمادى الأولى ١٢٩٩هـ ص ٤٥٣ .

(٢٠) انظر «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» جـ ١ ص ١٨٣ .

(٢١) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٢٢) نفسه . (٢٣) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٢٤) تقع بين الطائف وتربة ، وقد تمكنت قوات محمد علي من احتلالها في ٢٨ من محرم ١٢٣٠هـ الموافق ١٠ يناير ١٨١٥م وذلك بعد معركة عنيفة مع قوات الأمير فيصل بن سعود . لتفاصيل ذلك انظر ، عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٢٥) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ويذكر محمود فهمي المهندس أن محمد علي تكدر كثيراً من هرب غالية ونجاتها من يده لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية انظر «البحر الزاخر» وأيضاً مجلة «العرب» س ١٥ رمضان وشوال ١٤٠٠هـ ص ٢٦٣ .

طريقه ويظلُّ يدور في المنطقة ذاتها على غير هدى .

قال في «معجم البلدان» في رسم النقاب : جمع نَقْب ، وهو الخرق في الجبل وغيره . وقال ابن منظور : النقب الثقب في أي شيء كان ، النَّقَب والنُّقْب : الطريق وقيل الطريق الضَّيّق في الجبل ، والجمع أنقاب ونِقاب أنشد لابن أبي عاصية .

تـطاول ليلي بـالعـراق ولم يكُنْ عَـلَيَّ بِـأَنْقَـابِ الحِجَـازِ يَـطُولُ

وفي «التهذيب» في جمعه نِقَبَة قال : ومثله الجُرْفُ وجمعه جِرَفَة والمَنْقَبُ والمَنْقَبَةُ كالنَّقب والمَنْقَب والنِّقاب الطريق في الغلظ قال :

وتـراهُنَّ شُـزَّابـاً كـالسَّعـالي يَتَـطَلَّعْنَ مـنْ ثُغُـور الـنِّقَـابِ

يكون جمعاً ويكون واحد ، والمَنْقبةُ الطريق الضّيّقة بين دارين لا يستطاع سلوكه . وقال ابن الأثير هي جمع نَقْبٍ وهو الطريق بين الجبلين .

وقال عارف العارف : إن النَّقْب يعني الطريق الضَّيِّقة التي يمكنك السير فيها والمسلك الوحيد الذي يمكنك أن تسلكه عبر جبل أو تَلٍّ مرتفع من الجبال والتلول المطلة على (وادي عَرَبة) إذا ما أردتَّ أن تقطع ذالك الوادي في طريقك بين (بئر السبع) بفلسطين و(معان) و(الكرك) بشرقي الأردن ، هذه الطريق الوعرة والضيقة التي لابُدَّ من سلوكها عبر الجبال وهي جزء من دِيرة السَّبع ، يسميها البدو (نقب) وجمعها النِّقاب ، أو كما يسميها بدو السبع أنفسهم نِقابة[1].

ب ـ النقب في اللغة العبرية :

يعني النقب في اللغة العبرية الجنوب[2] ذلك أنَّ هذا الإقْليم كان يقع إلى الجنوب من مملكة إسرائيل التي أقيمت على أرض فلسطين هذا الإقليم الذي لم يكن فيه يهوديٌّ واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ[3].

جـ ـ النقب في اللغة السامية :

يرى بعض الباحثين أن (النَّقْب) تَحْريف للكلمة السامية (نَجْب) بمعنى الأرض

الجافة وتطلق اليوم على عموم قضاء (بئر السبع) في جنوبي فلسطين[٤] التي كانتْ على رأيهم تعرف باسم (النجب) بمعنى الأرض الجافّة[٥] ويظهر أن هذا الاسم قديم جداً بدليل ظهوره على نقوش مصرية يرجع تاريخها إلى ١٥٠١ ـ ١٤٤٧ ق.م[٦].

رأي للعارف حول تسمية النقب :

يرى عارف العارف أنَّ اليهود (يقصدون بقولهم : نقب جميع الأراضي الواقعة في جنوب فلسطين من جنوب جبال الخليل في الشمال من الشرق وجنوب غزة وقطاعها في الشمال من الغرب ، حتى خليج العقبة في جنوب (وادي عَرَبَة) ويهدف اليهود من وراء تفسيرهم هذا إلى نفي التسمية التي أطلقها العرب على دِيرة السبع ، نسبة إلى المدينة التي هي مقرّ هذه الدّيرة وهي (بئر السبع) ذالك لأنهم يريدون أن يوهموا العالم أن هذه الديرة كانت على مر التاريخ يهودية وأن اسمها كان ولايزال على مر التاريخ (نقب) وهذا خطأ مَحْضٌ ، وافتئات على التاريخ قال : (ومن المؤسف أن نلاحظ أن بعض الدول العربية وحكامها لم يفطنوا لهذه الحِيلة واللعب بالألفاظ والتسمية ، فراحوا هم أيضاً يسمون ديرة بئر السبع (النقب) وكلما ذكروا الحروب التي وقعت في مدينة (بئر السبع) أو ماحولها من ديار قالوا : معارك النقب ، وكلما ذكروا قبائل السبع قالوا : أبناء النقب . . . إلى آخر ما هنالك من تسميات تُنْسينا أن هناك ديرة عربية بَحْتة وقبائل عربية الأصل ترجع بالنسب إلى عدنان وقحطان وأضاف يقول : مع العلم أننا ما سمعنا من قبل بكلمة (النقب) تطلق على ديرة السبع إلا بعد حرب التّقسيم سنة ١٩٤٨ ، وازداد هذا الاسم انتشاراً بين الناس بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واليهود هم الذين يعملون على نشر هذا الاسم (النقب) بدلاً من بئر السبع ، وفوق كل ذي علم عليم[٧].

ملاحظات لابد منها :

* لا نخالف العارف فيما ذهب إليه من أن اليهود يهدفون إلى طمس الأسماء العربية وإبدالها بأسماء عبرية يهودية .

* نوافق العارف أن هذه الديرة لم تكن تُعرف باسم (النقب) في المصادر العربية كإقليم ، وإنْ ورد اسم النِّقاب للجزء الجنوبي منها مع الإشارة إلى أن المصادر اليهودية والغربية تسمي هذه الديرة باسم (النقب) اعتماداً على أخبار التوارة .

* أن هذا الإقليم كان يعرف بالتِّيه ذالك الإقليم الذي امتدَّ حتى مصر غرباً ، وسلسلة جبال الشراة شرقاً ، ونواحي القدس والخليل في الشمال الشرقي كما سيجيء .

* أن اسم (النقابة) كان يطلق على المنطقة التي تصل شرق الأردن عبر الجبال الغربية لوادي (عربة) إلى الديار المصرية وديار (غزة) و(السّبع) و(الخليل) والتي تتصف ـ أي هذه المنطقة ـ بوجود نِقَابٍ كثيرة ذات أهمية عسكرية عالية جداً قال العارف : (يسميها البدو النِّقابة ، ومفردها (نَقَب) وفي استطاعة مَنْ يَحْتَلُّ أي نقب من هذه النقابة أن يصدَّ العدو الذي تحدثه نفسه بالمجيء إليه مهما كان عدده[٨] .

* أن قضايا الأمة يجب ويفترض انطلاقاً من العقيدة الإسلامية أن لا تهتم بقناعات العالم بعدالة قضاياها بصورة أساسية فحسب ، لأن هذا العالم يرى أن الغاية تُبرِّرُ الوسيلة وأن البقاء للأقوى ، وأن العلاقات العالمية تقوم على المصالح لا المباديء ، ومن هنا فَلَنْ يؤثر على عدالة قضايا المسلمين كفلسطين مثلاً أن يعتقد العالم أنها أرض يهودية ، فالإسلام يفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة ، إذا احْتُلَّ شِبْرٌ من أرض المسلمين ، اقتنع العالم بهذا أم لم يقتَنع ، وهم كما وصفهم الله تعالى : ﴿ ولَنْ تَرْضَى عَنْك اليَهُودُ ولاَ النَّصارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ـ البقرة الآية الـ (١٢٠).

الجغرافيا التاريخية :

لم تذكر المصادر الجغرافية العربيّة ـ المتوفرة للباحث ـ منطقة جنوب فلسطين باسم (النَّقب) وإن كان صاحب «معجم البلدان» قد ذكر أحد نقاب هذه الديار

وهو نقب غاربٍ قال في رسم نقب : نقب عازب موضع بينه وبين بيت المقدس مسيرة يوم للفارس من جهة البرية بينها وبين التيه انتهى و(عازب) هذا ماهو إلا تصحيف (غَاربٍ) وهو أحد النقاب المعروفة حتى يومنا هذا إلى الجنوب الغربي من البحر الميت ، وقد ذُكرت المنطقة الجنوبية من النقب ـ أي النقب الجنوبي ـ باسم النِّقاب كما ورد في شعر أبي الطيب المتنبي قال البكري في «معجم ما استعجم» رسم النقاب : النِّقَابُ ـ بكسر أوله على لفظ جمع نَقْب : موضع بين المدينة ووادي القرى وهو الذي عنى أبو الطيب بقوله :

وأمْستْ تُخَيِّرُنَا بالنِّقَا ... بِ وَوَادِي المياهِ ووادِي القُرَى
وقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ أَرْضُ الْعِرا ... قِ؟ فَقَالَتْ ونَحْنُ بِتُرْبَانَ: هَا
وهَبَّتْ بِجِسْمَى هَبُوبُ الدَّبُو ... رِ مُسْتَقْبِلاَتٍ مَهَبَّ الصَّبَا
رَوَامِي الكِفَافِ وكَبْدِ الوِهَادِ ... وَجَارِ البُوَيْرَة وَادِي الغَضَا
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ... ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ المهَا
إلَى عُقْدةِ الجَوفِ حتّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَا
ولاحَ لها صَوَرٌ والصَّباح ... وَلاَحَ الشَّغُورُ لَهَا والضُّحا
ومَسَّى الجُمَيْعِيَّ دِثْدَاؤُها ... وغَادَى الأضارِعَ ثُمَّ الدُّنَا
فيالَكَ لَيْلاً على أَعْكُشٍ ... أَحَمَّ الْبِلادِ خَفِيَّ الصُّوَى
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ في جَوْزِهِ ... وبَاقِيه أكْثَرُ مِمَّا مَضَى

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: النِّقَابُ ـ بالكسر بلفظ نقاب المرأة الذي تَسْتُر به وجهها أوْ جَمْعُ نَقْبٍ ، وهو الخرق في الجبل والحائط وغيره ـ موضع في أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه ذكره أبو الطيِّب فقال :

وأمْسَتْ تُخَيِّرَنَا بالنِّقَا ... بِ وَادِي المِيَاهِ وَوادي القرى

قلتُ : لم يُوفّق البكريُّ ولا ياقوت الحموي فيما ذكراه عن النقاب ، ذالك أن النقاب هي المواضع الشمالية من منطقة أيْلة وكلامُهُما لا يسنده دليل فقبل الأبيات المذكورة كما في «ديوان المتنبي» قال :

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيْهَ ضَرْبَ القما ر فـإمَّـا لِهـذا وإمَّـا لِـذَا
فَمَـرَّتْ بِنَـخْـلٍ وفي رَكْبِهـا عـن العـالِمـينَ وَعَـنْـهُ غِنَى

ومن خلال استعراض قصيدة المتنبي نجدُ أنه مَرَّ أولاً بِالتِّيهِ فَنَخْل ـ وهو موضع في التِّيهِ ، ثم مَرَّ بالنِّقاب فَتُرْبان فَحِسْمَى . . . الخ أي إن النقاب يقع بين نخل في التِّيه غَرْباً وبين تربان شرقاً ، وتُرْبَانُ هذا ذكره ياقوت بقوله : تُربان أيضاً في قول أبي الطيب المتنبي يخاطب ناقته حيث قال :

فقُلْتُ لها: أَيْنَ أَرْضُ العراق؟ فَقَـالَتْ وَنَحْنُ بِتُـرْبَـانَ: هَـا
وهبَّتْ بِحِسْمَى هَبُـوبُ الـدَّبُـو رِ مُسْتَـقْبِـلاتٍ مَـهَبَّ الـصَّبَـا

قال شرّاح ديوان المتنبّي : هو موضع من العراق غَرَّهُمْ قوله (ها) للإشارة، وليس كذالك ، فإن شعره يدل على أنه قبل حِسْمَى من جهة مصر ، وإنما أراد بقوله : (ها) تقريباً للبعيد ، وهو كما يقول مَنْ بِخراسان : أين مصر ؟ أي هي بعيدة فكأن ناقته أجابته : إنِّي بِسُرْعَتي أَجْعَلُها بمنزلة ماتُشِير إليه ، وفي أخباره أنه رحل من ماء يقال له البَقْع من ديار أبي بكر ، فصعد في النقب المعروف بِتُرْبان ، وفيه ماء يعرف بعُرُنْدل ، فسار يومه وبعض ليلته ، ونزل وأصبح فدخل حِسْمَى وحِسْمَى فيما حكاه ابنُ السِّكِّيت بين أيلة وَتِيْه بَني إسرائيل الذي يلي أيلَة وهذا قبل أرض الشام ، فكيف يقال : إنه قَريب من العراق وبينهما مسيرة شهر وأكثر ؟ وقال نَصْرٌ : تُربان صقع بين سماوة كلب والشام . انتهى . وتُرْبَانُ هذا يقع في الجزء الشرقي من وادي عَرَبَة على نحو ٦٠ كيلاً شمالي العقَبةِ (أيلة) وعَرَنْدَلُ المذكور تصحيف غَرَنْدَل ـ بالغين المعجمة ـ الواقع إلى الشمال من تُرْبانَ ، على بعد بضعة عشر كيلاً .

وقد ذكر ياقوت النِقَابَ فحدده تحْديداً صائباً إلَّا أنه حرف الاسم إلى (النِّقَار) فقال : النقار موضع في البادية بين التِّيهِ وحِسْمَى ، في خبر المتنبي لما هرب من مصر انتهى . والذي ورد في شعره كما سبق هو النِّقَاب ، وهكذا نجد أن هذه المنطقة عُرِفتْ ولاتزال تعرف بالنقاب .

والكلام حول النقب الجنوبي مدار البحث ـ بين بدو هذه الديار منذ عهد المتنبي الذي مر بالمنطقة سنة ٣٥١هـ وليس الأمر كما اعتقد العارف أن اسم النقب أو النقاب تسْمِية يهودية حديثة .

سبب التسمية :

نرى ـ وهذه وجهة نظر ـ أن ثَمَّة عوامل تَجمعَتْ وجعلتْ من هذا الإقليم ـ جنوب فلسطين ـ يحمل اسم النقب وهي :

١ ــ أن النقب وفقاً للغة العبرية يعني الجنوب ، وهو أمر واقع .

٢ ــ أن النقب وفقاً للغة السامية يعني الأرض الجافّة وهو الوصف الدقيق لهذه المنطقة .

٣ ــ أن النُّقُب ـ بضم النون والقاف ـ وفقاً للغة العربية مفرد نَقْب ـ بإسكان القاف بعد نون مفتوحة ـ وهو الطريق في الجبل ، وهذه المنطقة لا تشتهر بشيء أكثر من اشتهارها بوجود عشرات النِّقَاب فيها ، فإذا كان اليهود يعنون بالنقب الجنوب فإننا نعني به المعنى اللغوي العربي الذي سبق ذكره ، وقد يحمل اشتهار منطقة بشيء لأن تسمى باسم ما اشتهرت به .

*** علاقة النَّقْب بالتِّيْه :**

يُعَدُّ النقب جزءاً لا يتجزأ من بلاد التِّيْهِ فقد كان ـ ولايزال ـ اسم التِّيْهِ يعمُّ هذه المنطقة ونواحيها قال في «معجم البلدان» عن التِّيهِ : هي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم ، وجبال السراة من أرض الشام ، وأضاف : يتَّصل حدٌّ من حدودها بالجِفَار وحدٌّ بجبل طور سيناء ، وحدٌّ بأرض بيت المقدس ، وما اتصل به من فلسطين ، وقد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حدّ القلزم ويوافقه على هذا أبو الفداء في كتابه «تقويم البلدان» حيث قال عن التِّيْهِ : يحيط به الجفار وحدود القُلْزم وحدود بيت المقدس[٩] .

وتشير الدراسات الحديثة إلى الترابط الطبيعي بين النقب والتِيه ، ومن ذالك

ماذكره الدكتور محمد السيد غلاب الذي قال : فليس النقب إقليماً قائماً بذاته بل هو جزء من وحدة (فيزيوغرافيّة) تشمل شبه جزيرة سيناء[١٠].

كما أشارت «الموسوعة الفلسطينية» إلى ذالك ووفقاً لما جاء فيها فإن : سيناء هي استمرار غربي للنَّقب ، دونما انقطاع ، تضريسي أو حَافَات صخرية فاصلة[١١].

وهذا يعني أن النقب كان يشكل الجزء الشرقي من بلاد التِّيه حيث تشكل جبال الشراة الحدود الطبيعية الشرقية لهذه المنطقة .

*** علاقة النقب بالحجاز والجزيرة ومصر :**

وقد كانت هذه الديار جزءاً من بلاد جزيرة العرب[١٢] من الإقليم الحجازي الذي كما ـ يذكر أبو إسحاق الحربي ـ أنه كان يشمل فلسطين أيضاً[١٣] وبتحديد أكثر دقَّة فإنها من بلاد مَدْيَنَ ، وهي القسم الشمالي من بِلاد الحجاز ، (ومدين من أعراض المدينة)[١٤] فقد ذكر المقريزي أنه (كان بأرض مَدْيَنَ عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها ، وخربتْ ، وبقي منها إلى يومنا هذا وهو سنه خمس وعشرين وثمان مئة نحو الأربعين مدينة قائمة ، منها ما يعرف اسمه ، ومنها ماقد جُهل اسمه ، فمما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عَشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة ، والسنيطة ، والمدرة والمنية ، والأعوج ، والخويرق والبثرين والماءَين ، والسبع والمعلق ، وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيراً ما تنقل حجارتها إلى غَزَّة ويُبْنَى بها هناك[١٥].

وقد كانتْ مَدْيَنُ والقسم الشمالي من الحجاز تعد من كور مصر القبلية ، ذالك أن النفوذ المصري كان ممتدًّا حتى هذه الديار ، فقد ذكر القاضي أبو عبدالله القضاعي أن (مدين وحيِّزها من كورة مصر القبلية)[١٦].

كما ورد أيضاً أن مدين من الشام فقد ذكر البكري أن مدين (بلد بالشام معلوم تلقاء غزة)[١٧].

وهذا يشير إلى تلك الأجزاء من الشَام التي عُدَّتْ من مدين ، وإلا فمدْيَنُ حِجازية تقع إلى الجنوب من أيلة آخر حدود الشام جنوباً كما سيأتي .

ونخلص مما سبق إلى القول :

- أن النقب جزء من بلاد التّيه .
- أن التّيه بما فيه النقب ـ عُدَّا جزءاً من جزيرة العرب .
- أن النقب خاصة وفلسطين عامة عُدّتْ من الحجاز أحد أقاليم جزيرة العرب .
- أن النقب كان جزءاً من شمال الحجاز الذي عرف باسم مَدْيَن .
- أن مدين وهي القسم الشمالي من الحجاز كانَتْ تُعَدُّ من بلاد الشام هذا فيما يتعلق بأجزائها الشامية .
- أن البلاد المصرية امتدَّ نفوذها فشمل شمال الحجاز بما في ذالك النّقب حتى عدّت من كور مصر القبلية .

النقب إقليم فلسطين :

قلنا إنَّ الإقليم الجنوبي في فلسطين ـ أي النقب ـ كان يعرف تاريخياً بالتّيه ، فقد كان النقب هو الجزء الشرقي والشرقي الشمالي من التّيهِ ، يحدُّه شرقاً سلسلة جبال الشراة شرقي وادي عَرَبَة الذي يفصله عن بلاد الأردن . ويحد هذا الإقليم جنوباً خليج العقبة الذي تلتقي فيه حدود الشام مع الحجاز ومصر غرباً التي كانت ـ ولاتزال ـ حدودها تمتد من الخليج إلى نواحي رفح .

تحديد جنوب فلسطين :

قال ياقوت الحموي في تحديده لفلسطين : وزُغَر ديار قَوْم لُوطٍ ، وجبال الشراة إلى أيلة كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك[١٨].

وأيلة هي آخر الحجاز وأول الشام[١٩] فيما يذكر المقدسيُّ أن هناك خلافاً حول أيلة أهي من الحجاز أم من الشام أم من مصر قال : وفي أيلة تنازعٌ بين الشاميين والمصريين والحجازيين كما في عَبَّادان ، وإضافَتُها إلى الشام أصوب لأن رسومهم

وأرطالهم شامية ، وهي فرضة فلسطين ، ومنها يقع جِلاَبُهم وعنده فإن أيلة خزانة الحجاز[٢٠] وقال الحازميُّ : أيلة آخر الحجاز وأول الشام[٢١] وقال أبو عبيدة : أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطيء بحر القلزم تُعَدُّ في بلاد الشام[٢٢].

وقال النوويُّ : هي بلدة معروفة بطرف الشام[٢٣] وقال ياقوت الحموي : هي آخر الحجاز[٢٤].

وتقع على فَمِ وَادي عَربة العظيم[٢٥] وهو موضع في ديار فلسطين ذكره بعض العلماء الجغرافيين ومنهم : الطبري ونصر الاسكندري وياقوت وابن كثير وابن الأثير وغيرهم .

ويحد وادي عربة شرقاً بل يحد القسم الجنوبي من فلسطين سلسلة جبال الشراة ، وقد ذكر صاحب «معجم البلدان» أن الشراة صُقْعٌ بالشام بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ ، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة[٢٦] معقل الدعوة العباسية وقد ذكره في السراة فقال : جبل السراة الذي يصل مابين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد وإنما هو جبال مُتَّصلِة على شق واحد ، من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام وهذه الجبال هي الحد الشرقي للتّيْه كما أسلفنا .

تحديد النقب في المصادر الحديثة :

ذكر الدكتور محمد السيد غلاب في تحديده : منطقة النقب : تلك المنطقة التي تشغل نصف فلسطين الجنوبي حسب الإصطلاح السياسي الحديث والتي تبدو في الخرائط على هيئة مثلث ، قاعدته تمتَدُّ في الشمال من البحر الميت إلى البحر الأبيض المتوسط على خط عرض حبرون (الخليل) ـ غزة تقريباً ، ويتْبع ضلعاه الآخران خطي الحدود الفلسطينية الأردنية من الشرق والفلسطينية المصرية من الغرب ، ويكاد يلتقي هذان الضلعات عند خليج العقبة)[٢٧] وتابعه على هذا التحديد (أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون) وجاء فيما كتباه: (تمتد الحدود الشمالية للنقب إلى خط يبدأ من نهر غزة ، ويسير شرقاً على محاذاة السفوح الجنوبية

لجبال الخليل ، وينتهي بالبحر الميت ، وتتكون الحدود الشرقية من شاطيء البحر الميت ووادي عربة نزولاً من البحر الأحمر ، ويحد النقب من الجنوب الحدود الدولية بين (فلسطين) ومصر ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط[٢٨]. قال الدباغ صاحب موسوعة «بلادنا فلسطين» وهو يحدد النقب: (يحده من الشمال قضاء الخليل ومن الغرب قضاء غزة ، ومن الشرق شرق الأردن ، وجنوبي البحر الميت ووادي العربة وخط الحدود هذا يمتد من نقطة واقعة على خليج العقبة وشبه جزيرة سيناء ويمتد الخط الفاصل بين البلاد المصرية والفلسطينية من رأس طابا إلى رفح على مسافة طولها نحو ١٥٠ ميلاً)[٢٩] وتكاد تَتّفق المصادر العربية أن الحدود الشمالية للنقب هي أراضي الخليل ابتداءًا من البحر الميت شرقاً وحتى الديار الغزية غرباً[٣٠]. وهذا يكاد يتفق مع ماذكره السابقون أن حدود بيت المقدس التي تشمل الخليل كانت هي الحدود الشمالية للتيه في فلسطين[٣١]. وتشكل الحدود الغربية للنقب الحدود التاريخية بين الديار المصرية وبلاد الشام التي تبدأ على هيئة خط مستقيم ابتداءً من أيلة وانتهاءً برفح ـ قال الهمذاني وهو يحدد حدود مصر الشرقية مع بلاد الشام: (وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة وهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة)[٣٢].

وقال أبو الفداء في «تقوم البلدان» وهو يحدد مصر : (والحد الشرقي من بحر قلزم المذكور قبالة أسوان إلى عيذاب إلى القُصير إلى القلزم إلى تِيْهِ بني إسرائيل ، ثم ينعطف شمالاً إلى بحر الروم إلى رفح العريش حيث ابتدأنا)[٣٣].

*** الحدود السياسية بعد التدخل الأوروبي :**

الحدود الشرقية للنقب : بعدما تم للاستعمار البريطاني ما أراده في المنطقة قام بتقسيم البلاد إلى عدة أقسام ذات حدود حملتْ أسماء فلسطين وشرقي الأردن ، فيما كانت بلاد الشام الشمالية قد قسمت إلى قسمين وهما سوريا ولبنان ، وقد قام الإنجليز بتحديد الحدود بين فلسطين وشرقي الأردن فكان الجنرال اليهودي (ينج)

والمندوب السامي البريطاني (هربرت صموئيل) ـ من البريطانيين الذين لعبوا دوراً حاسماً في رسم حدود فلسطين[٣٤] ـ وقد قال (الجنرال ينج) في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠م : إن الحد الغربي لولاية سوريا جنوب البحر الميت قبل الحرب العالمية الأولى كان يتبع وادي عربة حتى خليج العقبة)[٣٥].

وقد تَبنَّى (هربرت صموئيل) تحديد الجنرال (ينج)[٣٦] فأصبح هو المرجع الذي اتخذ وادي عربة الحد الغربي لشرق الأردن أي الشرقي لفلسطين[٣٧] وكان ذالك عندما أرسلت وزارة المستعمرات البريطانية «برقية رقم (E8709/592/65) إلى (هربرت صموئيل) المندوب السامي في فلسطين تستفسر منه عن الحد الغربي لشرق الأردن وذكر (صموئيل) في رده على وزارة المستعمرات البريطانية نفس الحد الذي أشار إليه الجنرال (ينج): (من الطرف الجنوبي للبحر الميت فوسط وادي عربة حتى رأس خليج العقبة: قبل ذالك بسنتين ، ويمر الحد السياسي في أخفض أجزاء وادي عربة المحصور بين حافَتَيْن جبليتين لذالك فهو يلازم جانبه الغربي ومن ثم أصبح لفلسطين ثلث الوادي وشرق الأردن ثلثيه)[٣٨].

وهكذا أصبح وادي عربة وخط الهدنة الممتدّ عبره الحد الشرقي لفلسطين ، والحد الغربي للأردن في القسم الجنوبي من البلاد وقد وصفت «الموسوعة الفلسطينية الحدود الشرقيّة بأنها واضحة فـ(للنقب) حدود واضحة في الشرق حيث يرسم وادي عربة وحافات النقب الصخرية العالية المطلة على أرضه حَدًّا تضريسياً واضحاً)[٣٩].

الحدود الغربية الجنوبية للنقب :

عندما دبّ النزاع بين الدولة العثمانية والإنجليز في مصر حول الحدود بين العثمانيين ومصر تَمَّ الاتفاق بعد مشكلة دولية كادت تؤدي إلى حرب شاملة على الحدود التالية بصيغتها النهائية . كما جاء في المادة الأولى حيث يبدأ الخط الفاصل بالاستقامات التالية : ـ من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتدُّ إلى قمة جبل فورت ، مارًّا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على

وادي طابا ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات التالية من جبل فورت إلى نقطة لا تتجاوز مئتي متر إلى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها إلى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعمود المقام من نقطة على مئتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة إلى العقبة بطريق نخل إلى العقبة) ومن نقطة التلاقي المذكورة إلى التلة التي إلى الشرق من مكان يعرف بثميلة الردادي والمطلة على تلك الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط) ومن هناك إلى قمة رأس الردادي المدلول عليها بالخارطة المذكورة أعلاه بـ (A3) ومن هناك إلى جبل الصفراء المدلول عليها بـ (A4) ومن هناك إلى القمة الشرقية لجبل أم قف المدلول عليها بـ (A5) ومن هناك إلى نقطة مدلول عليها بـ (A7) إلى الشمال منه ثميلة سويلمة ، ومنها إلى نقطة مدلول عليها بـ (A8) إلى غرب الشمال الغربي من جبل سماوة ، ومن هناك إلى قمة التّلة التي إلى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي ماين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل) ومن هناك إلى (A9) ومنها إلى (A9 bis) غربي جبل المقراة ، ومن هناك إلى رأس العين ، المدلول عليه بـ (A10 bis) ومن هناك إلى نقطة على جبل أم حواويط ، المدلول عليها بـ (A11) ومن هناك إلى منتصف المسافة بين عمودين قائمين تحت شجرة على مسافة (٣٩٠) ثلاث مئة وتسعين متراً إلى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليه بـ (A13) ومن هناك إلى نقطة على التلال الرملية في اتجاه (٢٨٠°) مئتينْ وثمانين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٨٠° إلى الغرب) وعلى مسافة أربع مئة وعشرين متراً في خط مستقيم من العمودين المذكورين ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه (٣٣٤°) ثلاث مئة وأربع وثلاثين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٢٦° إلى الغرب) إلى شاطيء البحر المتوسط ماراً بتلة خرائب على ساحل البحر)[٤٠].

وقد بقي لفلسطين نافذة ضيقة على خليج العقبة تفصل بين الحدود السياسية لشرق الأردن والحدود السياسية لمصر .

* أقسام النقب :

ينقسم النقب إلى ثلاثة أقسام[٤١] استناداً إلى فروق الارتفاعات المتوسطة فيها .

وهذه الأقسام هي :

١ ــ النقب الشمالي .
٢ ــ النقب الأوسط .
٣ ــ النقب الجنوبي .

وقد اختص بحثنا هذا بالقسم الجنوبي من النقب ، ذالك القسم الذي لم يَنَلْ اهتماماً كالذي ناله كل من النقب الشمالي والنقب الأوسط ، فعارف العارف لم يدرس هذا القسم ولم يشر إلى سكانه من قبيلة (الاحيوات) والدباغ لم يشر إليه إلا إشارات طفيفة لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهذان هما أهم من كتب ـ من العرب ـ عن جنوب فلسطين ، أي النقب بلا نزاع باستثناء جغرافية النقب التاريخية للدكتور محمد سيد غلاب الذي لم أطلع عليها وقد ظهرت دراسات أخرى اهتمت بشمال ووسط النقب مع إشارات طفيفة لجنوب النقب مثال «مأساة البدو في النقب» و«قطاع بئر السبع» للعارف و«بئر السبع والصحراء الفلسطينية» لأبي سمّور و«المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته» لـ(أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون) و«جغرافية الاستيطان» ج١ لصبحي يوسف عيد ، مع مقالات صحفية بين فترة وأخرى لا تفيد في موضوع بحثنا هذا إلا ما ندر .

ومن هنا كان لابُدَّ من دراسةٍ توفي هذا القسم المجهول من فلسطين حقه من الدراسة والبحث والتعريف . فكان عملنا هذا هو إعداد تأليف معجم شامل يشتمل على كل المواضع من جبال وتلال ووديان وشعاب ورياض ومياه وتلاع ونقاب وكثبان وديار ومساكن عربان وسدود وثمايل ومزارع ودروب ، مع تاريخ كل ما يتعلق بهذه الديار مما تيسر لنا مما لم يشر إليه أحد من شعر وأدب ودين ومعتقدات شعبية وسكان وقبائل ونباتات وأشجار ، فتناولنا اسم كل موضع

وشرحناه مفسرين معناه حتى قد يرى البعض في ذالك تطويلاً لا داعي له لكن يشفع لنا انه لم يسبقنا أحد ـ فيما أعلم ـ في دراسة خاصة شاملة حول هذا الجزء من فلسطين ونحن هنا نغطي هذا الجزء من البحث تعريفاً عاماً بمنطقة الدراسة قبل البدء في ذكر وسرد مواضعها فنقول وبالله التوفيق .

*** الموقع والحدود الشمالية :**

يقع النقب الجنوبي في جنوبي النقب ، وشمالي خليج العقبة ، ويشكل وادي الجرافي الحد الشمالي للنقب الجنوبي[٤٢] وعلى رأي بعضهم هو من جنوب الرامان حتى أيلات[٤٣] ونرى أن الجرافي هو الحد الطبيعي الذي يفصل النقب الجنوبي عن النقب الأوسط ، ذالك أنه وادٍ عظيم يفصل جنوب النقب عن وسطه فيما يقع الرامان إلى الشمال من هذا الفاصل الطبيعي .

وسكان هذه الديار ـ النقب الجنوبي ـ هم عشائر (الاحيوات) حيث أن جبال ومرتفعات عِرِّيف الناقة إلى الشمال الغربي من جبل سماوة تفصل قبائل (العزازمة) شرقاً ، وقبائل (التَّياها) غرباً ، و(الاحيوات) جنوباً[٤٤]. وتَمتَد حدود (الاحيوات) شرقاً حيث يفصل جبل سماوة بين (الاحيوات) و(العزازمة) وتسير الحدود عبر الجرافي شرقاً وتشكل منطقة المليحة شرقاً ، ملتقى حدود (الاحيوات) مع (السعيديين) (الحويطات) ومن منطقة المليحة تتجه الحدود إلى الجنوب الشرقي حتى تصل إلى قاع (السعيديين) الجنوبي حيث أن المنطقة من القاع إلى خليج العقبة للاحيوات[٤٥] بل لقد كانت للاحيوات مطالب قوية وحقوق مدّعاة في القاع[٤٦] قال العبّادي: (كان الاحيوات يطالبون به)[٤٧] ونشير إلى أن سيل الجرافي واللحيانة والقاع كاملاً في ديار قبيلة (السعيديين) (الحويطات) الذين وجدت ديارهم كخاصرة في ديار الاحيوات ، فتَمنعهم عن الوصول إلى وادي عربة ، ولا يصلون إليه إلا عند نهاية القاع جنوباً ، وسنوضح هذا عند حديثنا عن الحدود القبلية بين (الأحيوات) و(السعيديين الحويطات) وبين (الأحيوات) و(العزازمة) في موضعه من البحث .

الأهمية الاستراتيجية والمطامع اليهودية :

تعتبر منطقة النقب أهم جزء (استراتيجي) في فلسطين ، والشرق الأوسط، لموقعها الفريد الذي يصل بين آسيا وافريقيا عبر سيناء ، وحول ذالك يقول الدكتور محمد السيد غلاّب : (هذه المنطقة بالإضافة إلى امتدادها الطبيعي في سيناء تحتل جزءاً هامًّا من العالم العربي ، ونستطيع أن نقول بدون أدنى تحفظ : إنها أخطر منطقة (استراتيجية) في العالم العربي، (لاسيما في فترات الأزمات التي مَرَّ بها هذا الجزء من العالم أيام الحروب الصليبية وفي الوقت الحاضر) وأضاف يقول : (هذه المنطقة هي المعبر البريُّ الوحيد بين شمال شِبْه جزيرة العرب وبين دلتا النيل ، وبعبارة أخرى بين مصر وبقية العالم العربي في آسيا ، ومن ثَمَّ كانت مكانتها الممتازة في تاريخ تعمير فلسطين وتاريخ مصر وعلاقته بالعالم العربي خلال التاريخ القديم والوسيط ، وهاهي المنطقة تكشف عن أهميتها مرة أخرى لنا ولبقية العالم العربي) وقال: (إن الصهيونيين قد نجحوا في تأسيس أول محلاتهم ومستعمراتهم المحصَّنَة في النقب ، وعلى حدود سيناء ، وعملوا على استخلاص النقب لهم في معاهدات الهدنة سنة ١٩٤٨م وقد اتّبعوا في سبيل ذالك أسلوبهم التقليدي وهو إيهام العالم الغربي أنهم بِفَنِّهِمْ وعلمهم ومقدرتهم هم وحدهم القادرون على تحويل قفار الصحاري إلى أراضٍ تفيض بالخيرات ، وأحاطوا هذه الدعاية بعاصفة تذرُّ التراب في العيون ، سُدَاها ولُحْمَتُها أنصاف الحقائق المشوهة فقالوا : إن هذا الإقليم كان يفيض خيراً أيام بني إسرائيل ، وأن النقب وسيناء كان مزدهراً بحقوله وبساتينه ، ومُدُنه وقُراه أيام الرومان ، وأن العرب وهم أهل بدواة حطموا المدن البيزنطية ، هذا إلى أن النقب وسيناء هي المجال ـ في زعمهم ـ لأفواج اليهود العائدة إلى أرض الميعاد) ، وتابع يقول : (هذا هو زعمهم : مجرد إعادة تعمير ما خرّبه البدو ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على النقب وسيناء لسبب واحد هو أهميته (الاستراتيجية) في عزل مصر عن بقية العالم العربي . أما تاريخ النقب وسيناء وتعميرها فَهُوَ قصّة أخرى لم يكن لبني إسرائيل فيْها أي فضل يذكر ، بل كان الفضل فيْها للعرب وحدهم ، مستقلين أو تحت

الحماية البيزنطية)[٤٨].

ويشير الزعيم اليهودي (بن غوريون) لأهميته فيقول: (إنني أعتقد أن كيان إسرائيل يتوقف على النقب ، ولا كيان لها بدونه)[٤٩] وقد كان لـ(بن غوريون) اهتمام خاص بالنقب ، جعله يحلم به ، ويعد المشاريع والخطط لاستغلاله .

وقد جاء في رسائله مايشير إلى اهتمامه الخاص هذا ، فقد كتب في ١٧ أيلول ١٩٣٥ يقول : (أنا أناقش المندوب السامي أكثر من عام بشأن النقب ، وهي مساحة من الجنوب تمتد من غزةإلى العقبة تبلغ أحد عشر ألف دونم ، جزء منها صحراوي وغير صالح ، ولكن هناك أيضاً أرض طيبة في النقب ولو وجد فيها الماء فستفتح أمامنا مساحات شاسعة وفارغة ـ ليس هناك في النقب غير القليل من العرب)[٥٠] ثم جاء زمان أصبح لليهود فيْه دولة ليصرح (بن غوريون) لصحيفة «نيويورك تايمز» حول مشروع جرّ المياه إلى النقيب قائلاً : (إن تنفيذ مشروع النقب سيمكن اليهود من إنشاء ٢٠٠ قرية على طول الحدود المصرية يسكنها مليون على الأقل من شباب منظمات (الحالوتيسم) العسكرية الصهيونية تمهيداً لمعركة حاسمة مع العرب)[٥١] وجاء في رسائله حول النقب ماكتبه بتاريخ ٤ حزيران ١٩٣٧ مُتَسائِلاً عن مصر النقب: (ماذا سيحدث للنقب؟ المساحة بأكملها حتى العقبة والتي زرناها منذ عامين ، لا آمل في الوقت الحالي بحصولنا على العقبة والنقب ، ولكن من المحتمل أن يبقى هذا الجزء من البلاد تحت إشراف بريطانيا ، ولن نتمكن من الاستيطان فيه في المستقبل)[٥٢] وأضاف يقول فيما كتبه في ٢٢ حزيران ١٩٣٧م متسائلاً عما ستقرره اللجنة الملكية بشأن فلسطين : (ولسنا ندري ما سيقررون بالنسبة لحيفا أو القدس ، ولا ماذا سوف يكون مصير الجزء الجنوبي من البلاد ـ أي النقب ـ هل سيعطى للعرب أم اليهود أم الانجليز ؟ (وايزمان) متفائل ، ولكنني للأسف لا أستطيع مشاركته ذالك التفاؤل)[٥٣] وقد ظل (بن غوريون) غير متفائل بشأن ضَمِّ النقب للوطن اليهودي ، حيث أن برنامجه أشار لضم نصف النقب فقد كتب في ٢٧ تموز ١٩٣٧م : (وسوف تضم الدولة حسب برنامجي صَفَدَ والناصرة وطبرية وحيفا

وبيسان وطول كرم ، حتى الجبل ، ويافا والرملة ونصف النقب)[٥٤] وكتب مرة أخرى في ٢٧ تموز ١٩٣٧م يقول : (حسب مخططي كان يجب أن نأخذ نصف النقب من بئر السبع جنوباً وحتى الحدود المصرية وخليج إيلات ، أما اللجنة فهي ستسلم هذا الجزء إلى الدولة العربية)[٥٥] وفي تلك الأثناء (كان اليهود يعلمون يقيناً استحالة الاستيلاء على كل فلسطين لذالك فقد كانوا يحسبون للنقب حساباً جديًّا ، ولم يأت تمسك اليهود بالنقب عبثاً فهو يتَّصل بسيناء والأخيرة بمفهومهم وطنهم القومي الأول ، ومكان تلقي ديانتهم وتعاليمها)[٥٦] ولحرص (بن غوريون) على النقب فقد سعى لأخذ النقب وفقاً لقرارات التقسيم ، وإلا فإنه سيسعى لأخذه بلغة أخرى فكتب في ٥ أكتوبر ١٩٣٧م يقول : (وإذا افترضنا أن منطقة النقب لن تعطى للدولة اليهودية فسوف تبقى جَرْدَاء بكل بساطة ، فالعرب ليسوا قادرين على استثمارها كما أنهم ليسوا في حاجةٍ إلى ذالك ، فلديهم صحاري كافية بينما ليس لديهم التَّعداد البشري الكافي ، ولا الإمكانيات أو الحوافز ، ومن المحتمل جدًّا أن يوافقوا على استثمارنا ، وبنائنا للنقب مقابل العون المادي والعسكري والإداري والعلمي من جانبنا ، وربما لن يقبلوا ، فإن الشعوب لا تَتصرف دائماً بدافع من المنطق والعقل والمصلحة العملية ، لذالك يحتمل أن ينطلق العرب من واقع قومي ، ويقولون لنا : لا نريد عسلكم ولا شوككم ، فنحن نفضِّل أن يبقى النقب صحراء على أن يستوطنها اليهود ، وحينئذ علينا أن نحاربهم بلغة أخرى ، وسوف يكون لنا فيها لغة أخرى لن نكون قادرين عليها دون دولة ، لأننا لا نحتمل أن تبقى مساحات واسعة غير مأهولة وهي قادرة على استيعاب عشرات الآلاف من اليهود وفي حالة حدوث ذالك فسوف نضطر إلى مواجهة أكثر من عرب فلسطين فليس من المستبعد أن يَهُبَّ العربُ في الدول المجاورة لنجدتهم في مواجهتنا ، ولكننا سوف نكون أقوى حينذاك ، لا لأننا سوف نكون أفضل تنظيماً وتسليحاً ، ولكن لأن وراءنا قوة أعظم نوعاً وعدداً فلدينا في المهجر احتياطي من بلايين اليهود ، فإن الجيل الجديد من اليهود في بولونيا ورومانيا وأمريكا وغيرها من البلاد سوف يهرع إلينا بكامله في حالة أي

خلاف بيننا وبين العرب ، الذي آمل وأرجو ألّا يحدث ، فالدولة اليهودية لن تعتمد على اليهود القاطنين فيها فحسب ، بل على الشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم ، على الملايين الذين يرغبون في الاستيطان في فلسطين والذين يجب أن يستوطنوا فيها)[٥٧].

هذا الاهتمام اليهودي بالنقب جعلهم يطبّقون مقولة (الغاية تبرر الوسيلة) طالما أنّها تحقق الهدف ذالك أنه (عندما عُرِضَ مشروع تقسيم فلسطين في الأمم المتّحدة تَمَسَّك اليهود بإصرار بأن تكون منطقة النقب من ضمن دولتهم المزعومة ، وهذا يفسر بما لا يدع مجالاً للشكّ إقدام عصابة (شيترن) الصهيونية الارهابية على اغتيال وسيط الأمم المتحدة (الكونت فولك برنادوت) الذي اقترح ضم صحراء النَّقب إلى الدولة العربية فيما إذا تم التقسيم)[٥٨].

* **السياسة الإسرائيلية في النقب :**

من أمثال الصِّينْ القديمة : إن طريق الألف ميل يَبْدَأُ بالخطوة الأولى ، وهذا ما تبنّاه الزعيم اليهودي (ديفيد بن غوريون) الذي كتب في ٥ أكتوبر ١٩٣٧م يقول : (أنا واثق من أن إنشاء دولة يهودية ولو في جزء من البلاد سيجعل ذالك ممكناً لذالك فأنا لست أشعر بأيَّ تناقُضٍ بين عقلي وقلبي ، فكلاهما يقول لي : قم بإنشاء دولة يهودية فَوْراً حتى ولو في جزء من البلاد ، وليس كلها ، فالبقية ستأتي مع الزمن ، وذالك سوف يتم حتماً)[٥٩] وهذا ما تم تطبيقه على أرض الواقع (فقد احتل اليهود في ١٩٤٨/١٠/١٤ بعض الأراضي في النقب واتخذ (مجلس الأمن) بعد شهر قراراً يأمر اسرائيل بالانسحاب وراء الخطوط المحددة وكُلِّفَ (الكونت برنادوت) برسم الخطوط التي لا يجوز لأيٍّ من الفريقين العرب واليهود أن يتعدَّاها ولكن إسرائيل لم تنفذ)[٦٠] ولم تلتزم بهذا القرار ، وظل اليهود يسعون سعياً حثيثاً لتنفيذ مخططهم بشتى الأساليب من استخدام القوة والتآمر مع بعض الأطراف العميلة لهم ، إلى أن استولوا على موقع (المرشش) على خليج العقبة في ١٩٤٩/٣/١٠م وتمت الموافقة الخائنة على بقاء (المرشش) في حوزة إسرائيل في اتفاقية الهدنة المعقودة في ١٩٤٩/٤/٣م[٦١].

* تهجير العرب والممارسات اليهودية :

لم ينتظر اليهود طويلاً في تنفيذ خططهم (فالنَّقب الذي يملكه العرب يَخْلُو الآن من سكانه العرب المتنقلين (البدو) تماماً فقد طوّحت بهم الصهيونيّة في أماكن خاوية ، وأسكنَتْ مكانهم مهاجرين جدداً في سلسلة من القرى الزراعية العسكرية ورَصَدَت الصهيونية العالمية وأمريكا مبلغاً أولياً قدره ٣٠٠ مليون دولار لمشروع تعمير النَّقْب في خمس سنوات)[٦٢] وقد صرَّح (بن غوريون) لصحيفة «نيويورك تايمز» قائلاً : (إن تنفيذ مشروع النقب سيمكن اليهود من إنشاء ٢٠٠ مـ ي قرية على طول الحدود المصرية ، يسكنها مليون على الأقل من شباب منظمات (الجالوتيسم) العسكرية الصهيونية تمهيداً لمعركة حاسمة مع العرب)[٦٣] عامة والمصريين خاصة ذالك أنه (في سنة ١٩٦٠م قام (الجنرال الفرنسي كاربينيه) بزيارة لمنطقة النقب وميناء (ايلات) وقال ضمن تقرير له : إنني بعد زيارة النقب مقتنع بأن المعركة بين إسرائيل والجيش المصري هي معركة صحراء النقب)[٦٤] لذالك فإن كيان إسرائيل الهش يعتمد على النقب بسبب أهمية موقعه ، ويشير إلى ذالك (بن غوريون) ففي ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٠م أكد (أن كيان إسرائيل يتوقف على النقب ولا كيان لها بدونه)[٦٥] لهذا كان لابد من تعمير النقب واستيطانه ، وقد خطب في القدس في ٣٠/١٠/١٩٦٠م فقال مؤكداً: (وبعد عشرة أعوام سنجدون البلاد مزدهرة وعامرة بالسكان من القدس إلى ايلات)[٦٦] وهو مانراه اليوم على أرض الواقع فعلاً حيث انتشرت المستعمرات اليهودية كالسَّرطان في شتى أنحاء النّقب شمالاً ووسطاً وجنوباً .

* الممارسات اليهودية :

قام اليهود بعدد من الاجراءات لتفريغ النقب من أهله ، وإخلائِهِ من السكان ليَتسنَّى لهم إنشاء المستوطنات واستجلاب اليهود وتوطينهم في النقب ومن اجراءاتهم التي قاموا بها :

١ ــ القيام بطرد السكان العرب : استخدم اليهود القوة العسكرية لطرد

البدو من ديارهم في النقب ، من خلال إعلان الحرب الشاملة عليهم ، وقد ذكر (أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون): (أن السلطات الإسرائيلية قامتْ خلال عام ١٩٤٨م وفي أوائل الخمسينات بعملية طرد جماعية لِبَدْو النقب وألقت بهم خارج حدود ما أصبح يعرف باسم إسرائيل ، وبلغ عدد الذين تَمَّ طردهم مابين ٤٠ و ١٠٠ ألف بدوي)[٦٧] وتحدد بعض المصادر عدد الذين طردوا من البدو بـ ٩٨٦ و ٨٤)[٦٨] فيما تعترف مصادر إسرائيلية (بأن عدد الذين طردوا بلغ ٧١,٠٠٠ ألف نسمة)[٦٩].

٢ ــ محاولة إعادة تشكيل ما تبقى من عرب النقب وصياغتهم صياغة يهودية . وهو أسلوب يهودي ، ذو أهداف بعيدة المدى ، أشار إليه (أوري ديفس وجون ريتشارد سون) حيث قالا : (نودُّ أن نذكر هنا ولو بطريقة عابرة أن قَادةُ الحركة الصهيونية وخاصة (ديفيد بن غوريون) فكروا جدياً في حل صهيوني لما أسموه بالمشكلة البدويَّة ، وينطوي الحل الذي فكروا به على تَحْوِيل البدو عن ديانتهم ، وإعادة تشكيلهم ، ويقول الجنرال احتياط (جوزيف جيفع) : أن (بن غوريون وبن زفي) درسا امكانية تنفيذ هذه الخطة في إطار ما يعرف باسم عملية (يوهانان) وكان ذالك في بداية الخمسينات إلا أن الخطة تمَّ تأجيلها ثم ألغيت فيما بعد ، وذالك بسبب اعتراض أجهزة المخابرات الإسرائيلية)[٧٠].

*** ارتباط القبائل العربية بالنقب :**

تمهيد : في عام ١٩٥٠م زار (G. Burg) مدينة الناصرة التي احتلَّها اليهود في عام ١٩٤٨م وكان ممن التقاهم أحد يهود الناصرة ومما قاله ذالك اليهودي : (لستُ أدري فما نزرعه هنا سنحصده يوماً ما ، ولستُ أودُّ أن أشهد هذا)[٧١] ذالك أن وجود اليهود طاريء حديث لا يقوم على أسس راسخة كوجود العرب في هذه الديار ، وإذا كان العرب ـ بسبب إقصائهم للإسلام كنظام حياة ـ قد ذَلُّوا حتى قامت على جزءٍ من ديارهم دولة للذين لم تَرْضَ شعوب العالم التي كانت تشاركهم في العقيدة ـ نصارى أوروبا ـ أن تَجْعلهم يعيشون معهم وبينهم كجزء منهم بل نبذتهم واحتقرتهم وجعلت لهم أماكن خاصة يعيشون فيها منبوذين من قبل أفراد

تلك الشعوب ، فكانت أحياء (الجيتو) اليهودية المعروفة هي أماكنهم الخاصة بهم ويوم ابتغى العرب العز والنصر بغير الإسلام أذّلهم الله ، فانطبقت مقولة الخليفة الفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أن قال : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلّنا الله) والحاضر بما فيه دليل على صدق مقالته رضي الله عنه ويعود الحديث إلى الارتباط العربي القبلي بالأرض وارتباطهم بالنقب ذالك الارتباط التاريخي القديم ، فالنقب عربي إسلاميّ لم يقطنه عبر التاريخ يهودي واحد ، وإن كانوا قد قطنوا وسط وشمال فلسطين ، ويشير إلى ذالك القائد البريطاني الذي سهل بإيعاز من بريطانيا لليهود احْتِلال النقب يوم أمر بسحب الجيش الأردني من النقب عندما كان في ذالك الوقت ـ عام ١٩٤٩م ـ قائداً للجيش في الأردن ، وهو (كلوب باشا) الذي قال : (إن أفظع ظلامة في مشروع الأمم المتحدة هو أن النقب الذي يمتد من بئر السبع إلى العقبة مسافة مئتي ميل أعطى لليهود في حين أنه لم يكن فيْه يهودي واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط[٧٢] فمملكة إسرائيل وحسبما ورد في «التوراة» امتدت جنوباً حتى بئر السبع فقط)[٧٣] ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة كيف تمت المؤامرة على سلخ النقب وضمه إلى إسرائيل حتى فضل زعيم عربي شهير احتلال اليهود للنقب من أن يكون تحت سيطرة المصريين فقد تركنا هذا لنناقشه في باب التاريخ عند حديثنا عن تاريخ النقب فيما بعد بإذن الله ونستطيع القول أن النقب أرض عربية لم يقطنها اليهود حتى يوم أن قامتْ لهم دولة في فلسطين وقد كان العرب أهل هذه الديار يقدسون الأرض ويولونها اهتماماً كبيراً وكثيراً ما كانت قبائلهم تقوم بالحروب والنزاعات الدموية بسبب الخلاف على قطعة من الأرض وهذا يؤكد لنا مدى الاهتمام القبلي العربي بالأرض اهتماماً أصلياً ذالك أن البدو الأعراب يحبون الأرض ويتشبثون بها وأنّها سبب رئيسي من أسباب خلافاتهم وحروبهم ، فكل يريد أن يعرف أرضه في ديرته ، وحدود الآخرين كي لا يتجاوز حدوده إلى غيره ، ولا يسمح لغيره أن يتجاوز إليه أو عليه)[٧٤] ذالك أن الولاء عند البدو للقبيلة وديارها دون المبالاة بالحدود السياسية المصطنعة القائمة بين العرب وآثار ذالك باقية إلى يومنا هذا (فالبدو في خلاف مستمر بشأن حدود أراضيهم وملكيتها وطالما جَرَّ الخلاف بينهم

إلى حرب)[٧٥] وقد دفعهم اهتمامهم بديارهم وحدودهم أنه كان (لكل قبيلة جهة محدودة من الجهات الأربع معروفة عندهم بعلامات طبيعية بارزة وفي الجهات التي ليس فيها علامات بارزة يضعون رجوماً من الحجارة للدلالة على الحدود)[٧٦] بل إنه (كثيراً ما تقع صدامات تصل إلى مستويات الحروب بين القبائل على ملكية الأرض ، أو تجاوز الحدود . وحول ذالك يقول (غرانون) خبير الأراضي اليهودي : (إنه كان لكل قبيلة من قبائل بدو النقب أراضيها المحددة ولم تكن تبرحُها أبداً إلاَّ مرغمة حتى في أوقات السلم أيضاً وكانت لا تسمح لأحد بالتعدي على حدودها ، حتى ولو لأغراض الرعي بدون اتفاق مسبق على ذالك) وأنه إذا ما رغب شخص ما في بيع حيازته من الأرض فلجاره الحق أولاً ثم لأي من المجاورين الأمر بين من الحمولة نفسها ثم لأي شخص من الحمولة وهَلُمَّ جَرًّا في هيكل التركيب القبلي)[٧٧] وحول شكل هذه الملكية يقول الخبير اليهودي (غرانون) إن ملكية هذه الأراضي تأكدتْ بالتقادمية وأنه حتى الأراضي الصحراوية التي لم تكن صالحة للزراعة كانتْ تقسم بين الملاّك إذا لم تكن ملكيتُها عامة ، وكانتْ حدودها ترسم بعلامات فارقة غير مرئيَّة في عين الأوروبي المجردة لكنها كانت بيّنة في عين ابن الأرض)[٧٨] ويضيف (بي. شمعون) اليهودي أن (الفرد الواحد من عرب النقب كان يملك قبل عام ١٩٤٨م نحْو ٤٠ دونما من الأراضي الزراعية في النقب)[٧٩] ويؤكد (غرانوفسكي) أنه (كان لكل قبيلة أراضيها المحددة ولم تكن تبرحها أبداً)[٨٠] وأضاف يقول بصدد ملكية الأراضي : إنه (حتى الأراضي الصحراوية كانت تقسم بين المالكين إن لم تكن عامة ، وكانت حدودها ترسم بعلامات فارقة وكان السكان في محافظة بئر السبع يحافظون بدقة على حقوق التقسيم والحدود الإقليمية وكان التوسع ممنوعاً منْعاً باتًّا وعقوبته شديدة وفقاً للقواعد المقدسة التي كرَّستْها تقاليد عرب المنطقة)[٨١] ليس ذالك فقط بل (كان البدو يسيطرون سيطرة تامة على شؤون النقب قبل وخلال الثلاثة قرون ونصف القرن الأولى من الحكم العثماني ، وكانت صلاتهم بالدولة قليلة أو حتى معدومة وكانت السيطرة على موارد المنطقة وعلى الفوائد المتحَصِّلة من التَّهريب وإرشاد المسافرين والقوافل ومن السيطرة على الطرق عبر الصحراء كانت

تتقاسمها القبائل ثم يعاد تقسيمها تبعاً لنتائج الحروب بين هذه القبائل)[٨٢] وهنا لابُدَّ من الحديث عن استغلال القبائل العربية للأرض في النقب .

*** الزراعة البدوية في النقب :**

إن الحديث عن الزراعة البدوية في النقب وأنماطها يقودنا إلى الحديث عن مناخ هذه المنطقة وطبيعة الأمطار فيها ، ومصادر المياه وفرص التنمية الزراعية ، والمواد التي يزرعها البدو ، ويهتمون بها عندما أخذوا يظهرون اهتمامهم بالزراعة فنقول :

١ ــ **المناخ** : يتصف مناخ النقب بأنه مناخ صحراوي جاف صيفاً ، بارد قليل الرطوبة شتاءًا ويتراوح معدل درجات الحرارة بين ١٧° إلى ١٨° أي بمعدل ٣-٤ درجات أعلى من الساحل الفلسطيني ، وأما في الشتاء فإن الطقس يميل إلى البرودة نوعاً ما ولكنه قليل الرطوبة ، ومعدل النهاية الكبرى للحرارة في النقب يومياً تتراوح ١٣°-١٦° مئوية ـ أي بمعدل ١-٢ أقل منها على الساحل ومعدل النهاية الصغرى ينخفض عن معدلها في الساحل بنحو درجتين وتنخفض إلى تحت الصفر[٨٣] وتصل عدد الأيام التي تزيد فيها درجة الحرارة عن ٣٠° مئوية إلى ١٢٢ يوماً في السنة أي أكثر من ثلث مجموع أيام السنة أما عدد الأيام التي تقل فيها درجة الحرارة عن ٥° مئوية فإن عددها يصل إلى ٤٤ يوماً أي حوالي ١١٪ من مجموع السنة ، وقد سجلت أدنى درجة حرارة في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) وكانت ١,٧° مئوية أما درجة الحرارة العظمى فقد سجلتْ في ٨/١ وكانت ٣٨° مئوية ، ويبلغ معدل درجة الحرارة اليومي الوسطى ١٨,٦° مئوية ومعدل درجة الحرارة الصغرى ١٢,١° مئوية أما معدل درجة الحرارة العظمى فيبلغ ٢٥,١° مئوية[٨٤] هذا في النقب عامة أما في النقب الجنوبي خاصة فإن المتوسط السنوي للحرارة يتراوح بين ٢١° إلى ٢٤° ويبلغ متوسط أشد الأشهر حرارة من ٢٩°-٣٢° في حين أن متوسط أشد الأشهر برودةً يتراوح مابين ١٠°-١٥° مئوية[٨٥].

ب ــ **الأمطار** : يصل معدل الأمطار السنوي في شمال النقب إلى ٣٠٠ ملم ،

وهو في الجنوب يقل عن ٢٠٠ ملم[٨٦] وحتى هذا المعدل الضئيل يأخذ في الانخفاض التدريجي كلما تباعدت تدريجياً باتجاه الجنوب نحو رأس خليج العقبة ، وفي أحيان كثيرة تتساقط الأمطار بدرجة قوية لتشكل فيضانات مدمرة ، ويبلغ عدد الأيام الممطرة نحو ثلاثين يوماً كحدٍّ أقصى وعشرة أيام كحد أدنى[٨٧] وفي النقب الجنوبي فإن كميات الأمطار تتراوح بين ٥٠ و ٧٥ ملم[٨٨].

جـ ـ **الزراعة** : اتسمت نظرة البدو للزراعة بالإهمال واللامبالاة ومن هنا كان اعتمادهم بالدرجة الأولى على المواشي من إبل وأغنام وغيرها بسبب الحل والترحال المستمر ، سعياً وراء الكلإ والماء ، وعندما أخذت قبائل العرب بالاستقرار أخذت تلتفت إلى الجانب الذي طالما أهملته ، وهو جانب الزراعة ، وكانوا في باديء الأمر يتركون هذا العمل للنساء والأطفال ، وفيما بعد أخذ أفراد القبائل وجماعاتهم يهتمُّون بالزراعة ، وحول ذالك يتحدث الأستاذ أحمد وصفي زكريا فيقول في حديثه عن أعمال البدو (. . . أما الزراعة فقد كانوا أيضاً يزدرونها ويمتهنون أهلها ويدعونهم (فلاليح) جمع فلّاح ـ لأنها فيما زعموا تربطهم بالأرض ، وتجرهم إلى الخنوع والذل ، وتفقدهم الحريّة والإنطلاق اللذين هما غاية مناهم)[٨٩] حتى قال قائلهم :

لشرط البداوة كل يـومٍ مغزَى وعزُّ البداوةِ كل يومٍ رحيل[٩٠]

ويضيف أحمد وصفي زكريا قائلاً : (ومن أقوالهم في ازدراء الزراعة : الذل بالحرث والمهانَة بالبقر ، ويقابلون هذه الأقوال بكلمة : العز بالإبل ، والشجاعة بالخيل ، إلا أنهم منذ أن انقطعت سبل الغزو ونضب معين السلب والنهب وتوالت سنو المحل والجدب ، وكثر موت الحلال (الماشية) وأكرهوا على الميل نحو الزراعة وشرع رؤساهم وكبراؤهم . . يقتنون الأرضين ، ويتوسعون بالمساحات ، ويتنازعون على الحدود ، ويعنون بالحرث والزرع والري ، ومن ثم صاروا يعتبرون الزراعة ، ويعتبرون أهلها إلى حَدٍّ مَّا ولو أنهم لم يوفقوا بعْدُ بِتَعْوِيْد أعرابهم على أعمالها وأتعابها فاعتمدوا في الغالب على سواعد الحضر من أرباب

القرى[٩١] ويقول (أوري ديفس وجون ريتشارد سون) في حديثهما عن زراعة البدو: (كانت الزراعة لدى البدو لا تتطلب إلا القليل من الجهد البدني فإذا ما سقط المطر للمرة الأولى في تشرين الثاني عادةً قام المزارعون من البدو بحرث الأرض وبذرها بالبذور ، وبعد ذالك تترك الأرض إلى أن ينتهي فصل الشتاء حيث يعود مالك الأرض لجني المحصول ، وفي هذه الأثناء التي تمتد من زراعة الأرض إلى جني المحصول يذهب الرعاة مع قطعان ماشيتهم بحثاً عن المراعي ويعني ذالك أنهم كانوا يتركون محاصيلهم دونما رقابة أو حراسة وهو أمرٌ إن دل على شيء فإنما يدل على اعترافهم الجماعي بحقوق الملكية العرفية ، وثقتهم باحترام الأملاك ، وهو الاحترام الذي يعززه نظام المحاكم التقليدية ، ويقوم البدو بقطف محاصيلهم في فصل الربيع حيث يقومون بخلع النباتات من جذورها طلباً لجمع أكبر كمية من العلف ، ويتم قطف المحاصيل عادة في شهر آذار ، وكان البدو يزرعون أرضهم ثلاث سنوات ، ثم يتركونها بلا زراعة مدة سنة ، وكان محصول الحبوب الرئيسي عندهم هو الشعير[٩٢]. وتشير تقديرات الجغرافيين أنه في كل دورة زراعية مؤلفة من سبع سنين في المناطق الزراعية يكون الموسم خِصْباً في سنتين منها ، وموسماً وسطاً في واحدة منها ، وموسماً ضئيلاً في اثنين منها ، وموسماً ممحلاً في السنتين الأخيرتين[٩٣] ويقول (أوري ديفس وجون ريتشارد سون): (كانت الزراعة البدوية تعتمد على مياه الأمطار والتي تتفاوت كمياتها تفاوتاً كبير للغاية ، بين سنة وأخرى ، وكان الحصول على محصول جيّد لا يحدث إلا بمعدل مرة واحدة كل ثلاث سنوات ، وكان البدو يستخدمون أساليب بدائية في جمع مياه الأمطار ، وأحد هذه الأساليب هو بناءُ السدود في الوِدْيان ، بحيث يتم حبس مياه السيول وراءها ، ولما كانت التربة في النقب مكونة من مزيج من الرمل والطين فإن قدرتها على الاحتفاظ بالماء كانت عالية لذالك فإن الأراضي الواقعة خلف السدود كانتْ تصبح أكثر خصوبة أثناء موسم الزراعة ، وكان إنشاء البرك والخزانات هو الأسلوب الأكثر شيوعاً في جمع الماء ، وكان الماء المتجمع في هذه البرك يستخدم فيما بعد من قبل الإنسان والحيوان ، وكانت البرك ملكاً خاصاً لمن يبنيها ، مع أنه كان يجري تأجيرها أحياناً لموسم واحد ، وخاصة تلك البرك

الكائنة في المراعي ، وأما الآبار فإنها كانت تعتبر ملكاً للجميع[٩٤] وقد كانت هناك مناطق واسعة تقع على جانب الأودية كانت في الماضي تسقى بتحويل مياه السيول من تلك الوديان إلى الحقول بواسطة إقامة السدود ويمكن أن تتوقع حركة زراعية نشيطة إذا استفيد من السدود كما استفاد الأقدمون[٩٥] وبلغ من درجة تحول البدو واهتمامهم بالزراعة أنه كان لكل عشيرة أراضيها الزراعية والتي كانوا يسمونها (مزارع) يتقاسمها أفراد العشيرة فيما بينهم ، ويشير (ي. شمعوني) أن (الفرد الواحد من عرب النقب كان يملك قبل عام ١٩٤٨م نحو ٤٠ دونما من الأراضي الزراعية في النقب)[٩٦] (فقد واصلوا زراعتهم للأرض وامتلكوها وفق التقليد الإسلامي ، ووفق القوانين العثمانية ، ومن بعدها البريطانية)[٩٧] وقد وصل عدد الذين كانوا يمارسون الزراعة في النقب قبل عام ١٩٤٨م وفقاً للمصادر الإسرائيلية نحو ٧٠ ألفاً كانوا يزرعون نحو مليون ونصف المليون دونم)[٩٨] وفيما يتعلق بالوقت الذي بدأ فيه البدو يزاولون الزراعة فإن هذا يظل من الأمور التي يصعب تحديدها بدقة ويقول بعض المراقبين : إن الزراعة عند البدو بدأتْ مع قدوم الصهاينة ولكن معظمهم يرجعها إلى ما قبل ذالك .

وتعود أنظمة حفظ الماء في النقب إلى القرون الأولى بعد الميلاد وأما الزراعة فإنها بدأت كما يقول أحد الكتاب خلال القرون القليلة الماضية ، فيما يرى كاتب آخر أنها بدأت خلال السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وقد ازداد النشاط الزراعي عند البدو ازدياداً ملحوظاً ، مع وصول البريطانيين)[٩٩] والصحيح أن في هذا تجنٍّ على استغلال عرب هذه الديار لأراضيهم من الناحية الزراعية واستغلالِ ثروات أشجارها ذالك أن شأن البدو مع الزراعة هو الاهتمام بها ووفق إطار ضَيِّقٍ بسبب ماهم عليه من حَلّ وتَرْحال ، ومن هنا نجد أن بعض الرحالة يذكر شيئاً عن زراعة البدو ، أو استغلال البدو للنواحي النَّباتية فالجزيري مثلاً (٩١١ ـ ٩٧٦ تقريباً) يذكر أن قبائل العرب هي التي زرعت وتملك أشجار النخيل في عقبة ايلة كما سيجيءُ في الحديث عن (المرشش) فيما بعد ، ومن ذالك ما ذكره (بيركهات) الذي مَرَّ بالنقب الجنوبي عام ١٨١٦م حيث ذكر أن عربان

(الأحيوات) يجمعون الصمغ العربي من وادي اللحيانة الغني بهذه الأشجار ، ويبيعونه في القاهرة ـ كما سيجيء في الحديث عن اللحيانة في موضعه في هذا البحث والتساؤل المطروح : هل تصلح الزراعة وهي عمل يحتاج للاستقرار لقوم يرون أن الحل والترحال دَيْدَنُهُمْ اللهم إلا في فترات استقرار قليلة غير دائمة ، ولعل وجود أشجار النخيل واحتفاظ البدو بملكيتها على بعض العيون القليلة المنتشرة في نواحي صحراء النقب تدلك أن البدو إذا ما أقاموا واستقروا فإنهم سيجيدون الزراعة كما أجادوا الغزو والسلب والنهب ، لهذا وانطلاقاً من وضعهم وظروفهم تلك كانوا كما وصفهم الدكتور محمد السيد غلاّب الذي قال حول الزراعة: (لا يهتم البدو بها مطلقاً ، بل يكتفون بالهبوط إليها ـ يعني الأرض الزراعية ـ ويحدقون في قنواتها كأنما شقت بيد ساحر ، وقد يزرع بعضهم الذرة ولكنهم يكتفون من الزراعة بوضع البذور في الأرض ، والعودة إليها وقت نضوج المحصول ، وإذا بدأت الحشائش الطفيلية تُزَاحمُ البذور غذاءها لا يكلفون أنفسهم مشقة تنظيف الأرض من هذه الحشائش بانتزاعها وحرث الأرض : هؤلاء هم البدو يعزفون عن الزراعة ، وإذا اضطروا إليها فإنهم يبذلون فيها أَقَلَّ جُهْدٍ ممكن ، ولكنهم يستطيعون أن يجوبوا الصحراء لَيَالي تتلوها ليالٍ ، بحثاً عن ناقة شردتْ ، ويستطيعون التعرف عليها بسهولة ، ويحفظون طرق الصحراء ودروبها ، وهم عنصر يجب أن تنتفع به البلاد ، وتستفيد من خيراته . . . والوسيلة إلى ذالك رفع مستوى هذا العنصر)[١٠٠].

*** الوصف العام وطبيعة تكوين النقب الجنوبي :**

يعتبر النقب الجنوبي صحراءً بالمعنى الحقيقي[١٠١] حيث (تتميز هذه المنطقة بصحراويتها المتطرفة)[١٠٢] كما يعتبر هذا القسم منطقة جبلية بوجه عام ويتّصف بالانحدارات الشديدة ، والوديان العميقة بين الجبال، وتَنتهي نحو الشرق بانحدارات حادّة تؤدي إلى وادي عَرَبة ، وينحصر إمكان السير فيه على الشعاب)[١٠٣] كما يتصف بأنه (لا يوجد به عنصر واحد من العناصر التي تقوم عليها الحياة الزراعية والرعوية فهو أراضي صخرية تندر فيها التربة المناسبة

وتتضاءل فيها فرصة الحصول على الماء)[١٠٤] ولهذا فإن الفيضانات نادرة الحدوث في كل من وادي الجرافي ورافده وادي أُصَيْحر ، وكذالك في وادي اللحيانَة ، ولا تستطيع هذه الأودية أن تساهم في حركة الاستيطان الزراعي إلا في أضيق الحدود المحلية ، كما أن الأرض الصخرية تندر فيها التربة الصالحة للزراعة إلا في بقع متفرقة على طول الأودية)[١٠٥] ويتألف النقب الجنوبي: (من هضاب واسعة تحتلها هضبة الجرافي ، وجبل السِّناف ، وتنتهي هذه الهضاب في الشرق بغورِ العِجْرم منخفضة من علو متوسطه ٥٠٠ متر عن سطح البحر إلى متوسط ارتفاع لغور العِجْرم قدره ٢٥٠ ـ ٣٥٠ متراً عن سطح البحر ويسود الانبساط المتموج هذه الهضاب التي تتألف من صخور رسوبية شبه أفقية ، مكونة من الحجر الكلس والحواري والرملي مع الصّوان والمارن ، وتظهر أيضاً ترسبات رباعية العمر من الأنقاض واللحيقات والحصا في بطون الأودية ، الخارقة للهضبة من الجنوبي الغربي إلى الشمال الشرقي كوادي الجرافي ووادي اللحيانة كما تظهر في سهل العقفي وبعض المنخفضات الصغيرة ، وتُعَدُّ هضبة الجرافي منطقة هادئة نسبياً من الناحية البنائية [التكوينية] بالرغم من تأثرها ببعض الحركات البنائية التي كونت أسنمة صغيرة ضعيفة الارتفاع والنهوض وبعض خطوط الصدوع ذات المحاور الشرقية ـ الغربية في حين اتجهت محاور الأسنمة نحو الشمال الشرقي منسجمة في ذالك مع المحاور الرئيسية لأسنمة النقب بصورة عامة ، ولكن هذا الهدوء النسبي المميز لهضبة الجرافي ينقلب في أقصى جنوب النقب إلى تشويش وتخلّع للأرض بعدد متزايد من الصدوع الصغيرة جنوب سهل العقفي وحوله أيضاً ، وتعود الأرض فترتفع لتشكل جبالاً وهضاباً ترتفع إلى متوسط قدره ٦٠٠-٦٥٠ متراً عن سطح البحر ، وتساير قممها الحدود الفلسطينية المصرية حيث ترتفع في جبل أمِّ قُفّ إلى ٨٦٣ متراً وفي جبل (أبو علاليق) إلى ٨٣٣ متراً ، ومن خط الحدود تتناقص الارتفاعات شرقاً لمسافة قصيرة حتى حافات هذه الجبال والهضاب التي تشرف بجروف قاسية ، وجوانب محددة بعدد كبير من الأودية العميقة القصيرة على منخفض وادي عَربة الجنوبي ، وسبخة طابا ، وكثيراً ما تكون هذه الجروف متتالية على شكل درجات واضحة في تضاريس المنطقة إلى أن تنتهي على ساحل

خليج العقبة بين المرشش [إيلات] ورأس طابا نقطة الحدود الفلسطينية المصرية على خليج العقبة)[١٠٦] وهكذا فالنقب صحراوي وشبه صحراوي في ظروفه الجغرافية الطبيعية التي تجعل منه امتداداً طبيعياً لصحراء شبه الجزيرة العربية وسيناء في الجنوب والجنوب الغربي من النقب[١٠٧].

ويمكن تقسيم النقب الجنوبي إلى منطقتين اثنتين وهما :

أولاً : هضبة الجرافي :

يطلق اليهود على هضبة الجرافي اسم هضبة فاران (Paran)[١٠٨] التي ذكرها (جورج بوست) في «قاموس الكتاب المقدس» (٢/١٤٦) بأنها من بَريَّة فاران بمعنى موضع المغائر[١٠٩] وقد دُعِيتْ باسم الجرافي نسبة إلى وادي الجرافي الذي يخترقها من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي ، ويبلغ عرضها نحو ٣٠ كيلاً ويتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ متر (نحو ٢٠٠٠ قدم) عند الحدود المصرية و ١٠٠ (نحو ٣٧٠ قدماً) عند دخول الجرافي في وادي عَرَبَة)[١١٠] ومعظم أراضي الهضبة منبسط سهلي تتألف من صخور كلسية وفرنية[١١١] وهضبة الجرافي (تمتد في منطقة متسعة تبدأ في شبه جزيرة سيناء على ارتفاع نحو ٦٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، ثم تنحدر بالتدريج نحو الشمال الشرقي حتى تنتهي في سهل البها (على مشارق وادي عَرَبة) بحافة جبلية متقطعة ، لا يزيد ارتفاعها على مئة متر فوق سطح البحر ، وتحيط بها من الشمال أودية فالقية ، تطل عليها الهضبة بخط متقطع من الحافات الجبلية الوعرة يبلغ ارتفاعها النسبي ٤٠٠ ـ ٧٥٠ متراً وتفصل هذه الأودية بين هضبة الجرافي في الجنوب وبين أطراف كتلة الرمان (جبال عوريف) والمغارة وسماوة في الشمال وهضبة الجرافي عبارة عن سهل تحاتّيّ متموج قليلاً، تغطيه حمادات حصوية لا يفصلها سوى بقايا جبلية متقطعة متباعدة يتراوح ارتفاعها ٤٠٠ ـ ٦٠٠ متر فوق سطح البحر ، وأهمها جبل السناف (تصنيفيم) وجبل وادي (أبو حمضة) وجبل أم فروث ، (فاروت) وجبل الأبَيْرق ـ الخريج (بيرخ) وجبل أم بطمة (بسمت) وجبل القطّار (اراحوت) وجبل القَريق (ميشار) ويتكون سطح الهضبة في معظم الجهات من رواسب الحجر الرملي النوبي القارية ،

بينما تغطي صخور الحجر الجيري الطباشيري والمارلي الجزء الباقي منها ، وتقع القاعدة الصخرية تحت السطح مباشرة بل تظهر فوقه في بقع متفرقة من جبل الحُمرة على حدود سيناء ووادي المنيعية (تيمناع) في الوسط ويوجد وسط هذه المسطحات مشَبكة من الأودية الجافة أهمها وادي الجرافي (ناحال فران) أطول أودية النقب جميعاً (طوله حوالي ١٤٠ كيلاً وكثيراً ما يصل اتساع مجراه إلى نحو ثلاثة أكيال ، ورافده وادي أصيحر (ناحال تصيحور) الذي يجري في غوم العجرم ، وقد تكونت الأجراف الوعرة والحافات على جانبي وادي الجرافي في المجرى الأوسط ، وعملت روافده العديدة على جرف التربة من جهات واسعة ، كما يجري في الهضبة وادي اللحيانة (ناحال حيون) ورافده وادي العقفي (عوفدا) وينتهي هذا الوادي أيضاً في غور العجرم ثم إلى وادي العربة ، ويبلغ اتّساع مجراه أحياناً حوالي ستة أكيال وقد ملأته الرمال ، وتوجد في شمال الهضبة قاعة القريق (هاميشار)[١١٢] .

ثانياً : جبال ومرتفعات المرشش :

تمتد هذه المنطقة من البحر الأحمر نحو ٤٠ كيلاً (٢٥ ميلاً) شمالاً ويتراوح عرضها بين ٣ ـ ٦ كيلات (٢ ـ ٤ أميال) وترتفع التلال نحو ٩٠٠ متر عن سطح البحر[١١٣] وتتألف من مجموعة من الكتل الجبلية الصغيرة تقع في منطقة طولها حوالي ٣٤ كيلاً من خليج العقبة في الجنوب حتى جبال غضيان ـ المنيعة في الشمال ، وتصل بعض القمم الجبلية في ارتفاعها إلى ٨٠٠ ـ ٩٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وهي ذات سفوح وعرة شديدة الانحدار تحيط بها الأودية الخانقة[١١٤]، وتقترب هذه التلال من مرتفعات جنوب شرق شبه جزيرة سيناء ومنطقة الجبال الغربية السعودية المطلة على سواحل خليج العقبة الشرقي وكأنّها امتداد لهذه الجبال . . . ويبدو أن هذه السلسلة الجبلية كانت مغطاة بمياه البحر لفترة (جيولوجية) قصيرة ، ثم تعرضت للحركات الأرضيّة التي أدت إلى ما يدعى بالانهدام الأسيوي الأفريقي ، حيث ساعدت عمليات التَّعرية عن طريق وادي عربة وروافده على نحت السطح ، وإظهار الصخور النارية وتظهر الصخور

المتبلورة على السطح شمال المرشش بـ ٣٤ كيلاً ولكن هذا الامتداد يتميز بعرض ضيق يتراوح بين ٣ ـ ٥ أكيال وأن حطام الصخور التي شكلت طبقة (جيولوجية) قد التحمت بمادة (اسمنتية) متخذة ألواناً متعددة من الصخر الرملي النوبي الذي شكل دائرة أخرى حول صخور (الكمبري) الأسفل وتبدي الصخور الجوفية والمتحولة في تلال المرشش اختلافاً كبيراً بين (الجرانيت) الفاتح إلى (الديوريت) الداكن و(الإيابار) المخضر و(الدلولايت) السكني و(الكوارتز) القاسي ويؤثر المدى الحراري على تشظي الصخور حيث يزيد المدى الحراري السنوي على ٤٠° مئوية بينما يزيد المدى الحراري اليومي في الشتاء على ١٠° مئوية ، ويزيد في الصيف على ١٥° مئوية مما يؤدي إلى تقلص وتمدد الصخر ، ونتيجة حدوث هذه الظاهرة لفترات زمنيّة طويلة فإن سطح الصخر يأخذ بالتشقق والتشظي ، وتأخذ عوامل التّعرية وخاصة الريحية على إكمال دور تعرية هذه الصخور ، فنلاحظ تكون ترسبات من الحصا والرمل المختلف الأحجام تساقطت من على سفوح المنحدرات ، وغطت أقدامها ، ولكن الكميات المنقولة من هذه المواد إلى البحر قليلة ، وذالك لقلة كميات الأمطار التي تؤدي إلى نقلها إلى البحر)[١١٥] وأهم جبال ومرتفعات المرشش .

١ ــ نقب الحاج : الذي عرف تاريخياً باسم (عقبة أيلة) .

٢ ــ الرِّياحِيَّة . ٣ ــ المَصْري . ٤ ــ القُرَيْقَرَة .

٥ ــ أَمْ قُف . ٦ ــ المنيعيّة . ٧ ــ أم بُطْمة

٨ ــ الأَبَيْرق . ٩ ــ غِضْيان . ١٠ ــ السُّوَيْدِي . ١١ ــ حَنْدَس .

١٢ ــ أبو علاليق . ١٣ ــ الشّنانة . ١٤ ــ الرِّدّادِي . ١٥ ــ رَخَة .

وترتكز جبال المرشش على قاعدة (جرانيْتيّة) طفحية ومتحولة كثيراً ما تظهر على السطح في شريط يبلغ عرضه ٣-٥ أكيال كما توجد الصخور الجيرية الصلبة و(الدولوماثية) (الكامبرية) في منطقة صغيرة من وادي المنيعية وتحتوي الصخور

(الجرانيتية) على عدة أنواع من المواد المعدنية مثل (الكوارتز) و(الاورتوكليز) و(المايكا) إلا أن استغلالها غير اقتصادي كما توجد رواسب النّحاس في جبل غضيان ، وخام (المنغنيز) في وادي المنيعية بين تكوين (الدولومايت) وقد عملت التجوية الصحراوية الحادة والتعرية المائية على شق عدد من الأودية والفجوات في رواسب الحجر الرملي ، وأهم هذه الأودية وادي المصري (ناحال شلومو) ووادي السويدي (ناحال شيحوريت) ووادي العِمْراني (امرام) ووادي المنيعية (تيمناع) ونتج عن ذالك بعض الأشكال (المورفولوجية) الجذّابة مثل أعمدة سليمان وأعمدة العمراني (امرام) ورسبت المواد المنقولة في خوانق الأودية والمسطحات فأغلقتها كما غطى الجزء الباقي ومنها الحافات الصخرية الغاطسة في خليج العقبة ، وقد تخلف عن عوامل النحت عدد كبير من القمم الجبلية (الجرانيتية) المدببة والتلال الدائرية المخروطية ، وعدد كبير من الشقوق والمسطحات الصخرية المصقولة(١١٦).

(للبحث صلة) العقبة: راشد بن حمدان الاحيوي

الحواشي :

(١) أوراق عارف العارف المجموعة الثامنة: مأساة البدو في النقب وقطاع بئر السبع الصادر عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، تموز ١٩٧٣م/ بيروت/ لبنان ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ . مصطفى مراد الدباغ ط ٢/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م عن مطابع الجمعية العلمية الملكية ـ عمان ـ الأردن . ص ٤٥٩ ، موسوعة سيناء عدة مؤلفين عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ص ٢٨ .

(٣) بلادنا فلسطين ج ١ قسم ١ . مصطفى مراد الدباغ ط ٢/ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م . منشورات دار الطليعة بيروت لبنان ص ١٢٢ .

(٤) (٥) المصدر السابق ص ٣٩٢ ، حاشية ص ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق ج ١ ق ٢ ص ٤٥٩ .

(٧) أوراق العارف ص ٥ ـ ٦ .

(٨) تاريخ بئر السبع وقبائلها . عارف العارف عن مطبعة بيت المقدس ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ص ١٥٩ .

(٩) تقويم البلدان لأبي الفداء ص ١٠٩ .

(١٠) موسوعة سيناء ص ٣٠ .

(١١) الموسوعة الفلسطينية المجلد ٤ ط ١/١٩٨٤م ص ٤٩١ .

(١٢) معجم البلدان ياقوت الحموي . رسم جزيرة ، ومعجم ما استعجم للبكري .

(١٣) معجم البلدان ج ٢ رسم حجاز .

(١٤) معجم ما استعجم ج ٤ رسم مدين .
(١٥) الخطط المقريزية للمقريزي ج ١ عن دار صادر بيروت ص ١٨٨ .
(١٦) معجم البلدان ج ٤ رسم مدين .
(١٧) معجم ما استعجم ج ٤ رسم مدين .
(١٨) معجم البلدان ج ٤ رسم فلسطين .
(١٩) المصدر السابق ج ١ رسم ايله .
(٢٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي عن مكتبة خياط/ لبنان. ص ١٧٨ .
(٢١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ القسم الثاني صادر بمصر ص ١٩ .
(٢٢) معجم البلدان ج ١ رسم ايله .
(٢٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢ ص ١٩ .
(٢٤) المشترك وضعا والمفترق صقعا . رسم ايله .
(٢٥) تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها. نعوم بك شقير. مطبعة المعارف بمصر ١٩١٦م ص٢٠٠ .
(٢٦) معجم البلدان رسم الشراة .
(٢٧) موسوعة سيناء ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢٨) المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته . ادري ديفس + جون ريتشارد سون ط ١/١٩٨٥م . دار الكرمل عمّان ص ٢٧ مجلة صامد الاقتصادي سنة ٦ عدد ٥٠/٥١ ص ٨٦ .
(٢٩) بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .
(٣٠) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٠ ، وسنة ٥ عدد ٣٩ ص ١٢٢ ، بئر السبع حسن أبو سمّور صادر عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية/ ١٩٨٨م ص ٧ ، أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨م . قسطنطين خمار ص ٢٣٨ ، جغرافية فلسطين العسكرية . محمد الشاعر/ ١٩٧٠م ص ٩٣ . . . الخ .
(٣١) معجم البلدان ج ٢ رسم التيه، تقويم البلدان ص ١٠٩ ، الانتصار لواسطة عقد الامصار القسم الثاني لإبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي الشهير بابن دقماق تحقيق لجنة احياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة ببيروت ص ٥٤ .
(٣٢) تاريخ سيناء ص ١٩ .
(٣٣) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٣٤) حدود فلسطين د. محمد الديب/ ١٩٧٩م ص ١٠٤ .
(٣٥) المصدر السابق ص ١٠٦ .
(٣٦) المصدر السابق ص ١٠٨ .
(٣٧) المصدر السابق ص ١٠٨ .
(٣٨) المصدر السابق ص ١٠٦ .
(٣٩) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩١ .
(٤٠) تاريخ سيناء ص ٦١٢ ـ ٦١٣ .
(٤١) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩١ .
(٤٢) جغرافية فلسطين العسكرية ص ١٣٤ .
(٤٣) جغرافية الاستيطان رسالة ماجستير ج ١ صبحي يوسف عيد ص ٧٠ .
(٤٤) المدخل الشرقي لمصر . د. عباس مصطفى عمار القاهرة ١٩٤٦م ص ١٧٤ .

(٤٥) تاريخ سيناء ص ٢٠١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١١٥ وج ١ ق ٢ ص ٤٧٤ .
(٤٦) مقدمة لدراسة العشائر الأردنية . د. أحمد العبادي ط ١ ص ٣١٠ و ٣١٥ .
(٤٧) المصدر السابق ص ٣١٥ .
(٤٨) موسوعة سيناء ص ٢٩ - ٣٠ .
(٤٩) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ ، مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ .
(٥٠) رسائل بن غوريون ترجمة دينا عبدالحميد ط ١ ص ٧٤ .
(٥١) خليج العقبة ومضائق تيران . عبدالباري النجم ط ١ الوصل العراق ص ٨٠ .
(٥٢) رسائل بن غوريون ص ١١٠ .
(٥٣) المصدر السابق ص ١١٢ .
(٥٤) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٥٥) المصدر السابق ص ١٢٢ .
(٥٦) خليج العقبة ص ٦٩ .
(٥٧) رسائل بن غوريون ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٥٨) خليج العقبة ص ٧٠ .
(٥٩) رسائل بن غوريون ص ١٤٥ .
(٦٠) خليج العقبة ص ٧٠ .
(٦١) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٦٢) المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٧ .
(٦٣) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٦٤) المصدر السابق ص ٨٥ .
(٦٥) المصدر السابق ، مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ .
(٦٦) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٠٦ .
(٦٧) المجتمع البدوي في النقب ص ٧٦ .
(٦٨) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٦ .
(٦٩) المصدر السابق ص ٩٨ .
(٧٠) المجتمع البدوي في النقب ص ٧٥ .
(٧١) الارهاب الإسرائيلي . فرانتز شايدل . ترجمة محمد جديد . دمشق ١٩٧١ ص ١٢٦ .
(٧٢) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ .
(٧٣) تاريخ بئر السبع وقبائلها ص ١١ و ٢٨ .
(٧٤) مقدمة لدراسة العشائر الأردنية ص ٣١١ .
(٧٥) تاريخ سيناء ص ٣٥٩ .
(٧٦) المصدر السابق ص ٤٠٤ .
(٧٧) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ .
(٧٨) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٧٩) المصدر السابق سنة ٥ عدد ٣٩ ص ١٢٥ .

(٨٠) (٨١) المصدر السابق ص ١٢٥ .
(٨٢) المجتمع البدوي في النقب ص ٨ .
(٨٣) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٤ .
(٨٤) بئر السبع ص ٢٠ .
(٨٥) الموسوعة الفلسطينية ج ٤ رسم النقب ص ٤٩٣ .
(٨٦) المجتمع البدوي في النقب ص ٧ .
(٨٧) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٠ و ٧١ .
(٨٨) الموسوعة الفلسطينية ج ٤ رسم النقب ص ٤٩٣ .
(٨٩) عشائر الشام . أحمد وصفي زكريا . ط ٢ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م . ص ٢٣٦ .
(٩٠) تاريخ سيناء ص ٣٨٧ .
(٩١) عشائر الشام ص ٢٣٦ .
(٩٢) المجتمع البدوي في النقب ص ١٧ .
(٩٣) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٦ .
(٩٤) المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ .
(٩٥) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٦ .
(٩٦) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٥ عدد ١٣٩ ص ١٢٥ .
(٩٧) (٩٨) المصدر السابق .
(٩٩) المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ .
(١٠٠) موسوعة سيناء ص ٣٤ .
(١٠١) المجتمع البدوي في النقب ص ٧ .
(١٠٢) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٥٤ .
(١٠٣) جغرافية فلسطين العسكرية ص ١٣٤ .
(١٠٤) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٧٠ .
(١٠٥) المصدر السابق ص ٥٤ .
(١٠٦) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .
(١٠٧) المصدر السابق ص ٤٩٤ .
(١٠٨) من هنا وهناك . مصطفى مراد الدباغ ط ١ ١٩٨٦م المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ص ١٥ ، وجغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٢ .
(١٠٩) من هنا وهناك ص ١٥ .
(١١٠) المصدر السابق ص ١٣ .
(١١١) المصدر السابق ص ١٥ .
(١١٢) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢١ ـ ٢٢ .
(١١٣) من هنا وهناك ص ١٠ .
(١١٤) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٢ .
(١١٥) بئر السبع ص ٢٦ .
(١١٦) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

شاعر من القطيف :

علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي

الذين ترجموا هذا الشاعر نسبوه إلى البصرة ، وهكذا ينسب كثير من شعراء الجزيرة إلى البصرة ، كجرير والفرزدق وغيرهما ، ولكن نسب هذا الشاعر ومقطوعات من شعره توضح صلته بهذه البلاد .

هذا الشاعر هو علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي ، قال القفطي في «انباه الرواة»[1] : يتصل نسبه بعامر بن الحارث بن انمار بن وديعة من عبدالقيس ، ولد سنة ٥٢٤ بالبصرة وتوفي بها سنة ٥٩٩ ، له معرفة في الأدب والعروض ، وله في ذالك مصنفات ، وتصدر ببلدة البصرة ، وأقرأ الناس الأدب والحديث والعروض ، ونعم الشيخ كان ، فضلاً وثقة . وترجمه ياقوت في «معجم الأدباء» كما ترجم في مؤلفات أخرى ككتاب «خريدة القصر وجريدة العصر»[2] ومما جاء في الترجمة : شاب من أهل العلم وأصحاب (الحَدِيث) ، متوقّد الذكاء ، وله يد في علم العَروض والقوافي . كان خدم بـ (بغداد) سنة سبع وخمسين وخمس مئة ، فلمّا انحدرتُ ، في نيابة الوزير ، إلى (البصرة) في شوّال من السَّنَة ـ رافقني إليها ، وكنا نتناشد الأشعار ، ونتذاكر طُرَف الأخبار ، ومُدَّة مقامي بـ (البصرة) إلى أن خَرَجت منها ، في جُمادَى الآخرة سنة ثمان وخمسين ، ماكان يُخِلّ بمحاضرتي .

فمما أنشدني لنفسه ، أبيات له في ذمّ (تارُوتَ) جزيرةٍ بـ (البَحْرَيْن) عند كونه بـ (القَطيف) سنة أربع وخمسين وخمس مئة :

قـبّـح الله لـيـلتي ومَـبِـيـتي ... أتـلَوى للجـوع في (تـاروتِ)
ليس عنـدي سِوى ثيـابيَ شيءٌ ... مثل مَيْت قد حلَّ في تابُـوتِ
وحِصاني نِضْوٌ من الجـوع مثلي ... فـاقِـدٌ قَتَّـه كفـقـديَ قُـوتي

وأنشدني أيضاً مما كتبه إلى والدته ، وكتبت هي في جوابها ، وتَرِد في شعرها . ووالدته هي الفقيهة أمُّ علي الرشيدة ، بنت الفقيه أبي الفضل بن محمد بن علي بن المؤمل بن تمام التميمي المالكي ، كانت تعيش في البصرة ، وهي مؤدبة . وكان

ولدها الأديب علي العبدي يتردَّد إليَّ ، فقال لي : كنت غائباً عن والدتي في بعض أسفاري ، فكتبت إليها قصيدة طويلة :

سِيّانِ إنْ عذَرُوا فيكم وإنْ عـذَلُوا ... لأَنَّني عن هـواكـم لستُ أنتقـلُ
لا أكذِبُ الله ، مالي ـ غير حُبكُمُ ... والاستزادةِ من وجدٍ بكم ـ شُغُلُ
وليس في الناس لي ـ لو كان ينفَعكُم ... أَنْ تَعلَموا ذاك مني ـ غيركم أَملُ
أشتـاقكم ، ويـودي لـو يـواصلُني ... خَيالكُم، لـو بنـومٍ كنت أكتحـلُ
وقد صحِبْت أُناساً، واشترطت لكم ... قلبي، ويصحبهم جسمي وقد قَبِلُوا
قـلبي يمـيـلُ إليكم دونَ غَـيـرِكُمُ ... وإنْ صدَدْتُم، وإنْ صافَوْا وإنْ وصَلُوا
وربَّمـا قـلتُ لـلواشي إليَّ بِـكُـمْ: ... هم الأَحِبَّة إنْ جاروا وإنْ عـدَلُـوا
صِلوا، وصُدوا، وجُوروا، واعدلوا، وقِفُوا ... عـما أحِب، فعنـدي بعـد مُحْتَمـلُ
مهـما فعلتم فـمحمـولٌ ومغتفـرٌ، ... ومـا أمـرتـم فمسمـوعٌ، ومُمْتَثَـلُ

قال: فأجابت والدتي عنها بقصيدة منها :

لـولا الأماني والتَّسْـويف والأمَلُ ... مـاكان يكنفني سهـلٌ ولا جَبَلُ
وكلما اشتـد بي نـارٌ تُعَـذبِني ... فليس إلا دمـوع العين تَنهمـلُ
وقـد تعلَّلْتُ أسبـابـاً لـرؤيتكم ... فكيف بي وبكم إن فاتتِ العِلَلُ؟
أَهْذي بِكُمْ حَسْب، ماأحيا؛ فإن حضَرَتْ ... مني الـوفاةُ وأوفَى دُونيَ الأَجَـلُ

ناديتُ: لا تأخذوا ثأري بهم هبةً ... هُم الأَحبة إن جاروا وان عَدلُوا
قد ضاع لُبّي، وهامت همَّتي ولَهاً ... ياغايةَ السُّؤل قد ضاقت بيَ الحِيَل
لأُظهِرنَّ هوىً قد كنت أكتُمُه، ... فليس لي في هوى أمثالِكم خجلُ

قال : ولها أيضاً جواب شيء كتبته إليها ، فأجابت :

وَصَـلَ الكتـاب وسِره وضميـرُهُ ... فـظَللتُ أسْرحُ نـاظري وأدِيـرُه
.. فيما تضَمنه، لأجلو ناظري ... وأقـول: يامَنْ عَـز فيه نـظيـرُهُ

بأبي وأمي ما اشتكيتَ من الأسى فاشتدَّ في قلبي، فُدِيتَ، زفيرُهُ

ومنها :

فسَلِ المُتَيَّمَ بَعْدَ بُعْدِ ديارِكم من غير سوءٍ: كيف كان مصيرُهُ؟
كلفتُه، صَدًّا وبُعْداً عنكم، أمراً يَهُدُّ قُوَى الجبالِ عَشِيرُهُ
يامَن تأمر في الفؤاد تحكُّماً ماذَلَّ من كان الجمالَ أميرُهُ
ماكان تأخيرُ الجواب تثبُّطاً لا، بل لأسباب جرتْ تأخيرُهُ

قال : وكتبتْ إليَّ أيضاً ، وأنا بـ (البَحْرين) من قصيدة :

تحية ربي كل يوم مجددٍ على رَبْعِ ذاتِ الخالِ ماهبتِ الصبَّا
إذا كنتم في الرَّبْع قَرتْ بقربه، وقلت له: يارَبْع (مَيَّةَ) مرحبا
ولا مرحباً بالربعِ لستم حُلُولَه ولو كان مُخْضَل الجوانبِ مُعْشِبا

ومنها :

صَبَوت إليكم غيرَ طالبِ ريبةٍ، ولا غَرو إنْ قال العَواذل: قد صبَا
وأَلْفتُ بين الشوقِ والصَّبرِ عَنكُمُ فما اجتمعا، بل كان شوقُك أغلبا
ولما سألت القلبَ سلوةَ حُبكم، وشاورتُه فيما أُحاوِله، أبى!

ومنها :

وما استطعمتْ نفسي طعاماً بلذة ولا استعذبتْ من بعد بُعْدِك مَشْرَبا
فيا منتهى الآمالِ، يا منتهى المُنَى أُرددُها حتى أَهِيمَ وأَطْرَبا
تَوخَّي كتابي، وابْعَثي لي رسالةً كتاباً بليغاً عن كتابك مُعْرِبا

وأنشدني أيضاً لوالدته (الرشِيدة) هذه، من قصيدة أولها :

عُوجا على أرضهم غداً، ولِجا والْتَمِسا لي من حبهم فَرجا
ثُم اسألا عنهم الدِّيار، عسى تُظْهِرُ لي من جوابها حُجَجا

ومنها :

لا تمدَحْنَ غيرَ من تُجَرِبُهُ فرُبما يستحقُ منك هِجَا

فكم دخيلٍ بغيرِ معرفةٍ غير عليمٍ بأنّه خَرَجا
واصْبِر لصَرفِ الزَّمان محتسِبا بما طواه الزمان وانْدَرجا
لا تُؤكَلُ القِدر غيرَ ناضجةٍ وجادَ أكلُ الطعام إنْ نَضِجا

ولها أنشدني ولدها علي العبدي :

تضايقتِ الأمور، فَدَتْكَ نفسي بلا شكوى، ويُوشِك أن تَضيقا
إذا أعياك أمرٌ في مهمٍ، ولم تلحقْ لمخرجه طريقا
فثِقْ بالله فارجِ كل هَمٍ، وسَلْ من بَعْد ذالِكم الصَّديقا

وأنشدني أيضاً ولدها علي لها :

دَعْ سالفَ الأمواتِ، لا تَبكْهِم وابْكِ على نفسك ياجاهلُ!
ماأنت بالخالد من بعدهم، أنت على آثارهم راحلُ!

وأنشدني لها ولدُها مَرثِيَةً:

أقولُ، ولم أبلُغ نهاية فضلها: بكاك، ويبكي الوالدُ المتندِمُ
تشيرُ، فلا يَعْيا الصَّواب برأيها يَعِزُّ علينا كيف تُنسَى وتعدمُ
وإن تَك قد ماتت، لنا أُسوةٌ بمَنْ مضى قبلَها فيما يُظَن ويُعلَمُ
و(فاطمة الزهراءُ) بنت (مُحَمَّد) عليها سلامُ الله ماتت، و(مَرْيَمُ)

انتهى مافي «الخريدة» ويظهر أن مؤلفها العماد الأصفهاني استقى معلوماته عن شاعري القطيف اللذين تقدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُمَا[٣] قد تلقاها عن هذا الشاعر، وقد صرح بذالك في مواضع عند ذكر ترجمتها .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) ٢٤٢/٢ .
(٢) «خريدة القصر وجريدة العصر» المجلد الثاني - الجزء الرابع - ص ٦٨٣ قسم العراق .
(٣) انظر «العرب» س ٣ ص ٣٧٩ .

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٦٢ ـ

٢٧٧ ـ بَابُ حَفِيْرٍ ، وحُفَيْرٍ ، وَجَفِيْرٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْحِ الحاءِ وكَسْرِ الفَاءِ ـ : نَهْرٌ بالأُرْدُنِّ ، نَزَلَ عِنْدَهُ النُّعمَانُ بْنُ بَشِيْر ، قَالَهُ ابْنُ حَبِيْب ، وقَالَ النُّعْمَانُ :

إِنَّ قَيْنِيَّةً تحلُّ مُحِبًّا فَحَفِيْراً فَجَنَّتَيْ تَرْفُلَانِ

وقَالَ الأَزْهَرِيُّ : حَفِيْرُ وَحَفِيْرَةُ اسْمَا مَوْضِعَيْنِ ذَكَرَهُمَا الشُّعَرَاءُ القُدَمَاءُ .

وَاسْمُ بِئْرٍ بِمَكَّةَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وحَفَرَتْ بَنُو تَمِيْمٍ (؟) الحَفِيْرَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

اللهَ سَخَّرَ لَنَا الحَفِيْرَا بَحْراً يَجِيْشُ مَاؤُهُ غَزِيْراً

وأَيْضاً : مَاءٌ لبني الهُجَيْم كانَتْ به وَقْعَةٌ .

وأَيْضاً : مَوْضِعٌ بالشَّامِ في دِيَارِ بَلْقَيْنْ[٢] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ، (بَابُ حَفِير ، وحُفَيْر ، وحَقِين) .

(٢) قال نَصْرٌ ، أما بِفَتْحِ الحاءِ وكَسْرِ الفاءِ : مَوْضِعٌ في دِيَارِ بَلْقَيْنَ منَ الشَّامِ ، ومَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ ، وَمَاءُ لِغَطَفَانَ ، كَثِيْرُ الضِّيَاعِ ، وقيل : أَوَّلُ مَنْزِلٍ منَ البَصْرَةِ إلى مَكَّة ، وقِيلَ : بضَمِّ الحاءِ وفَتْحِ الفاءِ ، انتهى . وَقَالَ في «معجم البُلْدان» الحَفِيرُ ـ بالفَتْحِ ثُمَّ الكَسْرِ ـ : وهُوَ القَبْرُ في اللُّغة ، وهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مكَّةَ والمَدِيْنَة . . وقِيْلَ الحَفِيرُ والحَفَرُ مَوْضِعَانِ بينَ مَكَّة والمَدِيْنَة ، وعَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ : بَيْنَ مَكَّةَ والبَصْرَةِ ، وأَنْشَدَ :

قَدْ عَلِمَ الصُّهْبُ المَهَارِي والعِيْسْ النَّافِخَاتِ في البُرَى المَدَاعِيْسْ
أَنْ لَيْسَ بَيْنَ الحَفْرَيْنِ تَعْرِيْسْ

ثُمَّ أَوْرَدَ الحَمَوِيُّ مَاذَكَرَهُ الحازميُّ ونَصَّ إلاَّ أَنَّهُ أَضَافَ عَنِ النَّهْرِ الذي بالأُرْدُنِّ : بالشَّامِ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي القَيْنِ بْنِ جَسْرٍ . وزَادَ على ماذَكَرا : والحَفِيرُ أيضاً : ماءٌ بالدَّهْنَاءِ لبني سَعْدِ بْنِ زَيْد مَنَاة ، عَلَيْه نُخَيْلاتٌ لَهُمْ ، وحَفِيْرُ العَلَجانِ ـ والعَلَجانُ بالتَّحْرِيْك نَبْتٌ بالبَادِية ـ : ماءٌ لبَنِي جَعفَرِ بْنِ كِلاَب ، وحَفِيْرُ أيضاً : =

وأَمَّا الثَّاني : بِضَمِّ الحَاءِ وفَتْحِ الفَاءِ ـ : مَنْزِلٌ بَيْنَ ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ ، يَسْلُكُهُ الحَاجُّ(٣).

= قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : حَفِيْرٌ وحَفِيْرَةُ مَوْضِعَانِ ذَكَرَهُمَا الشُّعَرَاءُ القُدَمَاءُ في أَشْعَارِهِمْ ـ ثم أَوْرَدَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : وحَفَرَتْ بَنُو تَمِيْمٍ (؟) الحَفِيْرَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

قَدْ سَخَّرَ اللهُ لَنَا الحَفِيْرَا بَحْراً يَجِيْشُ مَاؤُهُ غَزِيرَا

وَقَالَ : والحَفِيْرُ أَيْضاً : مَاءٌ لِبَنِي الهُجَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيْمٍ كانَتْ عِنْدَهُ وَقْعَةُ حَفِيْرٍ . وحَفِيْرُ زِيَادٍ عَلَى خَمْسِ لَيَالٍ مِنَ البَصْرَةِ وأَوْرَدَ فِيْهِ شِعْراً لِلْبُرْجِ بْنِ خِنْزِيْرٍ التَّمِيْمِيِّ ، وكَانَ الحَجَّاجُ قَدْ أَلْزَمَهُ البَعْثَ لِقِتَالِ الأَزَارِقَةِ مَعَ المُهَلَّبِ فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى الشَّامِ وقال ـ في شعره الذي أَوْرَدَهُ :

وَمَاذَا عَسَى الحَجَّاجُ يَبْلُغُ جُهْدَهُ إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيْرَ زِيَادِ

وفَرَّقَ البَكْرِيُّ في «معجم مااسْتُعْجِم» بَيْنَ حَفِيرٍ والحَفِيرِ فَقَالَ عَنِ الأَوَّلِ : حَفِيرٍ . . مَعْرِفَةٌ لاَ تَدْخُلُهُ الأَلِفُ واللاَّمُ ـ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ بالحِيْرَةِ ـ وأَوْرَدَ الشَّوَاهِدَ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِ الأَخْطَلِ وَعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وغَيْرِهِما ثم قَالَ : الحَفِيرُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ عَلَى وَزْنِ فَعِيْلٍ ـ : هُوَ حَفِيْرُ زِيَادٍ في أَقْصَى حُدُوْدِ البَصْرَةِ ، وأَوْرَدَ شَاهِدَهُ بَيْتَ البُرْجِ ، مَنْسُوباً إِلَى الفَرَزْدَقِ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ عن الحُفَيْرِ : وبالضَّمِّ أيضاً : مِنْ مَنَازِلِ الحَاجِّ عَلَى طَرِيْقِ المَدِيْنَةِ ، بَيْنَ ذِيْ الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ ـ انتهى وقَالَ الحَمَوِيُّ في «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» : الحُفَيْرُ ـ بالتَّصْغِيرِ ـ : مَنْزِلٌ بَيْنَ ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ يَسْلُكُه الحاجُّ . والحُفَيْرُ ـ أيضاً ـ : مَاءٌ لِبَاهِلَةَ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ البَصْرَةِ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ ، يَبْرُزُ الحاجُّ مِنَ البَصْرَةِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ المُنْجَشانِيَّةِ ثَلاَثُونَ مَيْلاً . وقال الحَفْصِيُّ : إِذَا خَرَجْتَ مِنَ البَصْرَةِ تُرِيْدُ مَكَّةَ فَتَأْخُذُ بَطْنَ فَلْجٍ فأَوَّلُ ماءٍ تَرِدُهُ الحُفَيْرُ قَالَ بَعْضُهُمْ :

ولَقَدْ ذَهَبْتُ مُرَاغِماً أَرْجُو السَّلاَمَةَ بِالحُفَيْرِ
فَرَجَعْتُ مِنْهُ سَالِماً وَمَعَ السَّلاَمَةِ كُلَّ خَيْرِ

والحُفَيْرُ ـ أَيْضاً ـ : مَاءٌ بِأَجَإٍ ، يَقُولُ فِيْهِ شَاعِرُهُم :

إِنَّ الحُفَيْرَ مَاؤُهُ زِلاَلْ أَبْحَرَهُ تَرَاوُحُ الرِّجَالْ

يعني تَرَاوُحَهُمْ في حَفْرِه .

وَقِيلَ : هُوَ مَاءٌ لِبَنِي فَرِيْرٍ من طَيِّءٍ .

وبَيْنَ الحُفَيْرِ والنُّخَيْلَةِ والمَغْنِيَّةِ ثَلاَثَةُ أَمْيَالٍ . انتهى كَلاَمُ يَاقُوتٍ الحَمَوِيِّ .

الأَصْلُ في أَسْمَاءِ المياهِ والمَوَاضِعِ الَّتِي تَقَدَّم ذِكْرُهَا اشْتِقَاقُهَا مِنَ الحَفْرِ : حَفَرَ البِئْرَ فهِي حَفِيْرٌ ، بِمَعْنَى مَحْفُور ، ثُمَّ تُوُسِّعَ في إِطْلاَقِ الاسْمِ عَلَى المَوْضِعِ الَّذي جَرَى فيه الحَفْر ، وصُغِّرَ ما كَانَ مِنَ المَحْفُور صَغِيْراً ، ومَعَ كَثْرَةِ الاستعمالِ أَصْبَحَ عَلَماً لِمَاءٍ عِدَّةٍ ، ومِنْ أَشْهَرِهَا مِمَّا كَانَ واقِعاً عَلَى طُرُقٍ يَكْثُرُ سُلُوكُهَا أَوْ وَرَدَ في الشِّعْرِ ، ومنها : النَّهْرُ الذي في الأُرْدُنِّ في بلادِ بني القَيْنِ القَبِيلة القُضَاعيَّة الَّتي كانَتْ بِلاَدُها عِنْد ظُهُورِ الإِسْلاَمِ فِيْمَا بَيْنَ شَمَالِ الحِجَازِ ، إِلى أَطْرَافِ الأُرْدُنِّ فَوادِي السِّرْحَان ، وَوَرَدَ في شِعْرِ النُّعْمَانِ بْنِ =

وأَمَّا الثَّالِثُ : أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ فَاءٌ مَكْسُورَةٌ ـ : مَوْضِعٌ فِي الشِّعْرِ :

= بَشِيْرِ الأنصاريِّ الصَّحابيِّ الجَلِيْلِ المَوْلُود في السَّنة الثَّانية مِنَ الهِجْرة ، المتوفَّى سَنة خَمْسٍ وستِّيْنَ ، وتَرجَمَتُهُ مُفَصَّلَةٌ في كُتُب الصَّحَابَة ، «الإسْتِيعَاب» و«الإصَابَة» و«أُسْدُ الغابَة» وغَيْرها . ويظهَر أنَّ الحفيرَ هَذا بِقُرب مَعَانٍ فقَدْ عَدَّهُ صاحِبُ «المناسِكِ» المَرْحلة الأخِيْرة من الزَّرْقاءِ إلَى مَعان : الزرقاء ، القسطل ، بالعة ، الحَفِير مَعَان ـ ص ٦٥٣ ـ ويلاحظُ أنَّ صاحِب «مُعجم البلدَان» جَعَلَ النَّهْر الَّذي في الأُرْدُنِّ ، والمَوْضِع الذي في بلاد بَنِي القَيْنِ واحِداً والحازِميُّ فَرَّقَ بَيْنَهُما ، مَعَ اسْتِشْهَادِهِ عَلَى النَّهْرِ بِقَولِ النُّعمانِ الَّذي نَصَّ عَلَى أنَّ القَيْنِيَّةَ نَخْلُهُ ، مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ عَدَمُ التَّفْرِيقِ ، والتَّوسُّع بإطْلاَق اسْم النَّهْرِ عَلَى المكانِ الَّذِيْ بِقُرْبِهِ وقَوْلُ الأَزْهَرِيِّ وَرَدَ بِنَصِّه في كِتَابِهِ « تَهْذِيبِ اللُّغةِ » ـ ج ٥ ص ١٦ .

أَمَّا البِئْرُ الَّتِي بِمَكَّة فَهِيَ لِبَنِي تَيْم بْنِ مُرَّةَ بن كَعْب القَبِيْلةِ القُرَشِيَّة الَّتِي مِنْهَا أَبُو بَكْر الصِّدِّيْقُ ـ رَضِي الله عنه ـ وتَصْحِيفُ الاسْمِ (تَيْم) إلى (تَمِيم) وَقَعَ فى مَخْطُوطَة كتَاب الحازِميِّ الأولى ومَطْبُوعَةِ كِتَابِ «مُعْجَم البُلْدان» والخَلَلُ في صَدْرِ الرَّجَزِ وَقَعَ في كِتَابِ الحَازِمِيِّ ومِثْلُهُ في «أَخْبَار مَكَّة» للفاكِهِيِّ ـ ١٠٨/٤ ـ وفيه : وحَفَرَتْ بَنُو تَيْمٍ الحَفِيْرَ ، وَهِي بِئْرُ عبدالله بْنِ جُدْعَانَ بمكَّة ، وسَاقَ الخَبَرَ إلَى أَبِي عُبَيْدة ، وفيه : الله سَخَّر لَنَا الحَفِيرا ـ الخ ـ وَلَكِنَّ صَاحِبَ «معجم البلدان» أَوْرَدَهُ مُسْتَقِيماً : قَدْ سَخَّرَ الله لنا الحفيرا ـ الخ ـ وفي «فُتوح البُلدان» لِلْبَلاَذُرِيِّ : نَحْنُ حَفَرْنَا بِئْرَنَا الحَفِيْرَا ـ البَيْتَ ـ ولَكِنَّ البَلاَذُرِيَّ أَغْرَبَ حِيْنَ قَالَ : وحَفَرَتْ بَنُو عَدِيٍّ الحَفِيْرَ . ورِبَاعُ بَنِي تَيْمٍ كانَتْ تَقَعُ عَلَى فُوهَتَيْ سُكَّتَيْ أَجْيَادَيْنِ الكَبير والصَّغير ـ «أخبار مكة» للأزرقي ج ٢ ص ٢٥٧ ـ وآبارُ مَكَّةَ دَرَسَتْ سِوَى زَمْزَمَ .

والمِيَاهُ والمَواضِعُ الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ الحُفَيْر ـ تَصْغِيْر الحَفِيْر ـ كَثِيرَةٌ مِنْ أَشْهَرِهَا :

١ ـ المَنْزِلُ الَّذِي بَيْنَ الحُلَيْفَةِ ومَلَل ، وقَدْ حَدَّد المُتَقَدِّمُونَ مِنَ العُلَمَاءِ المسَافَةَ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ بِستَّةِ أَمْيَالٍ «المناسِكِ» ص : ٤٤٠ ـ أَيْ بِنَحوِ ٢٥ كِيْلاً ، والحُلَيْفَةُ مَحَلُّ الإحْرَامِ مِنَ المَدِيْنَةِ ويُعْرفُ بِآبَارِ عَلِيٍّ ، ومَلَلُ وادٍ لاَ يَزَالُ مَعْرُوفاً .

٢ ـ وَالحُفَيْرُ ـ الَّذي بِقُرْبِ البَصْرَةِ مَعَ الاخْتِلاَفِ في ضَبْطِ اسْمِهِ ـ هُوَ أَوَّلُ المَنَازِل في البَرِّ مِنَ البَصْرَة ، والمَسَافَةُ بَيْنَهُما ثَلاَثُونَ مِيْلاً ـ عَلَى مَا في كتاب «المناسك» ـ ٥٧٦ ، ٦١١ ـ أَمَّا قَوْلُ صَاحِبِ «مُعجَمِ البُلْدان» المُتَقَدِّم فَأَوْضَحَ مِنْهُ وأَدَقُّ في التَّحْدِيْدِ مَاجَاءَ في كتاب «المناسِكِ» ـ ٥٧٥ ـ ونَصُّهُ : المَنْجَشَانِيَّةُ أَوَّلُ مَنَازِلِ البَصْرة . . عَلَى ثمانية أَمْيَالٍ منها وهي مُتَبَرَّزُ النَّاسُ وبها يَجْتَمِعُونَ ، والرَّبْوَةُ عَلى اثْنَي عَشَرَ مِيْلاً مِنَ المَنْجَشَانِيَّةِ ، وَهي على ثَمانية أَمْيَالٍ مِنَ الحُفَيْرُ. فَالحُفَيْرُ ـ عَلَى طَرِيق المنجشَانيَّة يَبعُدُ عَنِ البَصرة (٨ + ١٢ + ٨ = ٢٨ مِيْلاً) وقَالَ في «المناسك» أَيْضاً : ـ ٥٧٦ ـ : الحُفَيْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ البَصْرَةِ في البَرِّ ، مِنَ البَصْرَةِ إلى الحُفَيْر أَحَدٌ وثلاثُونَ مِيْلاً والميلُ الأَوَّلُ مَسْجِدُ البَصْرة . انتهى .

فصاحِبُ «مُعجم البُلدان» عَكَسَ الأَمْرَ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ ، فَجَعَلَ الحفير هُوَ الَّذي يَلِي البَصْرَة ، وجَعَلَ المنْجشانِيَّة على ثلاثين مِيْلاً مِنْهُ (٣٤ مِيْلاً مِنَ البصرة ، على أَنَّهُ في رَسْمِ المَنْجشَانِيَّةِ نَقَلَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاَءِ : كَانَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُود الشَّيْبَانِيُّ على الطَّفِّ مِنْ قِبَلِ كِسْرَى ، فَهُوَ اتَّخَذَ المَنْجشانِيَّة عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ البَصْرة ، وجَرَت عَلَى يَدِ عُضْرُوطٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ مَنْجَشَانُ فَنُسِبَتْ إلَيْهِ . انتهى .

والحُفَيْرُ الماءُ الَّذي في أَجَإ أَصْبَحَ الآن قَرْيَةً أهلُها السَّلْمَانُ مِنْ سِنْجَارَةَ من شَمَّر مِنْ سُكَّانِ أَجإ القُدَماء .

وكَمَا سَبَقَتِ الإشارة عَن أَصْل التَّسْمِيَةِ الدَّال عَلَى كَثْرَةِ المُسَمَّياتِ بـ (الحَفْر) و(الحَفِير) و(الحُفَيْر) و(الحُفَيْرة) قَدِيْماً وحَدِيْثاً ، ولكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الآبَارِ القَدِيْمَةِ قَدْ غَارَتْ مِيَاهُهَا فَدَرَسَتْ وجُهِلَتْ مَوَاقِعُهَا .

عَفَا رَبْعٌ بِرَامَةَ فَالتِّلَاعِ فَكُثْبَانِ الجَفِيْرِ إلَى لُفَاعِ

قال أَبُو عُبَيْدَةَ: والشِّعْرُ لِسَهْمٍ ، وقِيْلَ لِبَشْرِ بْنِ أَبِي خازِمٍ(٤).

---

(٤) الجَفِيْرُ : ـ لَمْ يَذْكُرْهُ نَصْرٌ في البَابِ ، وقَالَ يَاقُوتُ في «مُعْجَمِ البُلْدان»: جَفِيْرٌ ـ بِالفَتْحِ وَالكَسْرِ وياءٍ سَاكِنَةٍ وَرَاءٍ : مَوْضِعٌ في شِعْرِ حُجْرِ المَلِكِ آكِلِ المُرَارِ ، قَالَ :

لِمَنِ النَّارُ أَوْقَدَتْ بِجَفِيرِ لَمْ يَنَمْ عَنْكَ مُصْطَلٍ مَقْرُوْرِ

في أَبْيَاتٍ وقصَّةٍ عَجِيْبَةٍ ذَكَرْتُها في أَخْبَارِ امْرِئِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ، مِنْ كِتَابِي في أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : الجُفَيْرُ : ـ تَصْغِيْرُ الجَفْرِ ـ : قَرْيَةٌ بالبَحْرَيْنِ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ القَيْسِ . انتهى وانظر عن هذا الاسم (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» .

وَفِي «معجم مااسْتُعجم» : الجَفِيْرُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ فَعِيْلٌ من لَفْظِ الَّذي قَبْلَهُ (جفار) مَاءَةٌ مَذْكُورَةٌ في رَسْمِ ضَرِيَّةَ في مَوْضِعَيْنِ . وفي رسْمِ ضَرِيَّة وَرَدَ الاسْمُ في مَطْبُوعَةِ الكتابِ (الحفير) والحاء غير معجمة ـ في مَوْضِعَيْنِ أَحَدُهُمَا عِنْدَ ذِكْرِ أَمْوَاهِ بني أَسَدٍ الدَّاخلة في حِمَى ضَرِيَّة ـ ٨٦٤ ـ والثَّاني : عَدَّهُ مِنْ مِيَاهِ فَزَارة ـ ٨٦٩ ـ ولَم يُوْرِدْ شِعْراً . وَالبَيْتُ الَّذي أَوْرَدَهُ الحازِميُّ وَرَدَ في دِيْوَانِ بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ الأَسَدِيِّ ـ ١٠٩ ـ :

عَفَا رَسْمُ بِرَامَةَ فَالتِّلَاعِ فَكُثْبَانِ الحَفِيرِ إلى لُقَاعِ

ـ والحَاءُ مُهْمَلَةٌ في مَطْبُوعَةِ الدِّيوانِ ، ولكنَّها وَرَدَتْ مُعْجَمَةً في بَيْتٍ آخرَ لِبَشْرٍ في دِيْوَانِهِ ـ ٩٤ ـ :

عَفَتْ أَطْلَالُ مَيَّةَ بالجَفِيرِ فَهَضْبِ الوَادِيَيْنِ فَبُرْقِ إِيْرِ

وَوَرَدَ هذا البَيْتُ في «معجم مااستعجم» رَسْم إير : . . . مِنْ حَفِير وَلَا أَدْرِي سَهْماً هذا الَّذي نَسَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَيْهِ البَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الهُذَلِيَّ ـ سَهْمَ بْنَ أُسَامَةَ ـ وَلَيْسَ في شِعْرِهِ الوَارِدِ في « شرح أَشْعَارِ الهُذَلِيِّيْنَ » ، ومارأى اسْمَ الجَفِيرِ إِلَّا تَصْحِيفَ (الحَفِيْرِ) مَالَمْ يَرِدْ نَصٌّ مُحَقَّقٌ في ضَبْطِهِ ضَبْطاً لَا يَحْتَمِلُ اللُّبْسَ .

(٥) حَفِيْنُ : زَادَهُ نَصْرٌ وَقَالَ في تَعْرِيْفِهِ : وَمَا بَعْدَ الحَاءِ المَفْتُوحَةِ قَافٌ ثُمَّ يَاءٌ ثُمَّ نُونٌ ـ : مَنْهَلٌ بِبَطْنِ الخَالِ مِنْ أَنُوفِ مَخَارِمِ جُفَافٍ ، لِطُهَيَّةَ مِنْ حَنْظَلَةَ . انتهى . وَنَقَلَهُ صَاحِبُ «تاج العَرُوس» عَنْ نَصْرٍ ، وَلَمْ يَزِدْ . وأَوْرَدَ يَاقُوتُ هَذَا غَيْرَ مَنْسُوبٍ وأَضَافَ بَعْدَ طُهَيَّةَ ـ : نسبوا إِلَيْهَا : كذا ـ وطُهَيَّةَ مِنْ بَنِي مالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيْمٍ نُسِبُوا إلى أُمِّهِمْ . وَجُفَافٌ عَلَى مانَقَلَ يَاقُوتُ والبكريُّ عن السُّكَّريِّ عن مُحَمَّد بْن حَبِيب : أَرْضٌ واسِعَةٌ لأَسَدٍ وحَنْظَلَة ، فِيْهَا أَمَاكِنُ يَكُون الطَّيْر فِيْهَا فَنَسَبها جَرِيْرٌ إليها فَقَالَ : جُفَافَ الطَّيْرِ ، وعَدَّ ياقُوت الثَّعْلَبِيَّةَ مِنْ جُفَافٍ ، والثعْلَبِيَّةُ مَنْهَلٌ شَرْقَ الدَّهْنَاءِ في طَرِيقِ الحَجِّ الكوفيِّ القَدِيْمِ ، لايَزَالُ معْرُوفاً ـ انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» ـ والمخَارِمُ جَمْعُ مَخْرِمٍ ، وهي : أُنُوفُ الجِبَالِ ، والطُّرُقُ فيها وأَفْوَاهُ الفِجَاجِ .

جَنّاد وابن الجصّاص
وملاحظات أخرى

[انظر «العرب» س ٢٤ ص ٤٤٥]

أخي الفاضل : لقد رجعت بعد هذه الفترة إلى مجلتي الحبيبة « العرب » الغرّاء . أطالعها وأجول في رياضها النضرة ، ولطالما أمتعتنا بالممتع المفيد . ولفت نظري بعض الملاحظ في (ج ٧ ، ٨ ، س ٢٣ محرم/صفر ١٤٠٩هـ) ص ٤٤٥ فأحببت أن أرسلها لكم :

قلتم : قال أبو حاتم : ومما يُحْمَلُ على امرئ القيس من الشعر أكثر من الصحيح ، فنون المحمول (؟) عليه قال : أهل الكوفة مثل حماد وجُنادة وابن الخصاص » .

وقلتم تعليقاً على هذا الخبر ص ٤٧٨ ج ٧ .

كلمة (مثل) ليست واضحة . وجُنَادة قال عنه ياقوت في «معجم الأدبا» : جُنَادة بن واصل الكوفي : . . لاعلم له بالعربية ، كان يُصَحِّفُ ، ويكسر الشعر ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة . . من علماء الكوفة القدماء ، وكان كثير الحفظ ، في قياس حمَّاد الرَّاوِية . انتهى والجصاص ـ لم أميز اسمه هل هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل الضاد مهملة أو معجمة ، فَضْلاً عن معرفته .

وأقول : هو جَنَّادُ ـ بتشديد النون ، وبلا تاء ـ الكوفيّ الراوية .

جاء في «الفهرست» ١٤١ ، و«نور القبس» ٢٧٢ ، و«لسان الميزان» ٢/١٤٠ ، و«الوافي بالوفيات» ١١/١٨٩ ـ : جنَّاد بن واصلٍ ، الكوفيّ أبو محمد ، ويقال أبو واصلٍ ، مولى بني غاضرة من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية . وكان يُصَحِّفُ ، ويكسر الشعر ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة فيخلط

بعضها ببعض وهو من علماء الكوفيين القدماء ، وكان كثير الحفظ في رتبة حمّاد الراوية . وقال المرزباني : قال عبدالله بن جعفر ، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن علي الطوسي قال : ماكانوا يَشكّون بالكوفة في شعر ، ولا يَغْرُبُ عنهم اسم شاعر إلّا سألوا عنه جَنّاداً فوجدوه لذالك حافظاً به وعارفاً على لحن كان فيه . وكان كثير اللحن جدًّا ، فوق لحن حماد ، وربما قال من الشعر البيت والبيتين . وقال الثوري : اتّكل أهل الكوفة على حمّاد وجنّاد ففسدت رواياتهم من رجلين كانا يرويان ولا يدريان ، كَثُرتْ رواياتُهما وقَلَّ عِلْمُهما . علماً أن ياقوتَ الحَمَوِيَّ أورده في الجزء السابع ص ٢٠٦ من «معجم الأدباء» : ضمن رسم (٤٩ ـ جَنّادُ بنُ واصِلٍ الكُوفِيُّ) .

وانظر أيضاً «الفهرست» للنديم ، تحقيق رضا ـ تجدّد ـ ص ٥٠ و ١٠٤ .

وأما ابن الخَصّاص فهو ابن الجَصّاص الراوية ـ وهو بالجيم وليس بالخاء ـ وهو اسحاق بن عمار أبو يعقوب المعروف بابن الجصاص ، من موالي اليمن . كان صاحب عيسى بن موسى في أول الدولة ولم يزل معه ، وكان الناس يقرءون عليه الشعر في دار عيسى . ومات في آخر أيام المنصور وقال ابن الكلبي : ابن الجصاص الراوية مولى لبشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان . وقال غيره غير ذالك ، فاختلف في ولائه .

انظر «معجم الأدباء» ٧٤/٦ ، و«الوافي بالوفيات» ٤١٩/٨ ، و«إنباه الرواة» ٢٤٣/١ ، و١٤٧/٤ ، و«نور القبس» ٢٣٥ و٢٦٩ و٢٧٢ .

ـ وجاء في الصفحة نفسها أي ص ٤٤٥ :

(وقرأت عليه خمسة أبيات من واحدة على الباء، زعم أنها مما يحمل عليه ، وهي ثلاثون بيتاً أولها :

لِـمَـنِ الدِّيَارُ تَعَفَّتْ ذُو حُقُبْ ..... ». .

والصواب : [لمن الدَّار] حتى يستقيم وزن البيت . علماً أن رواية الديوان ص ٢٩٣ هي :

لِمنِ الـدَّار تَعَفَّتْ مُـذْ حِـقَبْ فجنُـوبُ الفَرْدِ أَقْـوَتْ فالخـرِبْ

ومنها أيضاً : (قال أبو عبيدة : ويُرْوَى لامرئ القيس قصيدة مصنوعة زعم الناس أنها لحَمَّاد ، أولها :

ذَكَـرْتَ نَفْسَـكَ مَـا لَنْ يَعُـودا فَهَـاجَ التَّـذَكُّـرُ قَلْبـاً عَمِيْـداً).

والبيت على هذا الشكل مكسور ومُخْتلّ الوزن إلا إذا كان مخروماً .

وروايته في الدِّيوان ص ٢٥١ هي :

أَأَذكَـرْتَ نَفْسَكَ مَـا لَنْ يَعُـودَا فَهَـاجَ التـذكُّـر قلبـاً عَمِيـداً

وفي الصفحة نفسها أيضاً :

أَبْلَغَ بَني زَيْـدٍ إذا مَـا لَقِيتَهُمْ وأَبْلِغْ بَني لُبْنَى وأَبْـلِغَ تُمَـاضِرَا

والبيت على هذا الشكل مختل الوزن مكسور .

والصواب :

أَبْلِغْ بَني زيـد إذا مَـا لَقِيتَهُمْ وأبلغ بَني لُبنَى وأَبْـلِغْ تُمَـاضِرَا

كما في ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣٤٨ .

وجاء في الصفحة ٥٦١ من مجلتنا الغرّاء :

(وأَمَّا الثَّاني : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ـ : بَلْدَةٌ مِنْ نَوَاحي طُوْسَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الفَضْلِ بْنُ الـمُظَفَّرِ بْنِ مَنْصُورٍ الخِيني ، ذَكَرَهُ الإِدْرِيْسِـيُّ في «تَارِيخ سَمَرْقَنْد» وَرَوَى عَنْهُ أَبْيَاتاً مِنْ شِعْرِه) .

ـ والصواب : هو أبو الفضل المُظَفَّرُ بن مَنْصُور الخيني .

وفي «الأنساب» ٥/٢٣٥ : « والمشهور بالنسبة إليها (الـخِيْني) أبو الفضل المظفر بن منصور الطوسي الخيني ، قال أبو سعيد الإدريسي : الفقيه أبو الفضل الطوسي من أهل خين ـ بلده من بلاد طوس ، سكن سمرقند ، وكان فقيهاً

فاضلاً أديباً شاعراً ، كتبنا معاً في الكتب ، وتفقه بسمرقند . . . وخرج من سمرقند قبل الثمانين والثلاثمائة ، وأقام بجرجان ، وتولى قضاء آبسكون وأوقاف أستراباذ ، وخرج منها إلى جبال طبرستان فمات بها ، كتب عنا وكتبنا عنه من الحكايات والأشعار ـ وانظر أيضاً «اللباب» ١/٤٧٩ ، و«تبصير المنتبه وتحرير المشتبه» لابن حجر العسقلاني ١/٣٠١ .

وفي الصفحة ٥٦٢ تكلمتم عن : عبدالرحمن بن محمد بن محمد الإدريسيّ السمرقنديّ الاستراباذي المؤرخ ، ومحدّث سمرقند . وقد ترجم له أيضاً : الذهبي في «السير» ١٧/٢٢ ، والسهمي في «تاريخ جرجان» ٢١٩ ، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/٣٠٢ ، وابن الجوزي في «المنتظم» ٧/٢٧٣ ، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٤/٢٣٧ .

وانظر أيضاً «اللباب» ١/٣٧ ، و«تذكرة الحفاظ» ٣/١٠٦٢ ، و«العبر» ٣/٩٠ ، و«البداية والنهاية» ١١/٣٥٤ ، و«شذرات الذهب» ٣/١٧٥ ، و«طبقات الحفاظ» ٤١٥ ، و«هِدْية العارفين» ١/٥١٥ ، و«الأعلام» للزركلي ٣/٣٢٥ ، وقد ترجم له أيضاً الزركلي في أعلامه ٤/١٢١ ضمن رسم (عبدالله ابن محمد الاستراباذي السمرقندي) . وهذا خطأٌ مَحْضٌ واضطرابٌ في الاسمين وهما واحد .

وسوف أزودكم بملاحظاتي الأخرى في رسائل أُخَر .

دير الزور ـ مروان عطية

عدي بن الرقاع وشعره

عَمَلُ الأُستاذين الجليلين الدكتورين نوري حَمُّودي القيسي ، وحاتِم صالح الضامن ، في جَمع شِعر عَدِيِّ بن الرِّقاع العاملي بما أضافاه إلى ديوانه ـ عملٌ أوفى على الغاية ، بتتبع المَظَانِّ والمصادر ، إلا أن التراث العربي بحرٌ لا ساحل له ، فهناك من المؤلفات مالا يزال مغموراً أو مجهولاً .

وقد سبق أن أشرتُ إلى أنَّ ما جمعه ثعلب في ديوان ابن الرقاع ليس كُلَّ شعرهِ ، كما يتضح مما ذيل به المحققان الفاضلان الديوان - «العرب» ٢٢/٨٤٩ - .

١ ــ وقد اطلعت مما لم يرد في الديوان على ثلاثة أبيات وردت في كتاب «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول ص ٢٧٥ - وأربعة أخرى في كتاب «حدائق الأدب» للأبهري ص ٢٠٣ ، وهذه الأبيات السبعة لاشك أنها مرتبطة بالأبيات الواردة في ذيل الديوان - ٥٩/٦٠ :

تَـودَّقَتْ شَمْسُهُ حتَى إذَا حَمِيَتْ منها ٱلْجَمَاجِمُ كادَتْ يَوْمَهَا تَقِفُ

والبيتان التاليان له .

وهاهي الأبيات الواردة في «مختصر جمهرة النسب» في الكلام عَلَى رَبيعةَ بن حصْنِ بن عَدِي بن كعب [من قبيلة كلب] كان شاعراً ، وابنه هَوْبَرُ بن ربيعة ، وله ولأخيه مُرَيٍّ بن ربيعة ولابن أخيهما فِراس يقول ابنُ الرِّقَاع :

فـما سَقاهَـا فِـرَاسٌ مِنْ رَكِيَّتِـهِ وَلَا بَنُو هَوْبَرٍ ما يَـمْـلأُ الصَّدَفُ
حَتَّى أَتَيْتُ مُـرَيًّا وَهْـوَ مُتَّكِـئٌ كَاللَّيْثِ يَغْشَاهُ دُونَ الْغَابَةِ السَّعَفُ
وَمَـالَـهُ مِنْ شَفِيْـعٍ غَـيْرُ طَلَّتِـهِ وغَـيْرُ أَبْنَـائِـهِ والْـخَـيْر يَـأْتَلِفُ

٢ ــ أما أبيات «الحدائق» ــ ١/٢٠٣ ــ فهي في وصف طلوع الأَنْوَاءِ وسُقُوطِها :

وأَبْصَرَ النَّـاظِـرُ الشِّعْـرَى مُبَيِّنَـةً لما دَنَا مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ
في حُمْرةٍ لَا بَيَاضُ الصُّبْحِ أَغْرقَهَا وقَدْ علا الليلُ عَنْهَا فَهْوَ مُنْكَشِفُ
تَهْلَهَـلَ اللَّيْلُ لَمْ يَلْحَقْ بِـظُلْمَتِهِ فَوْقَ النَّهارِ قَلِيـلًا فَهْيَ تَزْدَلِفُ
لَا يَيْأَسُ اللَّيْلُ مِنْهَا حِيْنَ تَتْبَعَـهُ وَلَا النَّهَـارُ بِهَـا لِلَّيْـلِ يَعْتَـرِفُ

وفي كتاب « حدائق الأدب » لم تنسب لعدي ولكن محقق الكتاب الدكتورَ محمد ابن سليمان السُّدَيْس نسبها له ، وأحال إلى كتاب «الأنواء» ١٣ و«الأزمنة

والأمكنة» ١/١٨٠ .

٣ ــ وفي كتاب «الحدائق» ١/٤٠ أيضاً ثلاثة أبيات ، نسبها المؤلف لابن الرِّقَاع وهي :

رَوْضَـةٌ ظـاهَـرَ الـرَّبِيـعُ ثَـرَاهـا ... بِـسُـيُـولٍ وَزَانَهَا الـنُّـوَّارُ
حُصِرَ النَّاسُ أَنْ يَنَالُـوا حِمَاهَـا ... وَأَرِبَّـتْ بِـرَوْضِـهَـا الأَمْـطَارُ
فَهْيَ حَـوَّاءُ تَكْتَسِي كُلَّ لَـوْنٍ ... زِيْـنَـةً كُـلَّمَا اسْـتَـقَـلَّ الـنَّـهَـارُ

٤ ــ وكان أستاذنا الدكتور حاتِم قد اطلع على ما تقدم فكتب بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٩هـ موضحاً أنه بصدد إعادة طبع الديوان وإضافة أبيات عثر عليها أخيراً من شعره ، منها قوله يهجو :

سواءٌ عَلَيْكَ القَفْرُ أَمْ أنتَ نازِلٌ ... بِأَهْلِ القِبَابِ منْ سُلَيْمٍ وَعَامِرِ

المصدر : «الدر الفريد وبيت القصيد» ٣/٣٦٨ .

٥ ــ ومنها ماجاء في كتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» ٢/١٦ : لما بنى الوليدُ مسجدَ الجامع بدمشق وفرغ حضره فصلى فيه ، ثم استقبل الناس بوجهه ، فأتاه عَدِيُّ بنُ الرِّقَاعِ الشاعر ، فَمثُلَ بين يديه وأنشأ يقول :

لَعَمْـرِي لَقَـدْ أَجْـرَى الإمـامُ لِغَـايَـةٍ ... مِنَ الفَضْلِ مَا أَجْرَى إلَى مِثْلِها مُجْرِي
أفـادَ بِهـا مَجْـدَ الحَيَـاةِ وذِكْـرَهَـا ... وأَبْقَى بِهَـا حَمْداً وفَخْراً إلَى فَخْرِ
فَـمَا مَسْجِـدٌ بَعْـدَ الثَّـلاَثَـةِ مِـثْلَهُ ... وَلَوْ طُفْتَ عَرْضَ الأَرْضِ قُطْراً عَلَى قُطْرِ
وَخُصَّ بِـأَبْهَى مِنْـبَرٍ بَـعْـدَ مِنْـبَرٍ ... بِـطَيْبَـةَ مَبْنِيٍّ إلَى جـانِبِ الْـقَـبْرِ
إذَا مَا الإمامُ استشْرَفَ النَّاسَ فَوْقَهُ ... تعـالَى أَعَالِي الجِسْمِ أبيضَ كَـالْبَدْرِ
إذَا قَـالَ لَمْ يَتْـرُكْ مقـالاً ولَمْ يَقِفْ ... لِعِيٍّ ولَمْ يُثْنِ اللِّسَـانَ عَـلَى هُجْـرِ
يُصَـرِّفُ بِالقَـوْلِ اللِّسانَ كَـمَا انْتَحى ... وَيَنْـظُرُ في أعـطَافِـهِ نَـظَرَ الصَّقْـرِ
وَإِنْ هُـزَّ لِلْمَعْـرُوفِ أَشْرَق وَجْهُـهَ ... وجَـادَ بِـعُـرْفٍ لا بَكِيْءٍ ولا نَـزْرِ

فقال الوليد : أَحسنتَ بارك الله عليك ، إنك لتسرُّنا وإنك أَهلٌ لِأَنْ تُسَرَّ ،

وأمر له بأربعة آلاف درهم .

٦ ــ جاء في «الدر الفريد» ٤/٢٢٤ مع البيتين الثالث والرابع من القطعة الـ (٣٥) في الصفحة ٢٦٦ بيتان هما :

بَكَتْ شَجْوَهَا تَحْتَ الدُّجَى فَتَنَاجَمَتْ إِلَيْهَا غروب الدمع مِنْ كلِّ مَسْجَمِ
أَمُوتُ لِشَكْوَاهَا أَسَىً إِنَّ لَوْعَتِي وَوَجْدِي بِسُعْدَى قاتِلٌ لِيَ فَاعْلَمِي

٧ ــ وفي كتاب «نسب معد واليمن الكبير» ص ٦١٨ تحقيق الدكتور ناجي حسن في الكلام على نسب ثُبَيْت بن هبيرة الكلبي : وثُبَيْتُ بن رَبيعَة بن هبيرة الذي يقول له ابن الرقاع :

ولاَ تَنْتَهِي حَتَّى تُبَلِّغَ مدْحَتِي ثُبَيْتاً رَمَاد النَّارِ كالوَزَعِ الأَشَبّ

وقال صاحب «التاج» ـ رسم (رقع) ـ : عدي بن الرقاع الشاعر فيه يقول الراعي يهجوه :

لو كنت من أحد يُهْجَى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

نقله الجوهري والصاغاني . قلت : وقد أجابه ابن الرقاع بقوله :

حدثت أن رويعي الابل يشتمني والله يصرف أقواماً عن الرشد
فإنك والشعر ذو تزجي قوافيه كمبتغي الصيد في عِرِّيسة الأسد

وفي «منتهى الطلب» قصيدة لبشر بن عليق الطائي هجا فيها عاملة ومما ورد فيها قوله :

بُنَيَّ الرِّقاع ما لِقولك ينتمي وكنتَ أحقَّ الناس ألاَّ تكَلَّما

ولا أستبعد أن يكون قصد الشاعر عدي بن الرقاع مع أن أستاذنا الدكتور يحيى الجبوري عد هذه القصيدة من القصائد الجاهلية ـ ص ١٨٨ ـ ونشرها فيما نشر من «منتهى الطلب» .

عبدالله بن همام السلولي

[انظر «العرب» ٢٣/ ١٥٠ ومابعدها]

مما لم يرد في شعره الذي جمعه الأستاذ المحقق الدكتور نوري حَمُّودِي القيسي ، ونشر في مجلة « العرب » س ٢٣ ص : ١٥٠ ومابعدها ـ أربعة أبيات أوردها ابن أعثم الكوفي في كتاب « الفتوح »: م ٤/ ٢٠٩ ـ حين ذكر أن يزيد بن المهلب لّما ولي خراسان أهان وكيع بن أبي سود التميمي وحبسه ، قال : فأنشأ عبدالله بن هَمَّام السّلولي يقول في ذلك :

خذ العفو واصفح يايزيد فإنني ... رأيت ثواب الله خيراً وأفضلاً
ولا تسمعن قول الوشاة فإنهم ... يودون لو تسقى الذُّعَافَ المثملا
خف الله في قوم تووا منذ خفتهم ... يرجون عَدْلاً من لدنك مؤملاً
وأنت ثِمَالٌ يايزيد فلا تكن ... عليهم عذاباً بالبلاء موكلاً

وأورد البلاذري في نسب ثقيف في ترجمة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل من كتاب «أنساب الأشراف» ـ مخطوطة ـ (دار الكتب المصرية رقم ٤٨٥٦ تاريخ) مانصه : كان المغيرة إذا كني أبا صفية غضب ، وكان بخيلاً فقال ابن همام السلولي فيه :

رَمَاكَ الله يابن أبي عقيل ... بداء لا يقوم له جليل
إذا حضر الخوان فأنت ليث ... بصير بالثريد وبالنشيل
وعند البلس بهكنة رداح ... لها حجلان كالرشإ الكحيل
فليتك يامطيرة من تنوخ ... أو الشُّعْر السواعد من بكيل
وليت الله صيِّر بين داري ... ودارك يا مغيرة ألف ميل

وهذه الأبيات لم ترد في شعره المنشور في «العرب» وكلمة (يقوم) كذا وردت في المخطوطة ، وهي سقيمة الخط ، ولعلها (يقام) .

الدّوشان ليسوا من حرب

لقد اطلعت على كتاب «نسب حرب» فاستغربت ما ورد في صفحة ٤٣ ـ ٤٤ ونصه : ومن بني السَّفْر هؤلاء الدُّوشان أمراء مُطَير في وقتنا الحاضر ، وقصتهم باختصار : فَرَّ رجل من بني السفر من حرب باتّجاه الشرق نحو ديار مُطَير ، فلجأ إليهم وظل معهم وتزوج منهم ، ثم حَنَّ إلى دياره ، فأنشأ قصيدة وصلت إلى بني السَّفر ، فاجتمع منهم قوم وذهبوا إلى مُطير ، فوجدوا الدَّويش هذا أولد ثلاثة ذكور فدعوه للرجوع معهم . فوافق ولكن المرأة قالت : إنّها لن تترك قومها ، فقال الأبناء : إنهم لن يتركوا أمهم فقال الرجل : إنه لن يترك أبناءه . فظل مع مُطير ، فظهر بنوه فرساناً فَأَمَّرتهم مطير لشجاعتهم وحسن تدبيرهم .

وهناك رواية أخرى ليست بعيدة عن هذه ولكن هذه هي الشائعة مع بني السفر وغيرهم . انتهى .

تعقيب :

١ ــ لقد ذكر المؤلف بأن الدويش أنجب ثلاثة أولاد . والصحيح أن الدويش واسمه (محمد) أنجب ولديْنِ هما وطبان وحشر وليس كما ذكر .

٢ ــ القصيدة الواردة في كتاب «نسب حرب» على لسان الشيخ محمد الدويش ليست كافية كشاهد بأن الدويش من بني السفر من حرب ، إذ باستطاعة أي شاعر أن ينظم بيتاً واحداً فقط ويذكر فيه نسب من يريد إضافته إلى نسبه من العرب .

٣ ــ لم نسمع بهذه الرواية كما ذكر إلَّا في هذا الكتاب ، وأخيراً أرجو التَّحري والتثبيت خاصة في مثل هذه الأمور وعدم الاعتماد على الروايات التي لا تدعمها الحقائق التاريخية والمصادر الموثوق بها .

٤ ــ ذكر الشيخ هزاع بن بدر بن محمد بن الحميدي بن فيصل بن وطبان بن محمد الدويش في مجلة «العرب» ج ١٢/١١ السنة الثامنة عشر جماديان ١٤٠٤هـ

ص ١٠١٥ ذكر تسلسل أبناء محمد الدويش ، فيحسن الرجوع إلى ما ذكر .

وبهذه المناسبة يسعدني أن أذكر من تولّى الشّيخة من الدوشان على قبيلة مطير :

١ ــ الشيخ وطبان بن محمد الدويش .

هو أول من تولى الشيخة في قبيلة مطير ، ونزل بهم في بلاد نجد في أوائل القرن الثاني[١] عشر الهجري وقال فيه الشاعر الشهير محسن الهزاني المعاصر له قصيدة طويلة منها هذه الأبيات :

وَطْبـان زَينَ أعيـادهن المشـافيق ... إلاَّ وله نفسٍ طموحٍ عن الدُّوْنْ
رِيْفَ القوايا بـالسنين المماحِيق ... وان جوه أهل عيرات الأنضا يحثونْ
مع ذا وهو معطي طوال السماحيق ... ورث النَّدى ليس العطا منه ممنونْ

٢ ــ الشيخ فيصل بن وطبان بن محمد الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده ودامتْ فترة شيخته وقتاً طويلاً ، وفيها اتّسعتْ رقعة مضارب القبيلة حتى شملت من غربي مهد الذهب (حرة بني عبدالله) إلى حدود دولة الكويت من الجهة الغربية في الشرق ، وتوفي فيصل (الأعور) عام ١٢٤٨[٢] في أرض تسمى (دكيكة) شرق الدهناء وغرب العوشزيات في الصّمّان ، ولا تزال تحمل اسم فيصل .

٣ ــ الشيخ محمد بن فيصل بن وطبان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٢٤٨هـ إلى ١٢٦٢هـ[٣] .

٤ ــ الشيخ الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة أخيه محمد عام ١٢٦٢هـ إلى ١٢٦٧هـ[٤] توفي في الدهناء .

٥ ــ الشيخ ماجد بن الحميدي بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٢٦٧هـ - .

٦ ــ الشيخ سلطان بن الحميدي بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة أخيه ماجد وتوفي عام ١٣٢٧هـ[٥] بسبب تقدم سنه .

٧ ــ الشيخ فيصل بن سلطان بن الحميدي الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٢٧هـ حتى عام ١٣٤٩هـ[٦] وتوفي عام ١٣٥٠هـ .

٨ ــ الشيخ بندر بن فيصل بن سلطان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٥٠هـ وتوفي عام ١٣٩٧هـ .

٩ ــ الشيخ فيصل بن بندر بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٩٧هـ ولايزال حتى الآن ١٤١٠هـ شيخ شمل قبيلة مطير (عِلْوَى وبُرَيْه وبني عبدالله) .

عبدالعزيز بن سعد المطيري

المراجع :

(١) «تاريخ اليمامة» ٢٨٢/٣ ، عبدالله بن محمد بن خميس .
(٢) «عنوان المجْد» ٥٨/٢ ، لابن بشر .
(٣) «عنوان المجد» ١٤٧/٢ .
(٤) مجلة «العرب» ج ٩ ، ١٠ الربيعان ١٤٠٦هـ ص ٦٩٥ ماجد بن طاهر المطيري و «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» : ١٧١ .
(٥) «رسائل من صخر» : ٣٦ شاهر بن محسن الأصْقه .
(٦) «السعوديون والحل الإسلامي» ص ٦٨٤ ، جلال كشك .

حميدان الشويعر ونسبه

وأتحفَ الأخُ الشاعر عبدالله بن علي بن صُقَيْهٍ التميميَّ ، أتحف «العرب» بنسخة من كتاب «الموسوعة النبطية الكاملة» الذي ألفه طلال بن عثمان المزعل السعيد ، وصدر عن (ذات السلاسل) في الكويت سنة ١٤٠٧هـ ، في جزءين يحوي الأول : أعلام الشعراء ، والثاني : بحور الشعر النبطي وأوزانه على ما وُضع في طُرَّة كل جُزْءٍ .

ويحوي الكتاب تراجم موجزة لأشهر الشعراء العاميين ، ونماذج من أشعارهم ، والكلام حوله ذُو شُجُونٍ لما يحويه من آراء متطرفة ، فهو بحاجة إلى من يقوم بدراسته دراسة تَقَصٍّ وتَعَمُّقٍ .

وقد لفت الأخ الشاعر ابنُ صُقَيْهٍ النظرَ أولَ ما لفت إلى ترجمة الشاعر (حُمَيْدَان الشُّويعر) الواردة ـ ص ١١١ ـ وماجاء فيها مما لا يتفق مع الواقع ومنه : (أما نسبه فمن الرواة من يقول : إنه من صُنَّاعِ قبيلة بني خالد ، وجُلُّ الرواة أجمعوا على أنه (صَلَبيٌّ) من قبيلة (الصّلَبة) لذا لم يهتم الرواة باسمه ، أو نسبه ، وقد أكَّدَ هو نفسه على نسبته إلى (الصلبة) حينما نظم قصيدة في هجاء زوجه بعد أن طردته يقول :

إنْ جِيْتَ اطْلُبْ مِنْهَـا لُـقْمَـهْ قَـالَت: مِخْلِي يَاهَـا (الصّلُبِـي)

واسترسل المؤلف في الحديث عن هذا الشاعر فأتى بأمور لا يدري الباحث من أين استقاها ـ إذْ لم يذكر مصدرها ـ كقوله : إنه طُرِدَ من نجد بسبب نظمه لقصيدة شتم فيها قرى نجد وأهلها ، فالتجأ للبصرة ثم الزبير إلى آخر ما ذكر ، مما يحسن لمن يُعْنَى بدراسة أحوال هذا الشاعر أن يتتبعه فَيُبَيِّنَ زَيْفَه .

ولا يتسع المجال إلا للحديث عن نسبه الذي زعم المؤلف ـ وبئس ما زعم ـ إجماعَ جُلِّ الرواةعليه مما يتنافى مع ماهو معروف عند عامة أهل نجد وعند المثقفين ممن لهم عناية بالشعر العامي ، وهم أعرف بجميع أحوال ذالك الشاعر من غيرهم . فهم يتفقون على أنه قَبَلِيٌّ من قبيلة (بني خالد) القبيلة المشهورة من فرع

يعرف بـ (الدَّعم) من (الجُبُور) وأسرته السَّيَايِرَة ، واحدهم سَيَّاري ، وهي من أشهر الأسر المعروفة في نجد ، ولا يزال للشويعر أسرة تنتسب إليه معروفة ومنتشرة في حائل وفي الرياض وفي غيرهما من بلدان المملكة .

وكان الأولى بمؤلف ذالك الكتاب أن يكون أكثرَ عُمْقاً وبحثاً وتَحَرِّياً للحقيقة ، وخاصة فيما يتعلق بالأنساب ، فالبحث فيها شائك وحسَّاس ، وقد يكون ذَا أَثَرٍ سيِّءٍ في النفوس ، لَاسِيَّما وأَنَّ أُسْرَتَهُ لا تَرْضَى بِأَنْ تُوْصَمَ بِتِلْكَ الوَصْمَةِ الْبَاطِلة .

أما الاستدلال بالبيت الذي وردت فيه كلمة (الصلبي) فإن هذه الكلمة يطلقها أهل نجد على كل إنسان دَنِيء حقير الهِمَّة ، ولو كان رَفِيع النسب ،وَإِنْ لم يكن من الصلبة . وهذا من الأمور المدرك بداهة .

من أسر بني زيد

نشرت «العرب» عن بني زيد وأسرهم مما أفضله الاخوان الكريمان : الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد والأستاذ أحمد بن محمد اليحيا وقد ذكرا من عشائر بني زيد ، الجهيم بأنهم من الصالح .

والحقيقة أن الجهيم من أولاد فياض كما أن سويد ابن لفياض والاثنان أخوان ولم يذكرا من الأسر التي خلفها جهيم : الحشاش ، والمخيرش ، والطلاحا ، والطليمس .

الحشاش وقد انقسموا إلى ثلاث أسر هي :

١ ــ الحشاش الذين بقوا على اسمهم الحشاش .

٢ ــ أولاد صقير .

٣ ــ الدرابا ويسكنون الدوادمي وحمرور مفردهم دريبي ومنهم الأمير عبدالله الدريبي وهو حي يرزق محال على التقاعد وقد خدم ما يقرب الخمسين سنة محارباً وأمير مركز ، وغيره من أعيان هذه الأسرة .

الدريبي ولد حشاش وحشاش ولد جهيم وجهيم ولد فياض وفياض من عطوى علماً بأن جهيم أخ لسويد والله الموفق .

الدوادمي : سعد بن عبدالله بن سعد الدريبي

آل حوتان في الحوطة والحلوة

فيما يتعلق بنسب أسرتنا «آل حوتان» فهم من عبدل من ذرية عبدالله بن دارم التميمي . وأما أماكن سكناهم فهو ماذكرته في «العرب» ج ٣ ، ٤ س ٢٢ والعدد ٥ ، ٦ س ٢٢ . أمّا ما ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» الطبعة الثانية من إضافة آل حوتان الذين في الحلوة إلى أسرتنا فهذا غير صحيح ، ويبدو لي أن المؤلف حفظه الله قد نقل هذا عن الدكتور محمد بن سعد الدبل من كتابه «الحريق» ص ٧٥ وهذا الكتاب عليه بعض الملاحظات . والأمر ليس سوى تشابه في الأسماء ، فنسب أسرتنا هو ما أوضحته ، وأما آل حوتان الذين في الحلوة فهم على ما أعلم من آل غنام من قحطان .

وأود أن أشير إلى أنه لم يرد في كتاب «الجمهرة» ـ الطبعة الثانية ذكر آل حوتان الذين في الكويت وهم من أسرتنا مع أنني ذكرت هذا في مقالاتي المنشورة في مجلة «العرب» .

وأود كذلك أن أذكر أن آل شعلان من العبادل (عبدل) من تميم وهم في الخرج والرياض .

الدلم : عبدالرحمن بن عبدالله بن راشد آل حوتان

اليماني في شعر النابغة الذبياني

ورد في كتاب «تأريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي» للدكتور شوقي ضيف ـ ص ٢٧٨ ـ ما نصه : وأيضاً : إننا نشكُّ في قصيدته ـ يعني النابغة الذبياني ـ :

لَعَمْرُكَ ما خشيت على يزيد من الفخر المضلل ما أتاني

لأن الرواة يقولون انه هجا بها يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، حين أصاب ابلا للنعمان، وكلاب عشيرة من عشائر بني عامر وهي قيسية مضرية ، ومع ذالك نجد النابغة يدعوه فيها يمنياً ، إذ يقول في نهايتها : (ولكن لا أمانة لليمان) . ←

*** حدائق الأدب :**

تبدو أهمية هذا الكتاب من احتوائه على نصوص اقتبسها مؤلفه من كتب أوائل المتقدمين من أئمة اللغة كأبي عبيدة والأصمعي وأبي عَمْرٍو وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، ومع أن المؤلف عبيد الله بن محمد شاهمردان الذي وصف في إحدى المخطوطات بـ (الأبهري) إلا أنَّ تاريخ حياته لا يزال غامضاً ، وقد أبان المؤلف عن غايته من تأليف هذا الكتاب في المقدمة بأنه وجد ما أَلَّفَهُ المتقدمون من كتب اللغة كثيرة وعزيزة المنال ، فأراد أن يجمع ما تفرق في تلك الكتب مما يحتاج إليه

← وماكان ليضل عنه أنه مضري لا يمني ، وكأنما القافية أعوزت في البيت منتحله بل منتحل القصيدة فدعاه يمانياً ونسبه إلى اليمن . انتهى .

فهل لي أن أتوجه إلى الدكتور شوقي الأستاذ الجليل الذي لا يجهل أحد منزلته ومبلغ ما يتمتع به من ثقة وتقدير من جميع المعنيين بدراسة أدبنا العربي ، أتوجَّه سائلاً : ألا يكون معنى قول النابغة : (ولكن لا أمانة لليمان) هو ما ذكره أبو عبيدة مَعْمَرُ بن الـمُثَنَّى في «نقائض جرير والفرزدق» ـ ص ١٧٩ ـ إنما يعني النابغة يزيد ابن الصعق الكلابي ، وكان منزله قريباً من منازل الحارث بن كعب انتهى ثم أتى الأعلم الشنتمريّ ، شارح شعر النابغة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم فقال : ـ ص ١١٣ ـ : إنما قال ذالك لأن بعض بني عامر مما يلي اليمن ، وكل من كان يلي اليمن فهو يمانٍ عند العرب ومنه قولهم (الركن اليماني) وهو بمكة فَنُسِب إلى اليمن لأنه يقابلها . انتهى .

ولا يزال هذا التعبير سائراً في عرب زماننا ، فقبيلة هذيل تنقسم إلى قسمين يطلق على من يسكن شمال مكة هُذَيْل الشام ، وعلى من يسكن جنوب مكة هذيل اليمن .

إنه تساؤل يحمل الإعجاب والتقدير لأستاذنا الجليل وله أطيب تحية .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الكتاب والمتحلُّون بالأدب ، فتتبع كتب الأصول فنقلها واختار لُبَّها ، وألف هذا الكتاب المشتمل على غررها تاركاً الوحشيَّ المستثقل ، والعاميَّ المسترذل ، فجمع في هذا الكتاب ثلاثين كتاباً هي الأصول التي يحتاج إليها المتأدب للتعلم ، والأديب للتذكر ، وقد سرد هذه الكتب في المقدمة فابتدأها بكتاب « أسنان الحيوان » وختمها بكتاب « العروض » .

وميزة هذا الكتاب أنه يضم ـ فيما يضم ـ أكثر النصوص الواردة في كتب علماء اللغة الأقدمين مما تعرض لذكره ، ولهذا يعد من المصادر التي يحتاج إليها المعنيون بالدراسات اللغوية .

وقد قام الأستاذ الدكتور محمد بن سليمان السُّدَيْس الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية في كلية الآداب (جامعة الملك سعود) بتحقيق الكتاب ، فصدر قسمه الأول في نحو ٣٠٠ صفحة ، ويليه القسم الثاني حاوياً للفهارس المفصلة للكتاب .

والواقع أن جهد الدكتور المحقق يبدو في كل صفحة من صفحات هذا الجزء ، الذي صدره بمقدمة اعتمد فيها على ما جاء في كتاب « معجم الأدباء » من نسبة الكتاب إلى من سماه ، وذكر أنه توفي نحو سنة ٦٠٠ في طرة الكتاب ، ولكن المحقق الفاضل عاد في المقدمة ـ ص ١٠ ـ فرجح أنه عاش مدة بعد عام ٦٠٠ ، واستدل على ذالك بمعاصرته لعبد الله بن شعيب أحد ملوك الدولة المرينية في المغرب المتوفى سنة ٧٠٩ ، ولم يُعِرّ تاريخ إحدى مخطوطات الكتاب وهو سنة ٥٨٨ اهتماماً ، كما لم يلاحظ ما بين البلاد التي نُسِب إليها المؤلف ، وموطن ابن شعيب من البُعْدِ ، مما يحمل على الظنّ بأن مؤلف الكتاب لم يقصد ابن شعيب هذا ، ومهما يكن فإن عصر مؤلف هذا الكتاب لا يزال غامضاً ، وهذا لا يقلل من قيمة الكتاب نفسه ، ولا من الجهد المشكور الذي بذله محققه الفاضل الدكتور محمد السُّدَيْس .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الجزء سنة ١٤٠٩هـ في الرياض بدون ذكر المطبعة .